

الحيات عالم البرزخ والمشائ

ويليه

الروا والمبشاة

من كلام شيخ الأكر

محي الدين العزى

جمع وتأليف

محمود محمود الخراب

الطبعة الثانية



النبيال عالم البرزخ والمشائ

من كلام شيخ الأكر

محي الدين ابن العربي

جممع وتأليف

محمود محمود الخراب

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

التنفيذ الضمني: دار الكاتب العربي
مشق - ٢٢٢٢٠٢٨ - ٢٢١٩٧٢٨

مطبعة نصر
١٠٠٠ (ن)

الطبعة الثانية
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

العرفاء

إلى مشايخي أهل العرفان الذين أرشدوني ودفعوني دفعاً إلى طريق أهل الحق .
المرحوم سيدي العارف بالله الشيخ محمد صادق العدوي إمام جامع سيدي
الدردير وخطيب جامع الروم سابقاً بالقاهرة .
المرحوم سيدي العارف بالله الشيخ محمد المختار بن يوسف الشنتيقي إمام
في التجرد والتوكل بالمدينة المنورة .
المرحوم سيدي العارف بالله الشيخ أحمد الحارون الحجار شيخ شيوخ
زمانه بدمشق .
إلى والدي
أبي المرحوم الشيخ محمود الغراب رئيس محكمة مصر الشرعية سابقاً وأمي
المرحومة فاطمة بنت محمد الخولي .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صورة الكمال، خلق سبحانه الخيال وجعله هيوئى لعالم المثال، ومجلى للجلال والجمال، فهو عالم غريب، بعيد قريب، تساوى فيه العدو والحييب، كل منها له فيه نصيب، إما عذاب أليم، أو نعيم مقيم، لا ينكره أهل الإلحاد ولا أهل الأديان، لأنه من حقيقة الإنسان، ومن عالم الحدثان، فأقرته جميع الملل والنحل، لأنه مقارن لها من الأزل، أظهر الحق فيه بديع صنعته، وبألف حكمته وقدرته، منه ظاهر ملموس، ومنه باطن محسوس، ومع هذا فقد حارت في إدراكه النفوس، لأنه جامع لأسماء القدوس، هو مسرح عيون العارفين، وغاية إدراك الطالبين، تجلى فيه الحق، فطلبه الخلق، أهل الكذب منهم وأهل الصدق، فهو لأهل الباطل وهم، ولأهل الإيمان حق وعلم، فهذا المخلوق الكثيف اللطيف، يحتاج إلى تعريف، لأن أثره له التصريف، فحارت فيه العقول بأفكارها، والألباب في إخبارها، لأنها لم تشهد له عيناً، ولا علمت له أيناً، ومع ذلك لم تطلب عليه دليلاً، فإنها لا تجد لإنكاره سبيلاً، يحكم في الصغير والكبير، والغني والفقير، وتحير فيه العالم النحرير، لذلك أنشأ الشرق والغرب له المعاهد، وشهدت له العلماء المقاصد، كي تصل إلى معرفة كنهه، أو تتفق على وصفه ونعته، وفيه يقول الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربي:

عجبت لموجود حوى كل صورة
ومن عالم أدنى ومن عالم علا
وليسست سواء ولا هي عينه
ويسدو إلى الأبصار من حيث ذاته
فتجهله الألباب من حكم فكرها
هو الحسي لكسن لا حياة بذاته
فَمَنْ هو خُبْرٌ في الذي قد ذكرته
لها هو مخفي ولبس بنسائب
فياليت شعري هل سمعتم بمثله
ولم يدر ما جئنا به غير واحد
وما مثله إلا شخصي وإنسي

من الملائم العلوي والجن والبشر
ومن حيوان كان أو نبت أو حجر
وفي كل شيء شاء من صورة ظهر
ويخفى على الأسباب ذاك ويُستتر
وتظهره الأوهام للسمع والبصر
تقوم كما قامت بها سائر الصور
بها قد وصفناه وتسمي به الفكر
وها هو منظور ويخفى على النظر
ألا فاحبروني إن هذا هو الحبر
هو الله لا تدري به سائر الفطر
عجبت له من كامل وهو مختصر

هذا هو الخيال الذي يدخله النائم في نومه، فيرى فيه من العجائب ما يبهر
المقول، ويرى فيه ما مضى وما هو آت، ويسمع فيه لغاتٍ ولهجات، في الأصل
يجهلها، وفيه يفهمها، ويرى ما يفزعُه فتضطرب له أعضاؤه، ويرى ما ينعشه
فتطرب له روحه، ويدخله اليقظان في يقظته فيصور فيه ما شاء من أحلامه وأوهامه،
فما يراه النائم في النوم بعض منه، لا تعمل له فيه، وما يراه الإنسان في يقظته جزء
منه، ليس بخارج عنه، هذا كل ما يعرفه العامة وأكثر الناس عن الخيال، وأما
الخاصة وأهل الكشف من أهل الإيمان، الذين يرون في اليقظة ما لا يراه الآخرون،
ويسمعون ما لا يسمعه الحاضرون، ففي هذا الخيال يرى الواحد منهم ما يرى،
ويخبر صادقاً عما يسمع ويرى، وكذلك أهل الرياضة من جميع الملل وأهل السحر،
لهم في هذا الخيال الباع الطويل، فإن الشيطان يشاركهم فيه، وهو لهم شر مرشد
ومعين، وفي هذا الخيال يدرك الماديون ما يرونه ويدركونه من خوارق وآثار، من
حيث لا يشعرون ولا يدرون، فلا يستطيعون إنكارها، ولا يقدرّون على حل

أسرارها، فجمعت في هذا الكتاب ما وفقني الله تعالى إليه من كلام الشيخ الأكبر عبيد الدين ابن العربي عن هذا المخلوق العجيب، حيث يفصله عقلاً ونقلاً - حتى يتضح للقارئ الفرق بين الخيال والتخيل، ولا يعلم ذلك إلا من أعطي التمييز بين عصا موسى عليه السلام وعصي السحرة - ثم ينتقل بنا رضي الله عنه إلى أن الوجود الحادث إنما يظهر في حضرة الخيال الحق، فإن كل ما يتحول وليس له ثبات إنما هو خيال، نبه على ذلك رسول الله ﷺ بقوله «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فالأمر حينئذ عندنا أهل الإيمان، وهو أهون على أهل الإحسان، فلا نحتاج فيه إلى المعاهد والمخابر، التي يجهد فيها الماديون لتعليل آثار، هي عندنا من الغيب ومما وراء طور العقل، فيحاولون إخضاعها للمعلم التجريبي ونتائج الآلات، فإلى أن يصلوا إلى هذه الحقائق الغيبية فيشاركوننا عند ذلك فيها، وأما نحن فنكون قد فزنا بالإيمان بما هو وراء طور العقل من الخلق، بفضل من الله ونعمة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمود محمود الغراب
ص. ب ٣٣٣

دمشق في ٢٤/٢/١٩٨٤

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف البرزخ:

لما كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معلوم وموجود، وبين متفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول، سمي برزخاً اصطلاحاً، فما من منزلة من المنازل ولا منازل من المنازل^(١)، ولا مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال، ولا حضرة من الحضرات، ولا جنس من الأجناس، إلا وبينهما برزخ، كالنخلة برزخ بين النبات والحيوان، والكهنة برزخ بين الجماد والنبات، والممكن برزخ بين الوجود والعدم. والبرزخ الذي بين الحق والخلق في المعنى، فيه اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا، واتصف الحق بالتعجب والتبشش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية، والإنسان الكامل أقامه الحق برزخاً بين الحق والعالم، فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقاً، ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقاً. (ف ح ١ / ٣٠٤، ٤١ - ح ٢ / ٣٩١)

فالبرزخ ما قابل الطرفين بذاته، وأبدي لذني عينين من عجائب آياته ما يدل على قوته، ويستدل به على كرمه وفتوته، فهو القلب الخول، والذي في كل صورة يتحول، عولت عليه الأكاير حين جهلته الأصاغر، فله المضاء في الحكم، وله القدم الراسخة في الكيف والكم، سريع الاستحالة، يعرف العارفون حاله، بيده مقاليد الأمور، وإليه مسانيد الفرور، له النسب الشريف، والمنصب الكياني المنيف، تلتطف في كشافته، وتكثف في لطافته، يجرحه العقل ببرهانه، ويعدله الشرع بقوة سلطانه، يحكم في كل موجود، ويدل على صحة حكمه بما يعطيه الشهود، ويعترف به الجاهل بقدره والعالم، ولا يقدر على رد حكمه حاكم. (ف ح ٤ / ٣٢٨)

(١) راجع شرح المنزل والمنازلة في كتابنا «شرح كلمات الصوفية».

علم البرزخ:

البرازخ أتم المقامات علماً بالأمور، فإن البرزخ يعم الطرفين، وهو مقام الأسماء الإلهية، فإنها برزخ بيننا وبين المسمى، فلها نظر إليه من كونها اسماً له، ولها نظر إلينا من حيث ما تعطي فينا من الآثار المنسوبة إلى المسمى، فتعرف المسمى وتعرفنا، فعلم البرازخ له من القيامة الأعراف، ومن الأسماء الاتصاف، فقد حاز الأنصاف، فما هو عين الاسم ولا عين المسمى، ولا يعرف هويته إلا من يفك المعنى، وقد استوى فيه البصير والأعمى، وهو الظل بين الأنوار والظلم، والحد الفاصل بين الوجود والعدم، وإليه ينتهي الطريق الأسم، وهو حد الوقفة بين المقامين لمن فهم، له من الأزمنة الحال اللازم، فهو الوجود الدائم، فمن أراد العلم بصورة الحال، فليحقق علم الخيال، فيه ظهرت القدرة، وهو الذي أثار بدهه، فلا يتقلب إلا في الصور، ولا يظهر إلا في مقام البشر، ولست أعني بالبشر الأناسي، فإني كنت أشهد على نفسي بإفلاسي، فما تم إلا وعاء، وأنية ملاء، فتدبر تبصر، فإن البرزخ جامع الطرفين، والساحة بين العلمين، له ما بين النقطة والمحيط، وليس بمركب ولا بسيط، حظه من الأحكام الباطن، ولهذا كان له الاختيار والسراح، لم يتقيد بمحظور ولا واجب، ولا مكروه ولا مندوب إليه في جميع المذاهب.

(ف ح ٢ / ٦٠٩، ٢٠٣ - ح ٤ / ٣٣٧، ٣٨٩، ٣٣٧)

الحقائق

اعلم أن الحقائق أربع، منها ثلاث ترجع إلى الحق تعالى، وحقيقة ترجع إلى الخلق، أما الثلاث التي ترجع إلى الحق: فحقيقة ترجع إلى الذات المقدسة، وحقيقة ترجع إلى الصفات المنزهة، وحقيقة ترجع إلى الأفعال الإلهية، وأما الحقيقة التي ترجع إلى الخلق، فهي الحقيقة التي ترجع إلى المفعولات، وهي الأكوان والمكونات، التي هي حضرة الإمكان، فإن العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلهاً، كما أن العبد بحقائقه يكون مألوهاً، فلو وقع الاشتراك في الحقائق، لكان إلهاً واحداً أو عبداً واحداً، أي عيناً واحدة، وهذا لا يصح أبداً، فلابد أن تكون الحقائق متباينة، ولو نسبت إلى عين واحدة،

ولهذا باين خلقه بقدمه، كما باينوه بحدوثهم، واجتمعت الحضرتان - حضرة الحق وحضرة الخلق - في أن كل واحدة منهما معقولة من ثلاث حقائق، ذات، وصفة، ورابطة بين الصفة والموصوف بها، غير أن العبد له ثلاثة أحوال: حالة مع نفسه لا غير - في الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء - وحالة مع الله، وحالة مع العالم، والباري سبحانه مبين لنا، فإن له حالين: حال من أجله، وحال من أجل خلقه، وليس فوقه موجود، فيكون له تعالى وصف تعلق به. (ف ح ١/ ٣٣، ٥٣)

الحقيقة الكونية:

الحقيقة الكونية على ثلاث مراتب: علوية وهي المعقولات، وهي مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول، وسفلية وهي المحسوسات، من شأنها أن تُدْرَك بالحواس، وبرزخية ومن شأنها أن تدرك بالعقل والحواس، وهي المتخيلات، وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة، وما تصوره القوة المصورة الخادمة للعقل، وأجرى الله تعالى المعاني في المخاطبات، مجرى المحسوسات في الصور، التي تقبل التجزي والانقسام والقلّة والكثرة، وجعل محل ذلك حضرة الخيال، فتحصر المعاني في الخطاب، فتلقاها بالتشبيه العقول، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني، التي ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها، أن تكون متميزة أو منقسمة، أو قليلة أو كثيرة، أو ذات حد ومقدار وكيف وكم، وجعل لنا الدليل على قبول ما أتى به من هذا القبيل في هذه الصورة، ما يراه النائم في نومه، من العلم في صورة اللبن، فيشربه حتى يرى الري يخرج من أظفاره، فقيل له: ما أولته يارسول الله؟ يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت؟ فقال: العلم، ومعلوم أن العلم ليس بجسم يسمى لبناً، ولا هولين، وإنما هو معنى مجرد عن الصور التي من شأنها أن تدركها الحواس، ولولا مناسبة بين العلم واللبن جامعة، ما ظهر بصورته في عالم الخيال، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله^(١)، وكان من تلك الحضرة، ما قال الشاعر في تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب، فمن الناس من حصل له من العقل - الممثل

(١) المناسبة هو أن اللبن غذاء الأشباح فطرة، والعلم غذاء الأرواح.

في الصور التي من شأنها أن تكال - القفيز والقفيزان، والأكثر والأقل، والمد والمدان، والأكثر والأقل، لما أراد الله من ذلك، وأما الموزون فالأعمال - وهي معان عرضية تعرض للعامل - فألحقها الله بالموزون، فقال ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ وقال ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ فادخل العمل في الميزان فكان موزوناً، ولكن في هذه الحضرة المثالية، التي لا تترك المعاني إلا في صورة المحسوس، حتى التجلي الإلهي في النوم، فلا ترى الحق إلا صورة، وقد ورد في ذلك من الأخبار ما يغني عن الاستقصاء في تحقيق ذلك، وهو شيء يعلمه كل إنسان، إذ كل إنسان له تخيل في اليقظة والنم، ولهذا يعبر ما يدركه الخيال، لأن الحضرات تحكم على البنازل فيها، وتكسوه من خيالها ما تشاء، فالحكم للحضرة والموطن، لأن الحكم للحقائق، والمعاني توجب أحكامها لمن قامت به.

(فح ١/٣٣ - ح ٢/٦٦ - ح ١/٥٩١ - ح ٢/٦٦ - ح ١/٥٧ - ح ٢/٦٦ - ح ١/٥٩٢)

المعلومات:

المعلومات ثلاثة لا رابع لها: وهي الوجود المطلق الذي لا يتقيد، وهو وجود الله تعالى الواجب الوجود لنفسه، والمعلوم الآخر العدم المطلق، الذي هو عدم لنفسه، وهو الذي لا يتقيد أصلاً وهو المحال، وهو في مقابلة الوجود المطلق، وكما أسلفنا أنه ما من نقيضين متقابلين، إلا وبينهما فاصل، به يتميز كل واحد من الآخر، وهو المانع أن يتصف الواحد بصفة الآخر، وهذا الفاصل هو البرزخ الأعلى، وهو برزخ البرازخ، له وجه إلى الوجود ووجه إلى العدم، فهو يقابل كل واحد من المعلومين بذاته، وهو المعلوم الثالث، وفيه جميع الممكنات وهي لا تنتهي، كما أنه كل واحد من المعلومين لا ينتهي، وللممكنات في هذا المعلوم الثالث - الذي نسميه حضرة الإمكان، وهو البرزخ بين الوجود والعدم - أعيان ثابتة من الوجه الذي ينظر إليها الوجود المطلق، ومن هذا الوجه ينطلق عليها اسم الشيء، الذي إذا أراد الحق إيجادها قال له ﴿كن فيكون﴾ وليس له أعيان موجودة من الوجه الذي ينظر إليه من العدم المطلق، ولهذا يقال له ﴿كن﴾ وكن حرف وجودي، فإنه لو أنه كائن ما قيل له كن، وهذه الممكنات في هذا البرزخ بما هي عليه وما تكون إذا كانت، مما تتصف به من

الأحوال والأعراض والصفات والأكوان، وهذا هو العالم الذي لا ينتهى، وما له طرف ينتهى إليه، وهو العاَمَر الذي عمر الأرض التي خُلِقَت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، عمارة الصورة الظاهرة للرائي في الجسم الصفيق، عمارة إفاضة، ومن هذا البرزخ وجود الممكنات، وبها يتعلق رؤية الحق للأشياء قبل كونها، ويقال له الوجود الخيالي، يقول له الحق ﴿كن﴾ في الوجود العيني، فيكون - هذا السامع هذا الأمر الإلهي - وجوداً عينياً يدركه الحس، أي يتعلق به في الوجود المحسوس الحس، كما يتعلق به الخيال في الوجود الخيالي. (فح ٣ / ٤٦ - ح ٤ / ٢١١)

حقيقة الخيال المطلق :

الخيال المطلق هو المسمى بالعماء، وهو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، وانتشاء هذا العماء من نَفَس الرحمن، الذي هو أول ظرف قَبْلَ كينونة الحق^(١)، وهو الحق المخلوق به كل شيء، وفتح الله في هذا العماء صور كل ما سواه من العالم، واختلاف أعيان الممكنات في أنفسها في ثبوتها، والحكم لها فيمن ظهر فيها، ألا إن ذلك العماء هو الخيال المحقق، ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها، وتصوير ما ليس بكائن، هذا لاتساعه، فهو عين العماء لا غيره، وفيه ظهرت جميع الممكنات، وهذه الموجودات الممكنات التي أوجدها الحق تعالى، هي للأعيان التي يتضمنها هذا البرزخ، بمنزلة الظلالات للأجسام، ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ، بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود، وبين الأجسام النورية والطبيعية، كالعلم والحركة، هذا في النفوس، وهذه في الأجسام، فتجسد في حضرة الخيال، كالعلم في صورة اللبن، وكذلك تعيين النسب - وإن كانت لا عين لها في النفس ولا في الجسم - كالثبات في الأمر نسبة إلى الثابت فيه، يظهر هذا الثبات في صورة القيد المحسوس في حضرة الخيال المتصل، وكالأرواح في صور الأجسام المتشكلة الظاهرة بها، كجبريل في صورة دحية، ومن ظهر من الملائكة في صور النديوم بدر، هذا في الخيال المنفصل، وكالعصا والخيال في صور الحيات تسعى، كما قال ﴿يخيل إليه﴾ يعني إلى موسى ﴿من سحرهم﴾ أي من علمهم

(١) إشارة إلى الحديث، قيل لرسول الله ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: كان في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء.

بما فعلوه ﴿أنا تسمى﴾ فأقاموا ذلك في حضرة الخيال، فأدركها موسى بخيلة، ولا يعرف أنها بخيلة، بل ظن أنها مثل عصاه في الحسكس، ولهذا خاف فقيل له ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (فح ٢ / ٣١٠، ٣١٢، ٣١١)

وتلك الحضرة البرزخية، هي ظل الوجود المطلق من الاسم النور، الذي ينطلق على وجوده، ووجود الأعيان ظل لذلك الظل، والظلال المحسوسة ظلال هذه الموجودات في الحس، ولما كان الظل في حكم الزوال لا في حكم الثبات، وكانت الممكنات وإن وجدت في حكم العدم، سميت ظلالاً، ليفصل بينها وبين من له الثبات المطلق في الوجود - وهو واجب الوجود سبحانه - وبين من له الثبات المطلق في العدم وهو المحال، لتمييز المراتب، فالأعيان الموجودات إذا ظهرت ففي هذا البرزخ هي، فإنه ما تمَّ حضرة تخرج إليها، ففيها تكتسب حالة الوجود، والوجود فيها متناهٍ ما حصل منه، والإيجاد فيها لا يتتهي، فما من صورة موجودة إلا والعين الثابتة عينها، والوجود عليها كالثوب، ولذلك نقول: إن كل ظاهر من العالم صورة ممثلة كيانية، مضاهية لصورة إلهية من حيث الاسم الظاهر^(١).
(فح ٣ / ٤٦، ٤٧٠)

حضرة الخيال هو عالم الجبروت ومجمع البحرين :

إذا انتقلنا من برزخ البرازخ وهو حضرة الإمكان، من حيث أن الصور بما هي صور هي التخيلات، والمعناه الظاهرة فيه هو الخيال المطلق، وأنها حضرة علمية معقولة، إذ انتقلنا إلى الوجود الحادث، قلنا: إن العالم عالمان، والحضرة حضرتان، وإن كان قد تولد بينهما حضرة ثالثة من مجموعهما، فالحضرة الواحدة حضرة الغيب، ولها عالم يقال له: عالم الغيب أو عالم الملكوت، وهو عالم المعاني والغيب، وهو عالم العقل، والحضرة الثانية حضرة الحس والشهادة، ويقال لعالمها: عالم الملك أو عالم الشهادة والحرف، وهو عالم الحس والظهور، ومدرك هذا العالم بالبصر، ومدرك عالم الغيب بالبصيرة، والمتولد من اجتماعهما

(١) يعني أن جميع العالم ظهر في الوجود، على نفس الصورة التي كان عليها في العلم الإلهي قبل خلق الخلق - راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية الطبعة الأولى ص ٣٤٨ الطبعة الثانية ٣٨٩ «ظهر العالم على صورة الحق».

حضرة وعالم، فالحضرة الخيال أو البرزخ، والعالم عالم الخيال، ويسميه بعض أهل الطريق عالم الجبروت، وهو الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت، وهكذا هو عندي.
(ص ٣١١ / ٢ - ح ٤٢ / ٣ - ح ١٢٩ / ٢ - ح ٣٩٥ / ١ - ح ٤٢ / ٣ - ح ١٢٩ / ٢)

وعالم البرزخ هذا، تنزل المعاني فيه في الصور والقوالب الحسية، فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية، وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة، وظهورها بتلك الصور أمر عارض عَرَضٌ للمدرك لها، لا للمعنى في نفسه، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، والإسلام في صورة العمدة، والإيمان في صور العروة، وجبريل في صورة دحية الكلبي وفي صورة الأعرابي، ومثل ليريم في صورة بشر سوي، ولذلك كانت حضرة الخيال أوسع الحضرات جوداً، لأنها تجمع العالمين، فهي مجمع البحرين، بحر المعاني وبحر المحسوسات، فالمحسوس لا يكون معنى، والمعنى لا يكون محسوساً، ولذلك سمي الخيال خيلاً، لأننا نعرف أن ذلك راجع إلى الناظر لا إلى الشيء نفسه، فالشيء في نفسه ثابت على حقيقته لا يتبدل - لأن الحقائق لا تتبدل - ويظهر إلى الناظر في صور متنوعة، وذلك التنوع حقيقة أيضاً، لا تتبدل عن تنوعها، فلا تقبل الثبوت على صورة واحدة، بل حقيقتها الثبوت على التنوع، وحضرة الخيال التي عبرنا عنه بمجمع البحرين، هو يجسد المعاني، ويلطف المحسوس، ويقلب في عين الناظر عين كل معلوم، فيجمع عالم الغيب وعالم الشهادة، فإن حضرة الغيب لا تسع عالم الشهادة، فإنه ما بقي فيها خلاء، وكذلك حضرة الشهادة، فحضرة الخيال أوسع بلا شك، فإن الخيال لقوته أوسع الكائنات وأكمل الموجودات، ويقبل الصور الروحانيات، وهو التشكل في الصور المختلفة من الاستحالة الكائنة، والاستحالة منها ما فيها سرعة، كاستحالة الأرواح صوراً جسدية، فإن الأرواح في الصور الخيالية معاني لا ثبات لها، فإنها سريعة الزوال، من النائم باليقظة، ومن المكاشف بالرجوع إلى حسه، وكاستحالة المعاني صوراً جسدية، تظهر في كون هذا العباء، فإن المعاني إذا تجسدت في عالم المثال، وظهرت صوراً في الجسم المشترك، كما أخبر عليه السلام من أن الزهراوين - البقرة وآل عمران - يأتیان يوم القيامة هما لسانان وشفتان، يشهدان لمن قرأهما، ومعلوم حقيقة الكلام وأنه معنى من المعاني، جثائياً كان أو

غير جشائي، وكالدين في صورة القيد، والعلم في صورة اللبن، والإسلام في صورة العمد، فيقع النعت من الناعت، والوصف من الواصف لهذا المعنى، على هذه الصورة التي يظهر فيها له من عالم المثال، فيوصف بما توصف به الصور التي يتجلى فيها، وثم استحالات فيها بطله، كاستحالة العناصر، فهي وإن كانت استحالات، فما لها سرعة استحالة الصور في القوة المتخيلة في الإنسان، وهو الخيال المتصل، ولا في استحالات صور الأرواح في صور الأجسام أجساداً، كالملائكة في صور البشر، فإن السرعة هناك أقوى، وكذا زوالها، أسرع من استحالات الأجسام بعد الموت إلى ما تستحيل إليه.

(فح ١ / ٣٩٥ - ح ٣ / ٤٢، ٤٧٠، ٤٢ - ح ٢ / ٣١١ - كتاب الأطلاق -

فح ٢ / ٣١١ - كتاب الأطلاق - فح ٢ / ٣١١)

فالبرزخ هو الحاكم المتحكم، الذي يحكم ولا يحكم عليه، مع كونه مخلوقاً، فإنه بين بين، وهو مقام بين هذين، فما هو أحدهما، بل هو مجموع الإثنين، فله العز الشامخ، والمجد الباذخ، والمقام الراسخ، وهو عندنا ليست له ذات قائمة، فإنك إذا أدركت الخيال وكنت عاقلاً، تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل، أنه ما تم شيء راسماً وأصلاً، فهو معقول في نفسه، فما هو هذا الذي أثبت له شيئية وجودية، ونفيتها عنه في حال إثباتك إياها؟ فالخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا متفي ولا مثبت، كما يدرك الإنسان صورته في المرآة، يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه، ويعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه، لما يرى فيها من الدقة إذا كان جرم المرآة صغيراً، ويعلم أن صورته أكبر من التي رأى بها لا يتقارب، وإذا كان جرم المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر، ويقطع أن صورته أصغر من التي رأى، فلا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته، ويعلم أنه ليس في المرآة صورته، ولا هي بينه وبين المرآة^(١)، فالصورة في المرآة جسد برزخي، كالصورة التي يراها النائم إذا وافقت الصورة الخارجية، وكذلك الميت والمكاشف، وصورة المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ، إذا كانت المرآة على شكل خاص ومقدار جرم خاص، فإن لم تكن كذلك، لم تصدق في كل ما تعطيه، بل تصدق في البعض، فالجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي

(١) يعني الشيخ بالصغر والكبر المرابا المحدبة والمقمرة.

صور البرزخ، ولهذا لا تتعلق الرؤية فيها إلا بالمحسوسات، فإن الخيال لا يمسك إلا ما له صورة محسوسة، أو مركب من أجزاء محسوسة تركيبها القوة المصورة، فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلاً، لكن أجزاء ما تركيبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك، والرائي ليس بصادق ولا كاذب في قوله، إنه رأى صورته ما رأى صورته، فما تلك الصورة المرئية، وأين محلها وما شأنها؟ فهي منفية ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة، أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال، ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحاد في درك حقيقة هذا، وهو من العالم، ولم يحصل عنده علم بحقيقة هذا، فهو بخالفها أعجز وأجهل وأشد حيرة.

(فح ٣ / ٣٦١ - ح ٤ / ٣٣٧ - ح ١ / ٣٠٤، ١٠٠، ٣٠٤، ١٦٣، ٣٠٤)

الخيال له الحكم في جميع الحضرات الوجودية :

إن الخيال هو الذي يتحكم في أصله وهو المزاج الأقدم
 فتراه يحكم في المزاج وفي النهى من نفسه فهو الإمام الأعظم
 يقضي^(١) على سر الوجود بحاله مَنْ جَسَمَ المعنى فذاك الأحكم
 ويَحْسُدُ مَنْ لا يعتره تحيز بتحيز^(٢) وتيسقن يتوهم
 ويقسم الأمر الذي ما فيه تقسيم ويمضي ما يشاء ويحكم

(ديوان / ٤٣١)

ما أوسع حضرة الخيال، فيها يظهر وجود المحال، بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال^(٣)، فإن الواجب الوجود وهو الله تعالى لا يقبل الصور، وقد ظهر بالصورة في هذه الحضرة، فقد قَبِلَ المَحَالَّ الوجود الوجود في هذه الحضرة، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، وفي هذه الحضرة يرى الجسم في مكانين، كما رأى آدم نفسه خارجاً عن قبضة الحق، فلما بسط الحق يده فإذا فيها آدم وذريته - الحديث - فهو في القبضة، وهو عينه خارج عن القبضة، فلا تقبل هذه الحضرة إلا وجود المحالات، وكذلك الإنسان

(١) يحكم .

(٢) في الاصل «بتحيز»

(٣) يعني الشيخ هنا المحال العقلي لا الوجودي .

في بيته نائم، ويرى نفسه على صورته المعهودة في مدينة أخرى، وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليها، وهو عينه لا غيره، فيرى الإنسان نفسه في المنام - وهو عين واحدة - في أماكن متعددة، والعقول تخيل أن يكون الجسم في مكانين، والخيال قد حكم به، فإذا كان المخلوق في قوته الإمكان، فيها أحاله دليل عقل الإنسان، فما ظنك بخالق هذا المخلوق وهو الواحد الحق؟ ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة، وهو في نفس الأمر حي يرزق ويأكل، يدركه المؤمن بإيانه، والمكاشف ببصره، وكلمت في قبره، يشاهده ساكناً وهو متكلم يُسأل ويحجب^(١)، فإن قلت لمن يرى هذا إنه خيل له، يقول لك: بل أنت خيل لك أنه ساكت وهو متكلم، وخيل لك أنه مضطجع وهو قاعد، ويعضده في قوله الإيمان بالخبر الصحيح الوارد، فهو أقوى في الدلالة منك، فعينه أتم نظراً من عينك، والكامل النظر الذي هو أكمل من الاثنين، يقول لكل واحد منهما: صدقت، هو ساكت متكلم، مضطجع قاعد، مقتول حي، وكل صورة مشهودة فيه من الباب الذي ذكرناه، ومن ذلك الصورة في المرآة وكل جسم صقيل، إن كان الجسم الصقيل كبيراً كبرت الصورة المرئية فيه، ثم إذا نظرت إلى الصورة من خارج، وجدتها غير متنوعة فيما ظهر فيها من التنوع بتنوع المرآة، حتى في توج الماء تظهر الصورة متموجة، وكل عين - أي كل نظرة - تقول للأخرى: إنها في مقام الخيال، وإن الحق بيدها، وتصديق كل نظرة منها، فتعلم قطعاً أن الصورة المرئية في المرآة والأجسام الصقيلة، إنما ظهورها في الخيال كروية النائم وتشكل الروحاني سواء، وأنها ليست في المرآة ولا في الحس، فإنها تخالف صورة الحس، من حيث تعلقه الخاص به دون المرآة، وليس في الوجود في الغيب والشهادة إلا ما ذكرناه، فثبت بذلك أن الحكم للخيال بكل وجه وعلى كل حال، في المحسوس والمعقول والحواس والعقول، وفي الصور والمعاني، وفي المُحدث وفي القديم، وفي المحال وفي الممكن وفي الواجب، فإن الله سألته على المعاني يكسوها مواد يظهر فيها، لا يتمكن لمعنى يمنع نفسه منه، فحاز الخيال درجة الحس والمعنى، فُلُطِفَ المحسوس، وكثُفَ المعنى، فكان له الاقتدار التام.

(فح ٢/ ٣١٢ - ح ٤/ ٣٦٠ - ح ٢/ ٣١٢، ٣١٣ - ح ٣/ ٢٣٢، ٤٥١)

(١) إشارة إلى سؤال الملكين في القبر.

ومن لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة، وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين، فإنا عندهم من المعرفة راثحة، فمن العلم الذي يختص به أهل الله تعالى، معرفة الكشف الخيالي، ثم إنه مما يؤيد ما ذكرناه، أنك لا تشك أنك مدرك لما أدركته أنه حق محسوس، لما تعلق به الحس، وأن الحديث الوارد عن النبي ﷺ في قوله «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فبأن ما أدركتموه في هذه الدار مثل إدراك النائم، بل هو إدراك النائم في النوم، وهو خيال، ولا تشك أن الناس في برزخ بين هذه الدار والدار الآخرة، وهو مقام الخيال، فانتباهك بالمرت، هو كمن يرى أنه استيقظ في النوم في حال نومه، فيقول في النوم: رأيت كذا وكذا، وهو يظن أنه قد استيقظ، ثم إذا بعث في النشأة الآخرة، يقول المبعوث ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ فكان كونه في مدة موته كالنائم في حال نومه، مع كون الشارع ساه يقظة، وهكذا كل حال تكون فيه، لا بد لك من الانتقال عنه، ويبقى مثل ما كنت عليه في خيالك المتصل، وفي قوة كونه على الحقيقة في الخيال المنفصل، قال تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ أبان الله لنا فيما ذكره في هذه الآية، أن الذي كنا نظنه حقيقة محسوسة، إنما هي متخيلة يراها رأي العين، والأمر في نفسه على خلاف ما تشهده العين، وهذا سار في جميع القوى الجسدية والروحانية، وحقيقة الخيال التبدل في كل حال، والظهور في كل صورة، والحقائق لا تتبدل، فكل ما سوى ذات الحق فهو في مقام الاستحالة السريعة والبطيئة، وهو خيال حائل وظل زائل، فلا يبقى كون في الدنيا والآخرة وما بينهما، ولا روح ولا نفس، ولا شيء مما سوى الله - أعني ذات الحق - على حالة واحدة، بل يتبدل من صورة إلى صورة دائماً، وليس الخيال إلا هذا، فهذا هو عين معقولية الخيال، فالعالم ما ظهر إلا في خيال، فهو متخيل لنفسه، وهو كله في صور مُثَلَّ منصوبة، فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال، والوجود المُحَدَّث خيال منصوب، ثم تقسم ما تراه من الصور إلى محسوس ومتخيل، والكل متخيل، وهذا لا قائل به إلا من أشهد هذا المشهد، والشهود عناية من الله، أعطاه إيانا نور الإيمان، الذي أنار الله به بصائرنا، ومن علم ما قرناه، عَلِمَ عِلْمَ الأَرْضِ المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، وعلم أن العالم بأسره - لا

بل الموجودات - هم عبار تلك الأرض، وما خلص منها إلا الحق تعالى، خالقها ومنشئها
من حيث هويته، إذ كان له الوجود ولا هي .
(فح ٣١٣ - ح ٤١/١ - ح ٢١٣ / ٢ - ح ٥٢٥ / ٣ - ح ٢١٣/٢ - ح ١١٦/١ -
ح ٥٢٥/٣)

توجه الاسم الإلهي القوي على إيجاد الخيال :

ما أوجد الله أعظم من الخيال منزلة ولا أعم حكماً، يسري حكمه في جميع الموجودات
والمعدومات، من محال وغيره، فليس للقدرة الإلهية فيها أوجدته أعظم وجوداً من الخيال،
فبه ظهرت القدرة الإلهية والافتقار الإلهي، وهو حضرة المجلى الإلهي في القيامة وفي
الاعتقادات، فهو أعظم شعائر الله على الله، فمن أسرار الاسم الإلهي القوي، أن خلق
عالم الخيال ليظهر فيه الجمع بين الأضداد، لأن الحس والعقل يمتنع عندهما الجمع بين
الضدين، والخيال لا يمتنع عنده ذلك، فما ظهر سلطان القوي ولا قوته، إلا في خلق القوة
المتخيلة وعالم الخيال، فإنه أقرب في الدلالة على الحق، فإن الحق هو الأول والآخر، والظاهر
والباطن، فما حاز الصورة على الحقيقة إلا الخيال، وهذا ما لا يسع أحداً إنكاره، فإنه يجده
في نفسه، ويبصره في منامه، فيرى ما هو محال الوجود موجوداً.

(فح ٣ / ٥٠٨ - ح ٤ / ٣٢٥)

واعلم أن في حضرة الخيال في الدنيا، يكون الحق محل تكوين العبد، فلا يخطر له
خاطر في أمر ما، إلا والحق يكونه في هذه الحضرة، كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما يشاء
منها، فمشيئة العبد في هذه الحضرة من مشيئة الحق، فإن العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله،
فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد في الدنيا، ويقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحس،
وأما في الخيال فكمشيئة الحق في النفوذ، فالحق مع العبد في هذه الحضرة على كل ما يشاؤه
العبد، كما هو في الآخرة في عموم حكم المشيئة، لأن باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة،
فلذلك يتكون عن مشيئته كل شيء إذا اشتهاه، فالحق في تصرف الإنسان في هذه الحضرة
في الدنيا، وفي شهوته في الآخرة، لا في الدنيا حساً، فالحق تابع في هذه الحضرة وفي الآخرة

لشهوة العبد، كما هو العبد في مشيئته تحت مشيئة الحق، فما للحق شأن إلا مراقبة العبد،
 ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا، وكذلك في الآخرة، والعبد تبع
 للحق في صور التجلي، فما يتجلى الحق له في صورة إلا انصبع بها، فهو يتحول في الصور
 لتحول الحق، والحق يتحول في الإيجاد لتحول مشيئة العبد، في هذه الحضرة الخيالية في
 الدنيا خاصة، وفي الآخرة في الجنة عموماً، لأن الإنسان في الآخرة يتنوع ظاهره، كما كان
 يتنوع باطنه في الدنيا، في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي، فينصبع بها انصباغاً، فذلك
هو التضاهي الإلهي الخيالي، غير أنه في الآخرة ظاهر وفي الدنيا باطن، فحكم الخيال
 مستصحب للإنسان في الآخرة، وذلك هو المعبر عنه بالشأن الذي هو فيه الحق من قوله
 ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فلم يزل ولا يزال، فإن من حُكْم نشأة الآخرة القوة التي لا ضعف
 يعقبا، فيتكون عن أهل السعادة حساً، ما يتكون هنا في الدار الدنيا في خيالهم معنى، وقد
 يكون في متعلق خاص حساً قدرة عليه، كمن يريد أن يقوم فيقوم، ويريد أن يكتب فيكتب،
 وأما ما لا قدرة له، ولا قوة له عليه أن يكون منه في الحس، فإنه يقوى على إيجاده خيلاً في
 نفسه، فإن الروح الواحد يدبر أجساماً متعددة، إذا كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك
في الدنيا للولي بخرق العادة، وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطي ذلك، كما يدبر الروح الواحد
 سائر أعضاء البدن، من يد ورجل وسمع وبصر وغير ذلك، وكما تؤاخذ النفس بأفعال
 الجوارح على ما يقع منها، كذلك الأجساد الكثيرة التي يدبرها روح واحد، أي شيء وقع
 منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد، وإن كان ما يقع من هذا الجسم من الفعل مثل ما يقع
 من الجسم الآخر، فيكون ما يلزمه من المؤاخذه على فعل أحد الجسمين يلزمه على فعل
 الآخر، وكل ما يكون في الآخرة محسوساً، وإن كان في قضية العقل محالاً، فما استحال
 وجوده في الخيال، كذلك لا يستحيل وقوعه حساً، لأن الخيال على الحقيقة إنما هو حضرة
 من حضرات الحس، ولهذا يلحق المحال محسوساً، فيكون في الآخرة أو حيث أراد الله
 محسوساً، ولهذا كان في الآخرة لا في الأولى، فإن الخيال في الدرجة الأخيرة من الحس، فإنه
 عن الحس يأخذ ما يكسوه من الصور للمحال وغيره، فلهذا حيث كان لا يكون إلا في
 الآخرة، وأي قوة أعظم قوة ممن يلحق المحال الوجود بالوجود المحسوس، حتى تراه

الأبصار، كوجود الجسم في مكانين، فكما تتخيله هنا كذلك يقع في الآخرة حساً سواء.
(فح ٣ / ٥٠٩، ٤٧٠ - ح ٤ / ٢٨٢ - ح ١ / ٦٢١ - ح ٤ / ٢٨٢)

خلق الخيال :

عالم الخيال المنفصل .. أرض الحقيقة .. مسرح عيون العارفين. قلنا : إن الله تعالى خلق خلقاً، إن قلت فيه موجوداً صدقت، وإن قلت فيه معدومٌ صدقت، وإن قلت فيه لا موجود ولا معدوم صدقت، وهو الخيال، وهو حضرة وجودية صحيحة، وهو حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب، والمتخيلات فيه موصوفة بالوجود، ذات صور جسدية تلبسها المعاني والأرواح، فإنه قد بقي بعد خلق آدم عليه السلام فضلة من خيرة طينته، قدر السمسة في الخفاء، فمدَّ الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء، إذا جعل العرش وما حواه، والكوسى والسماوات والأرضين وما تحت الثرى، والجنات كلها والنار، في هذه الأرض، كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره، ويبهر العقول أمره، وفي كل نفسٍ خلق الله فيها عوالم، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله، وعظمت عند المشاهد لها قدرته، وكثير من المحالات العقلية .. التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها .. هي موجودة في هذه الأرض، وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون، وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا، إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها^(١)، ويقع للعارفين فيها تجليات إلهية، ومن خاصية هذه الأرض، أن صاحب الكشف العارف إذا وقع له تجلٍ فيها، لم يفنه هذا التجلي عن شهوده، ولا اختطفه عن وجوده، وجمع له بين الرؤية والكلام، فإن التجليات الواردة على قلوب العارفين في هذه الدار، في هذه الهياكل، تأخذهم عنهم، وتقنيه عن شهودهم، وكل ما أحاله العقل بدليله عندنا، كإيراد الكبير على الصغير، فهو في هذه الأرض ممكن وقد وقع، فإن الله على كل شيء قدير، وفيها يعلم أن العقول قاصرة،

(١) أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فيما روي عنه في حديث هذه الكعبة، وأنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً، وأن في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا، حتى إن فيهم ابن عباس مثلي .. وصحت هذه الرواية عند أهل الكشف.

وأن الله قادر على جمع الضلدين، ووجود الجسم في مكانين، وقيام العرض بنفسه، وانتقاله، وقيام المعنى بالمعنى، وكل حديث وآية وزدت عندنا، مما صرفها العقل عن ظاهرها، توجد على ظاهرها في هذه الأرض، وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن، وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم، فمن أجساد هذه الأرض، ولها من هذه الأرض موضع مخصوص، ولهم رقائق ممتدة إلى جميع العالم، وعلى كل رقيقة أمين، فإذا عابن ذلك الأمين روحاً من الأرواح، قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده، كساها إياها، كصورة دحية الجبريل، وسبب ذلك، أن هذه الأرض التي قد مدها الحق تعالى في البرزخ، وعين منها موضعاً لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيات، وتنتقل إليها النفوس عند النوم وبعد الموت، فنحن من بعض عالمها، فإن الموت بين الناشئين الدنيا والآخرة حالة برزخية، تعمر الأرواح فيها أجساداً برزخية خيالية، مثل ما أعمرتها في النوم، وهي أجساد متولدة عن هذه الأجسام، فإن الخيال قوة من قواها، فما برحت أرواحها متبها أو مما كان منها، فإذا قبض الله سبحانه الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية - حيث كانت - والعنصرية، أودعها صوراً جسدية في الحضرة البرزخية، التي هي الصور، ومن الصور هنالك ما هي مقيدة عن التصرف، ومنها ما هي مطلقة، كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء^(١)، ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار، ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه، وهو الذي تصدق رؤياه. (فح ٣/ ٤٤٢ - ح ٢/ ٥٣٦ - ح ١/ ١٢٦ - ح ٣/ ٢٥٠ - ح ١/ ٣٠٧)

ومن رجال الله من ينفس الرحمن عنه بمشاهدة هذا العالم، يستصحبه ذلك دائماً، كما يستصحب الرؤيا النائم، فيخاطب ويخاطب، ولا يزال في صور دائماً، في لذة وفي نكاح إن جاءت شهوة جماع، ولا تكليف عليه ما دام في تلك الحال، لغيبته عن إحساسه في الشاهد، فينكح ويلتذ، ويولد له في عالم الخيال أولاد، فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه، ومنهم من يخرج ولده إلى عالم الشهادة، وهو خيال على أصله مشهود للحس، وهذا من

(١) الإطلاق هنا يقصد به ما يشاهد من الأموات بعد انتقالهم بقلعة، مثل صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس، واجتماعهم بهم في معراجهم، ورؤيته لموسى عليه السلام يصلي في قبره، ورؤيته ليونس عليه السلام يلبي على ناقته - وليس هذا مقصوداً على الأنبياء، بل يتعدى إلى غيرهم من عباد الله تعالى.

الأسرار الإلهية العجيبة، ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال، كما حصل للجوهري، ذكر عن نفسه أنه خرج بالمعجبين من بيته إلى الفرن، وكانت عليه جنابة، فجاء إلى شط النيل ليغتسل، فرأى وهو في الماء مثل ما يرى النائم، كأنه في بغداد، وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين، وأولدها أولاداً، ثم رد إلى نفسه وهو في الماء، ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه، وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز، وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعة، فلما كان بعد أشهر، جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره، فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم، وقيل لها: متى تزوج؟ فقالت: منذ ست سنين، وهؤلاء أولاده مني، فخرج في الحس ما وقع في الخيال، وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول. (ف ح ١ / ٢٧٤)

وكل إنسان ذي خيال وتخيل إذا تخيل أمراً ما، فإن نظره يمتد إلى هذا البرزخ، لا يدري أنه ناظر ذلك في هذه الأرض، وفي هذه الحضرة التي يعمرها العالم الذي لا ينتهي، وما له طرف ينتهي إليه، وهو العاشر الذي عمر الأرض التي خلقت من بقية خمرة طينة آدم عليه السلام، عمارة الصورة للرائي في الجسم الصفيح عمارة إفاضة، ومن هذه الأرض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق. (ف ح ٣ / ٤٦ - ح ١ / ١٢٦).

الخيال أحق الموجودات باسم الإنسان الكامل :

من العقل والإحساس بالبلذ والفضل	إن خيال الكسوف أوسع حضرة
تراه يَرُدُّ الكل في قبضة الشكل	له حضرة الأشكال في الشكل فاعتبر
وإن قلت جزء قلم للكل بالكل	فإن قلت كل فهو جزء معين
بموجسه فهو الممثل للمثل	فما ثم مثل غيره متحقق
وأشهى إلى أذواقنا من جنى التحسّل	فعلمي به أحلى إذا ما طعمته

للخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه، كما أن الحق له الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله عز وجل في حضرة الوجود الخيالي، والحق موجد للخيال في حضرة الانفعال الممثل، وإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه، فهو

على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل، فإنه ما تمَّ على الصورة الحقيية مثله، فإنه يوجد في نفسه كل معلوم، والحق نسبة الموجودات إليه مثل هذه النسبة، فمع كون الخيال من الموجودات الحادثة، إلا أن له هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه، علمت أنه في غاية الوصلة.

(فح ٣ / ٢٩٠)

تجلي الحق في الحضرة الخيالية

الخيال من جملة ما خلق الله، وهو رحم يصور الله فيه ما يشاء، فظهر لنا سبحانه فيه بأسائه وصفاته صوراً، فإن المواطن تحكم بنفسها في كل ما ظهر فيها، فمن مر على موطن انصبع به، والدليل الواضح في ذلك رؤيتك الله تعالى في النوم، وهو موطن الخيال، فلا ترى الحق فيه إلا صورة جسدية، كانت تلك الصورة ما كانت، فهذا حكم الموطن، قد حكم عليك في الحق أنك لا تراه إلا هكذا، كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي، وخرجت عن خزانة الخيال وموطنه، لا تدرك الحق تعالى إلا منزهاً عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال، والحكم على الله أبداً بحسب الصورة التي يتجلى فيها، فما يصح لتلك الصورة من الصفة التي تقبلها، فإن الحق يوصف بها ويصف بها نفسه، وهذا في العموم، إذا رأى الحق أحد في المنام في صورة - أي صورة كانت - حمل عليه ما تستلزمه تلك الصورة التي رآه فيها من الصفات، وهذا ما لا ينكره أحد في النوم، ومن رجال الله من يدرك تلك الصورة في حال اليقظة، ولكن هي في الحضرة الخيالية التي يراه فيها النائم لا غير، وهذه المرتبة يجتمع فيها الأنبياء والأولياء رضي الله عنهم، فما ظهرت صورة في جوهر العالم إلا ظهرت بجميع أحكامها، سواء كانت الصورة محسوسة أو متخيلة، فإن أحكامها تتبعها، كما قال الأعرابي لما سمع رسول الله ﷺ يصف الحق جل جلاله بالضحك، قال: لا نعدم خيراً من رب يضحك؛ إذ من شأن من يضحك أن يتوقع منه وجود الخير، فكما أتبع الصورة الضحك، أتبعها وجود الخير منها، وهذا في الجناب الإلهي، فكيف في جوهر العالم؟

(فح ٣ / ٥٠٧، ٥٣٨ - ح ٤ / ١٠٨، ٢٠٠ - ح ٣ / ٤٥٢)

واعلم أن للحق سبحانه في القلوب تجليين، التجلي الأول في الكائنات، وهو تجليه في الصور التي تدركها الأبصار والخيال، مثل رؤية الحق في النوم، ويعرف أنه الحق، ولا يشك الرائي، وكذلك في الكشف، ويقول له عابر الرؤيا: حقاً رأيت، وهو في الخيال المتصل، فيظهر تجلي الحق في الصور التي يتكرر فيها، أو يُرى في النوم، فيرى الحق في صورة الخلق بسبب حضرة الخيال، فإن صاحب الرؤيا إذا رأى ربه تعالى كفاً في منامه - في أي صورة يراه - فيقول: رأيت ربي في صورة كذا وكذا، ويصدق، مع قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى عنه المماثلة في قبوله التجلي في الصور كلها، التي لا نهاية لها لنفسه، فإن كل ما سواه تعالى ممن له التجلي في الصور، لا يتجلى لشيء منها لنفسه، وإنما يتجلى فيها بمشيئة خالقه وتكوينه، فيقول للصورة التي يتجلى فيها من هذه صفته: كن، فتكون الصورة، فيظهر بها من له هذا القبول من المخلوقين، كالأرواح والمتروحين من الأناسي، كقضيبي البان كان له مقام التحول في الصور، كما للروحانيين التشكل في صور بني آدم، فلا يعرف أنه مَلَك، يقول الله تعالى ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ فجعل التركيب لله لا له، وفي نسبة الصورة لله يقال: في أي صورة شاء ظهر، من غير جعل جاعل، والتجلي الآخر في حال التخيل في عبادتك، فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى، وقد صح عنه أنه قال لجبريل عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» فهذا تنزيل خيالي، فأدخل سبحانه نفسه في التخيل من أجل كافي التشبيه، فإن الإحسان عيان وفي منزلة كأنه عيان^(١)، وهو إنزال المعنى الروحاني إلى المحسوس في العيان، وليس إلا الخيال، الحاكم بالوجوب والوجود في الممكن والمحال، فجاء بكأن، ولذلك قال ﷺ للصحابي الذي قال: «كأنني أنظر إلى عرش ربي بارزاً» فقال له ﷺ: «عرفت فالزم» وهذا التجلي الآخر، اللفظ من تجلي الحس بما لا يتقارب، ولهذا يسرع إليه القلب من حال إلى حال.

(فح ١/ ٣٨٣، ٣٨٤ - ح ٢/ ٣١٢، ٤٧٢ - ح ٤/ ١٩ - ح ١/ ١٨٢ - ح ٤/ ١٩ - ح ٢/ ١٢٤ - ح ٤/ ٣٦٠ - ح ١/ ٣٨٤)

(١) الإحسان إحسانان: الأعلى وهو قوله ﷺ «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فهذا إحسان عيان، والثاني قوله ﷺ «اعبد الله كأنك تراه» فهو إحسان كأنه عيان.

لهذا يتخيل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله ويتصوره، فإن الشرع قد جاء في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل، من كينونة الحق في قبلة المصلي، وفي مواجهة المصلي إياه، فقبله الخيال المتصل، فإذا تحكّم الخيال المتصل على الحق بتصوره، فما ظنك بالخيال المطلق، الذي هو كينونة الحق فيه، وهو العباء، والخيال المتصل من بعض وجوه الخيال المطلق، الذي هو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل، وفي حضرة الخيال المطلق المنفصل لا بد أن يتخيل المحتضّر ما يعتقد، فإنه ليس في قوته أن يجرده عن الخيال وهو عند الاحتضار، فللاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح، ما هو الخيال الذي هو قوة في الإنسان في مقدم دماغه^(١). (فح ٢ / ٣١٠، ٢٩٦)

ولما لم يكن له تعالى ظهور إلى خلقه إلا في صورة، وصوره مختلفة في كل تجلٍ، لا تتكرر صورة، فإنه سبحانه لا يتجلى في صورة مرتين، ولا في صورة واحدة لشخصين، ولما كان الأمر كذلك، لم ينضبط للعقل ولا للعين ما هو الأمر عليه، ولا يمكن للعقل تقييده بصورة ما من تلك الصور، فإنه ينتقض له ذلك التقييد في التجلي الآخر بالصورة الأخرى، وهو الله في ذلك كله، لا يشك ولا يرتاب إلا إذا تجلى له في غير معتقده، فإنه يعود منه كما ورد في صحيح الأخبار، فيعلم أن ثمّ في نفس الأمر عيناً تقبل الظهور في هذه الصور المختلفة، لا يعرف لها ماهية أصلاً ولا كيفية، وإذا حكم بكيفية، فيقول: الكيفية ظهورها فيما شاء من الصور، فتكون الصور مشاءة، وكل مشاء معدوم بلا شك، فما ظهر لك إلا حادث في عين قديم، فما رأيت إلا حادثاً مثلك، لأنك ما رأيت إلا صورة يقينها نظرك يبصر هو الحق، في عين هو الحق، أعني في العين التي ظهرت في تلك الصورة، فهو مُدْرَكٌ

(١) في حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الشيخان مطولاً، وفيه عن الحشر يوم القيامة «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها... فيقول: أنا ربكم: فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن يتقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم...» الحديث - فهذه الآية هي الصورة التي يضبطها المحتضّر.

عيناً في الآخرة والنومِ علماً وشرعاً، وغير مدرك علماً^(١)، ولا نشك - إيماناً وكشفاً لا عقلاً -
أن بهيته أدرك المذكور جميع ما يدرك^(٢). (ف ح ٤ / ١٩)

الخيال هو الواسع الضيق :

لما كان الخيال يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير، لهذا كان
واسعاً، قال رسول الله ﷺ : «اعبد الله كأنك تراه» «والله في قبلة المصلي» أي تخيله في قبلك
وأنت تواجهه، لتراقبه وتستحي منه وتلتزم الأدب معه، وأما ما في الخيال من الضيق، فإنه
ليس في وسع الخيال أن يقبل أمراً من الأمور الحسية والمعنوية، والنسب والإضافة، وجلال
الله وذاته، إلا بالصورة، ولورام أن يدرك شيئاً من غير صورة لم تعط حقيقة ذلك، فمن
هنا هو ضيق في غاية الضيق، فإنه لا يجرد المعاني عن المواد أصلاً، ولهذا كان الحس أقرب
شيء إليه، فإنه من الحس أخذ الصور، وفي الصور الحسية يجلي المعاني، فهذا من ضيقه،
فالخيال أوسع المعلومات، ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء، عجز أن
يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها، فيرى العلم في صورة لبن أو عسل، ويرى
الإسلام في صورة قبة وعمد، ويرى القرآن في صورة سمن وعسل، ويرى الدين في صورة
قيد، ويرى الحق في صورة إنسان، وفي صورة نور، فهو الواسع الضيق. (ف ح ١ / ٣٠٦)

الأجسام والأجساد :

اعلم أن كل منظور إليه بالبصر من الأجسام جسم، فالجسمية حكم عام، ونرى فيها
صوراً مختلفة، منها ما يكون سريع الزوال، ومنها ما يبطيء في النظر، والجسم جسم لم
يتبدل، وليس الموصوف بما ظهر إلا الجسم، وكذلك الصور الروحانية والتجلي الإلهي،
وهذا علم فيه إشكال عظيم، والتخلص منه بطريق الفكر عسير جداً، والجسماني ما هو
الجسم، وإنما هو ما لا تظهر له عين إلا بقيامه بالجسم أو الجوهر، وهو ما يقوم به من
الصفات التي محلها الأجسام، وكذلك الروح والروحاني، وأما الجسد^(٣) فهو كل روح أو
معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السوا.

- (١) يا هو عليه في نفسه من قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾.
- (٢) من قوله تعالى في الحديث القدسي «كنت بصره الذي يبصر به».
- (٣) قال تعالى: ﴿والقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾.

والفرقان بين الأجسام والأجساد، أن الأجسام هي هذه المعروفة في العموم، لطيفها وشفافها وكثيفها، ما يُرى منها وما لا يُرى، والأجساد هي ما يظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلة في صور الأجسام، وما يدركه التام في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس، وهي في نفسها ليست بالأجسام، ولما أراد الله بقاء الأرواح على ما قبلته من التمييز، خلق لها أجساداً برزخية، تميزت فيها هذه الأرواح عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنياوية، في النوم وبعد الموت، وخلق لها في الآخرة أجساماً طبيعية، كما جعل لها في الدنيا ذلك، غير أن المزاج مختلف، فنقلها عن جسد البرزخ إلى أجسام نشأة الآخرة، فتميزت أيضاً بحكم تميز صور أجسامها، ثم لا تزال كذلك أبد الأبد، فلا ترجع إلى الحال الأول من الوحدة العينية أبداً، وهو قوله تعالى ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ . (فح ٣ / ١٨٦ ، ١٨٨)

فما ظهرت قدرة الحي القيوم إلا في إنشاء الجسوم، وما تم إلا رسم، فما تم إلا جسم، لكن الأجسام، مختلفة النظام، فمنها الأرواح اللطائف، ومنها الأشباح الكثائف، والصفات والأعراض توابع، لهذا الجسم الجامع، فإنه مركب، والمركب مركب، فإن كل مخلوق لا بد له من صورة وروح مدبر لهذه الصورة، والصورة التي جعلها الله تنقسم قسمين: صورة جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية، والقسم الآخر صورة جسمية نورية، وهو صورة أجسام الملائكة، ولما أكمل الله تعالى هذه الصور النورية والعنصرية، بلا أرواح تكون غيباً لهذه الصور، تجلي لكل صنف من الصور بحسب ما هي عليه، فتكون عن الصور وعن هذا التجلي أرواح الصور، فخلق الأرواح وأمرها بتدبير الصور، وكان تميز الأرواح بحسب قبول الصور من ذلك التجلي، وليست الصور بأينيات لهذه الأرواح على الحقيقة، إلا أن هذه الصور لها كالملك في حق الصور العنصرية، وكالمظاهر في حق الصور كلها، والأرواح المدبرة حكمها في الأجسام النورية، تشكلها في الصور خاصة، كما أن حكمها في الأجسام الحيوانية التشكل في القوة الخيالية، مع غير هذا من الأحكام، فإن الأجسام النورية لا خيال لها، بل هي عين الخيال، والصور تقلباتها عن أرواحها المدبرة لها، وكما لا يتخلو خيال الإنسان عن صورة، كذلك ذات الملك لا تخلو عن صورة، والخيال أوسع من الأرواح في

التنوع في الصور، فإن الأرواح أقبل للتشكل في الصور من سائر العناصر، والخيال يقبل ما له صورة ويصور ما ليست له صورة.

(فح ٤ / ٣٨٩ - ح ١ / ١٤٨، ١٤٩ - ح ٣ / ٢٢ - ح ١ / ٢٨٥)

وقد أحدث الله الصور الجسدية الخيالية بتجل آخر بين اللطائف والصور، وتتجلى في تلك الصور الجسدية الصور النورية والنارية ظاهرة للعين، وتتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية في هذه الصور الجسدية، في النوم وبعد الموت وقبل البعث، وهو البرزخ الصوري، وهو قرن من نور، أعلاه واسع وأسفله ضيق، فإن أعلاه العماء وأسفله الأرض، وهذه الأجساد الصورية التي يظهر فيها الجن والملائكة وباطن الإنسان، وهي الظاهرة في النوم وصور سوق الجنة، وهي هذه الصور التي تعمر أرض الحقيقة، أرض السمسة.

(فح ١ / ١٤٩، ١٢٦)

واعلم ان الأرواح لها اللطافة، فإذا تجسدت وظهرت بصورة الأجسام كثفت في عين الناظر إليها، والملائكة لما كانوا من عالم السخافة^(١) واللفظ، قبلوا التشكل فيما يريدونه من الصور الحسية، فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني، إنما هي أول صورة قبل عندما أوجده الله تعالى، ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها، والأجسام لها الكثافة، شفافها وغير شفافها، فإذا تحولت في الصور في عين الرائي أو احتجبت مع الحضور، فقد تروحت، أي صار لها حكم الأرواح في الاستتار وتنوع الصور عليها، فالإنس يتلطف معناه بحيث يظهر في اللفظ من صورة الجن، فيسري بذاته في باطن الجن سريان الجن في باطن الإنس، فيجهله الجني ويتخيل أن ذلك من حكم نفسه عليه، وهو حكم هذا الإنسي المتروحن^(٢)، وأما سبب كثافة الأرواح وهي من عالم اللطف، فلكونهم خلقوا من الطبيعة، وإن كانت أجسامهم نورية فمن نور الطبيعة، فلهذا قبلوا الكثافة، فظهروا بصور الأجسام الكثيفة، وأما الكثيف يرجع لطيفاً فسيبه التحليل، فإن الكثائف من عالم الاستحالة، وكل ما يقبل الاستحالة يقبل الصور المختلفة والمتضادة.

(فح ١ / ١٣٣ - ح ٣ / ١٩٢)

(١) السخافة: هي الرقة لغة.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢١٧ طبعة أولى ٢١٣ طبعة ثانية.

وإذا تجلى الروح في صورة طبيعية مشى الحكم عليها، من حيث قبول تلك الصورة للظاهر والباطن، فإن الأعيان التي من حقيقتها أن لا تكون على صورة طبيعية جسدية في نفسها، إذا ظهرت لمن ظهرت له في صورة طبيعية جسدية في عالم التمثيل، كالمملك يتمثل بشراً سوياً، وكالتجلي الإلهي في الصور، فظهر جبريل في صورة أعرابي بكلامه وحركته المعتادة من تلك الصورة في الإنسان، وهي في الصورة المثلة كما هي في الإنسان، أو هي من الصورة كما هي الصورة المتخيلة أيضاً، ويتبع تلك الصورة جميع أحكامها، من القوى القائمة بها في الإنسان، كما قام بها الكلام والحركة والكيفيات الظاهرة، فهو في الحقيقة إنسان خيالي، فإذا ذهبت تلك الصورة ذهبت أحكامها لذهابها، فما ظهرت صورة في جوهر العالم إلا ظهرت بجميع أحكامها، سواء كانت تلك الصورة محسوسة أو متخيلة، فإن أحكامها تتبعها، فإذا قبل الروح الصورة الطبيعية في الأجساد المتخيلة - لا في الأجسام المحسوسة التي جرت العادة بإدراكها - مشى الحكم عليها، فإن الأجساد المتخيلة أيضاً معتادة الإدراك، لكن ما كل من يشهدها يفرق بينها وبين الأجسام الحقيقية، ولهذا لم يعرف الصحابة جبريل حين نزل في صورة أعرابي، وما علمت أن ذلك جسد متخيل، حتى عرفهم النبي ﷺ لما قال لهم هذا جبريل، ولم يقدروا على فهمه شك أنه عربي، وكذلك مريم حين تمثل لها الملاك بشراً سوياً، لأنه ما كانت عندها علامة في الأرواح إذا تجسدت، وكذا إبراهيم الخليل ولسوط عليهما السلام، وكذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة، فيتعوذون منه لعدم معرفتهم به، فكان الحكم في الجناب الإلهي والروحاني من الصور، سواء في حق المتجلي له، من الجهل به، فلا بد لمن اعتنى الله به من علامة يعرف بها تجلي الحق، من تجلي الملك، من تجلي الجنان، من تجلي البشر إذا أعطوا قوة الظهور، كقضييب البان وأمثاله، فإذا كان البشر بهذه النشأة الترابية العنصرية، له قوة التحول في الصور في عين الرائي وهو على صورته، فهذا التحول في الأرواح أقرب، وهذا من باب المعرفة في علم الخيال.

(ف ح ٢ / ٣٣٤ - ح ٣ / ٤٥٢ - ح ٢ / ٣٣٣)

فمن ظهر في صورة كان له حكمها، بحسب ما تقرر في العرف والوضع العادي والشرعي، ألا ترى الروح الجني إذا لبس صورة الحية، والحكم فيها من القتل، قتلناه

لصورته، ولو علمنا أنه جان ما قتلناه، كما انتقل حكم الصورة في الجن، فحكمت عليه أنه حية عاملناه، فحكمتنا في تلك الصورة، روينا حديثاً عن شخص من جن وفد نصيبين، الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ هؤلاء الوفد من الجن، لما كان لهم الظهور في أي صورة شاؤوا، فحكّم عليهم أنه من تصور في غير صورته فُقُتِلَ، فلا عَقْلَ فيه ولا قُوَّة، فإنه من قتل حية أو عقرباً لا يقتل به ولا تؤخذ فيه دية، فمن ظهر في صورة من هذا حكمه، انسحب عليه هذا الحكم. (ف ح ٢ / ٤٧٠)

والعالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسية يقيد البصر، بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة، ما دام البصر ينظر إليه بالخاصية، ولكن من الإنسان، فإذا قيده ولم يبرح ناظراً إليه، وليس له موضع يتوارى فيه، أظهر له هذا الروحاني صورة جعلها عليه كالستر، ثم يجيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة، فيتبعها بصره، فإذا أتبعها بصره خرج الروحاني عن تقييده، فغاب عنه، وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي أتبعها بصره فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره، فإذا غاب جسم السراج فُقد ذلك النور، فهكذا هذه الصورة، فمن يعرف هذا ويحب تقييده، لا يتبع الصورة بصره، وهذا من الأسرار الإلهية التي لا تعرف إلا بتعريف الله، وليست الصورة غير عين الروحاني، بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان، أو في كل مكان ومختلفة الأشكال، وإذا اتفق قتل صورة من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر، انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ، كما تنتقل نحن بالموت، ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواء، وتسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجساداً. (ف ح ١ / ١٣٣)

واعلم أن الأرواح المدبرة لا تبدل تبدل الصور، لأنها لا تقبل التبديل لأحديتها، وإنما يقبل التبديل المركب من أجسام وأجساد، حساً وبرزخاً، فتجسد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا، المسمى موتاً، فتجسد أرواح الأنبياء والملائكة والصالحين في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات، فإذا تجل المعنى وظهر في صورة حسية، تبعه الروح في صورة ذلك الجسد، كان ما كان، لأن الأرواح المدبرة تطلب الأجسام

طلباً ذاتياً، فحيث ما ظهر جسم أو جسد، حساً كان ذلك أو معنى تجسد، فإن الروح تلزمه
أبدأً، واعلم أن الروح الإنساني أوجده الله حين أوجده، مديراً لصورة طبيعية حسية له،
سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان، فأول صورة لبستها،
الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار برؤية الحق عليه، ثم إنه حشر من تلك الصورة
إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية، وحبس بها في رابع شهر من تكوين صورة جسده في
بطن أمه إلى ساعة موته، فإذا مات حشر إلى صورة أخرى، من حين موته إلى وقت سؤاله،
فإذا جاء وقت سؤاله، حشر من تلك الصورة إلى جسده الموصوف بالموت، فيحيا به،
ويؤخذ بأسباع الناس وأبصارهم عن حياته بذلك الروح، إلا من خصه الله تعالى بالكشف
على ذلك، من نبيٍّ أو وليٍّ من الثقلين، وأما سائر الحيوان فإنتهم يشاهدون حياته وما هو فيه
عيناً، ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها، بل تلك الصورة هي
عين البرزخ، والنوم والموت في ذلك على السواء، إلى نفخة البعث، فيبعث من تلك الصورة
ويحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا، إن كان بقي عليه سؤال، فإن لم يكن من أهل
ذلك الصنف، حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة، والمسؤول يوم القيامة إذا فرغ من
سؤاله، حُشِرَ في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار، وأهل النار كلهم مسؤولون، فإذا
دخلوا الجنة واستقروا فيها، ثم دعوا إلى الرؤية وبادروا، حشروا في صورة لا تصلح إلا
لرؤية، فإذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة، وفي كل صورة ينسى صورته التي كان
عليها، ويرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها، فإذا دخل سوق الجنة
ورأى ما فيه من الصور، فأية صورة رآها واستحسنها حشر فيها، فلا يزال في الجنة دائماً يحشر
من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له، ليعلم بذلك الاتساع الإلهي. (فح ١ / ٧٥٥ - ح ٢ / ٦٢٧)

أثر الخيال في العلم :

نحن لا نقول : إن العلم تصور المعلوم على ما قاله صاحب النظر، وإنما العلم دَرْكٌ
ذات المطلوب على ما هو عليه في نفسه، فالعلوم - وأعني المعلومات - إذا ظهرت بلواتها
للمعلم، وأدركها العلم على ما هي عليه في ذواتها، فذلك العلم الصحيح والإدراك التام،

الذي لا شبهة فيه البتة، وسواء كان ذلك المعلوم وجوداً أو عدماً، أو نفيًا أو إثباتاً، أو كثيفاً أو لطيفاً، أو ربياً أو مربوباً، أو حرفاً أو معنى، أو جسماً أو روحاً، أو مركباً أو مفرداً، أو ما أنتجته التركيب، أو نسبة أو صفة أو موصوفاً، فمتى ما خرج شيء مما ذكرناه عن أن يبرز للعلم بذاته، وبرز له في غير صورته، فبرز العدم له في صورة الوجود وبالعكس، والنفي في صورة الإثبات وبالعكس، واللطيف في صورة الكثيف وبالعكس، والرب بصفة المربوب، والمربوب بصفة الرب، والمعاني في صور الأجسام، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، والإيمان في صورة العروة، والإسلام في صورة العمد، والأعمال في صور الأشخاص من الجهال والقيح، فذلك هو الكدر الذي يلحق بالعلم، فيحتاج من ظهر له هذا، إلى قوة إلمية تعديه من هذه الصورة إلى المعنى الذي ظهر في هذه الصورة، فيتعب، وسبب ذلك حضرة الخيال والتمثل والقوة المفكرة، وأصل ذلك هذا الجسم الطبيعي، وهو المعبر عنه بالحوض، وقعر هذا الحوض هو خزانة الخيال، وكدر ماء هذا الحوض المستقر في قعره، هو ما يخرج الخيال والتخيل عن صورته، فيطرا التلبس على الناظر بما ظهر له، فما يدري أي معنى لبس هذه الصورة، فيتحير، ولا يتخلص له ذلك أبداً من نظره إلا بحكم الموافقة، وهو على غير يقين محقق فيما أصاب من ذلك إلا بإخبار من الله، ولهذا لما قام أبو بكر الصديق في هذا المقام، وسأل تعبیر الرؤيا، وأمره النبي ﷺ بتعبيرها، فلما فرغ سأل النبي ﷺ فيما عبره، هل أصاب أو أخطأ؟ فقال له رسول الله ﷺ: أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً؛ فما علم الصديق إصابته للحق في ذلك من خطئه، فلماذا قلنا إن المصيب في مثل هذا ليس على يقين فيما أصابه إذا كان عن فكر. (ف ح ٤ / ٣١٥ - ح ٢ / ٥٩٦)

الحسوس منزل وصف المساء بالكدر	وهي المعلوم السقي تختص بالبشر
فالماء في العين صاف ما به كدر	والقعر يظهر ما فيه من الكدر
وعلة الارتق كون الفكر ينتجها	فاطلب من العلم ما يسمو عن الفكر
إن الخيال إذا جاءت قيسها	بالفكر في عالم الأجساد والصور
والفكر من صورها وقتاً يخلصها	لكنه غير معصوم من الضرر

(ف ح ٢ / ٥٩٤)

والمدرِّك والمدرِّك كل واحد منهما على ضربين: مدرِّك يعلم وله قوة التخيل، ومدرِّك يعلم وما له قوة التخيل، والمدرِّك يفتح الراء على ضربين، مدرِّك له صورة، يعلمه بصورته من ليس له قوة التخيل ولا يتصوره، ويعلمه ويتصوره من له قوة التخيل، ومدرِّك ما له صورة يُعلِّم فقط، ولما كانت الموجودات على قسمين: قديم وحادث، والموجود أياً كان يطلق عليه الوجود في أربع مراتب، وبعض المعلومات له في الوجود الأربع المراتب: ذهني وعيني ولفظي وخطي، والمراد بالذهن هنا الخيال، ولكن في كل معلوم يُتخَّل خاصية، وفي كل عالم يُتخَّل، لأنه يطابق العين في الصورة، واللفظي والخطي ليسا كذلك، فإن اللفظ والخط موضوعان للدلالة والتفهم، فلا يتنزل من حيث الصورة على الصورة، ولذلك إذا وقعت المشاركة التي تُبطل الدلالة، افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان، ولا يدخل في الذهني مشاركة أصلاً، فما كل معلوم يُتصور، ولا كل عالم يتصور، فإن التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلاً، والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال، وأن معلومات لا يمسكها الخيال أصلاً، فثبت أنها لا صورة لها، فيتصور العالم المعلوم إذا كان العالم عن له خيال وتخيل، إلا أن الخيال له قوة وسلطان، فيعم جميع المعلومات ويحكم عليها ويحسدها، وهو من الضعف بحيث لا يستطيع أن ينقل المحسوس إلى المعنى، كما ينقل المعنى إلى الصورة الحسية، ومن ضعفه أنه لا يستقل بنفسه، فلا بد أن يكون حكمه بين اثنين، بين متخيل اسم مفعولٍ ومتخيل اسم فاعلٍ، ولهذا ليس للخيال قوة الإبداع.

(فح ١/ ٤٢، ٥٢٢، ٥٤، ٤٥ - ح ٤/ ٣١٥)

والإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الحسية، وهي على خمس: الشم والطعم واللمس والسمع والبصر، إذا كان المعلوم محسوساً، ويختلف إدراك المدركات من القرب والبعد، وأما القوة الخيالية فإنها لا تضبط إلا ما أعطاه الحس، إما على صورة ما أعطاه، وإما على صورة ما أعطاه الفكر من حمله بعض المحسوسات على بعض، وأما القوة العقلية فلا يصح أن يقبل العقل إلا ما علمه بديهية، أو ما أعطاه الفكر، وكل مدرِّك بقوة من القوى الظاهرة والباطنة التي في الإنسان فإنه يُتخَّل، وإذا تخيله الإنسان سكن إليه، فلا يقع السكون إلا لتخيل من متخيل، وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم، وفي الخبر

الصحيح واعبد الله كأنك تراه» فهذا كانت عقائد، والعقائد محلها الخيال، وإن قام الدليل على أن الذي اعتقده، ليس بداخل ولا خارج، ولا يشبه شيئاً من المحدثات، فإنه لا يسلم من الخيال أن يضبط أمراً، لأن نشأة الإنسان تعطي ذلك، والحكم تابع لذات الحاكم، بقبول ما يعطيه المحكوم عليه، وليس المحكوم عليه هنا إلا المتخيل، وهو المعتقد، فانظر ما أخفى وأقوى سريان الخيال في الإنسان، فما سلّم إنسان من خيال ولا وهم، وكيف يسلم ولا خروج للعقل عن هذه الإنسانية؟ فلو انعدمت انعدمت هذا الحكم، فهو يوجد ما وجدت. (فح ١/ ٩٤ - ح ٤/ ٤٢٠)

إدراك الخيال بعين الحس وعين الخيال:

اعلم وفقك الله أنه لولا النور ما أدرك البصر شيئاً، فجعل الله الخيال نوراً، يدرك به تصوير كل شيء، أي أمر كان، فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجوداً، فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية، فنوره لا يشبه الأنوار، وبه تُدرك التجليات، وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس، والخيال لا يكون فاسداً قط، فمن قال بفساده فإنه لا يعرف إدراك النور الخيالي، فإن هذا القائل يخطئ الحس في بعض مدركاته، وإدراكه صحيح، والحكم لغيره لا إليه، فالحاكم أخطأ لا الحس^(١)، كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك، وما له حكم، وإنما الحكم لغيره وهو العقل، فلا ينسب إليه الخطأ، فما تم خيال فاسد قط، بل هو صحيح كله، فالخيال كله حق ما فيه شيء من الباطل، والمتخيل منه حق ومنه باطل، إلا أن المعبر عنه بصيب ويخطئ، بحسب ما يراه في نزوله بالمواطن، فإن المصيب من لم يتعد بالحقائق مراتبها، وإلى حضرة الخيال يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها، تخاطبه ويخاطبها، أجساداً لا يشك فيها، والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه، والميت بعد موته، كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً، ويرى الموت كيشاً أملح يذبح، والموت نسبة مفارقة عن اجتماع. (فح ١/ ٣٠٦ - ح ٢/ ١١٣، ١٠٣ - ح ٣/ ٤٥٥ - ح ١/ ٣٠٤)

(١) العين تبصر ما في الصحراء، والعقل يثبت ذلك أو ينفيه بقوله إنه سراب، فالإصابة والخطأ للعقل لا للعين.

فالمكاشف يدرك ما أدركه بنور الخيال، كما يدركه النائم ورفيقه جنبه مستيقظ لا يرى شيئاً، كذلك صاحب الكشف، ولو سألت صاحب الكشف: هل ترى ظلمة في حال كشفك ليلاً؟ لقال: لا، بل يقول: أنارت البقعة حتى قلت: إن الشمس ما غابت، فأدركتُ المبصرات كما أدركها نهاراً، وهذه مسألة ما رأيت أحداً نبه عليها إلا إن كان وما وصل إلي، فصاحب الكشف إذا أظلم الليل وانغلق عليه باب بيته، ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر، وقد تساوى في عدم الكشف للمبصرات، فيكون أحدهما من يكشف له في أوقات، فيتجلى له نور، يجتمع ذلك النور مع نور البصر، فيدرك ما في ذلك البيت المظلم، مما أراد الله أن يكشف له منه، كله أو بعضه، يراه كما يراه بالنهار أو بالسراج، ورفيقه الذي هو معه، لا يرى إلا الظلمة، غير ذلك لا يراه، فإن ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره، فالكون كله مظلم، فلا يُرى إلا بالنورين، فكل ما يدركه المكاشف من مقامات، لا يدركها إلا بعين الخيال إذا شوهدت، فإن صورها إذا مثلها الله - فيها شاء أن يمثلها - متخيلة، فتراها أشخاصاً رأي العين، كما ترى المحسوسات بالعين، وكما ترى المعاني بعين البصيرة، فإن الله إذا قلل الكثير وهو كثير في نفس الأمر، أو كثر القليل وهو قليل في نفس الأمر، فما تراه إلا بعين الخيال لا بعين الحس، وهو البصر نفسه في الخالين، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْكُمُوهُمْ إِذِ التَّيِّمَاتِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ وقال ﴿يُرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ وما كانوا مثليهم في الحس، فلو لم ترهم بعين الخيال، لكان ما رأيت من العدد كذباً، وكان الذي يريه غير صادق فيما أراه إليك، وإذا كان الذي أراك ذلك أراك بعين الخيال، كانت الكثرة في القليل حقاً، والقلة في الكثرة حقاً، لأنه حق في الخيال، وليس بحق في الحس، كما أراك اللبن في الخيال فشرته، ولم يكن ذلك اللبن سوى عين العلم، فما رأيت لبناً وهو علم إلا بعين الخيال، ورأيت تلقينك ذلك العلم من تلقنته، في صورة شربك اللبن كذلك في عين الخيال، والعلم ليس بلبن، والتلقين ليس بشرب، وقد رأيت كذلك، فلو رأيت بعين الحس لكان كذباً، لأنك رأيت الأمر على خلاف ما هو عليه في نفسه، فما رأيت إلا بعين الخيال في حال يقظتك، وإن كنت لا تشعر أنت بذلك، فكذلك هو في نفس الأمر، لأن الله صادق فيما يعلمه، وهو في الخيال صادق كما رأيت، وكذلك تلقينك العلوم من الله بالضرورة باليد، فعلم المضروب بتلك الضربة علم الأولين

والآخرين، والعلم لا يحصل إلا بالتعليم بالخطاب من المعلم، أو بخلق في النفس ضرورة، وقد حصل في حضرة الخيال بالضرب، فلا بد أن يكون الضرب تخيلاً، والمضروب في عينه تخيلاً، إن كان في نوم أو يقظة، لصدق الذي يري ذلك وهو الله، كما قال الله تعالى ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِمْ سِحْرَهُمْ أَنَّهَا تَسْمَعُ﴾ ولم تسع في نفس الأمر، وهكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه في نفسه، ما تراه إلا بعين الخيال، حتى يكون صدقاً، ولهذا يُعبرُ كل ما وقع من ذلك، أي يجوز به العابر إلى المعنى الذي أراد الله بتلك الصورة.

(فح ١ / ٢٤٠ - ح ٣ / ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩)

ومن الناس من يدرك هذا التخيل بعين الحس، ومن الناس من يدركه بعين الخيال، وأعني في حال اليقظة، مثل تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشراً سوياً، هل أدركته بالبصر الحسي أو بعين الخيال؟ فتكون ممن أدرك الخيال بالخيال، وأما في النوم فبعين الخيال قطعاً، فإذا أراد الإنسان أن يفرق في حال يقظته - حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة - فليُنظر إلى التخيل وليقيده بنظره، فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات، وهو لا ينكر أن ذلك بعينه، ولا يقيد النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحرياء في اختلاف الألوان عليها، فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحس، فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس، وقليل من يتفطن إلى هذا، ممن يدعي كشف الأرواح النارية والنورية إذا تمثلت لعينه صوراً مُدركة، لا يدري بها أدركها، هل بعين الخيال أو بعين الحس؟ وكلاهما - أعني الإدراكين - بحاسة العين، فإنها تعطى الإدراك بعين الخيال وبعين الحس، وإذا أدركت عين التخيل ولم تغفل عنه، ورأته لا تختلف عليه التكوينات، ولا رأته في مواضع مختلفة معاً في حال واحدة، والذات واحدة لا يشك فيها، ولا انتقلت ولا تحولت في أكوان مختلفة، فتعلم أنها محسوسة لا متخيلة، وأنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال، ومن هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى، وهو منزّه عن الصور والمثال، وضبط الإدراك إياه وتقييده، ومن العلم أن الخيال يُدرك بنفسه - نريد بعين الخيال - أو يدرك بالبصر، فيدرك الإنسان بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معاً، فيدرك التخيل الذي هو الإنسان بعين حسه وقتاً ما هو متخيل، كقوله ﷺ: «مثلت لي الجنة في عرض هذا

الحائطه فأدرك بعين حسه، وإنما قلنا بعين حسه، لأنه تقدم حين رأى الجنة ليأخذ قطعاً منها، وتأخر حين رأى النار وهو في صلاته، ونحن نعرف أن عنده من القوة، بحيث أنه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسه، ما أثر في جسمه تقدماً ولا تأخراً، فالخيال يُدرك بنفسه أي بعين الخيال ويدرك بالبصر، وهو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، بين حاسة العين وعين الحس، فلا تغفل عن مثل هذا العلم، وفرق بين الأعين، وأعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوة إلهية، يعطيها الله من شاء من عباده، فتعرض لتحصيل هذه القوة من الله، فإنك مخبر بها رأيت أنك رأيت بحسك، ولم يكن الأمر كذلك، فتحرز في العبارة فيما تراه، كما يفعله المنصف، ألا ترى الصحابة لو وفوا النظر حقه، وأعطوا المراتب حقه، لم يقولوا في جبريل عليه السلام: إنه دحية الكلبي، ولقالوا: إن لم يكن روحانياً تجسد وإلا فهو دحية الكلبي، أدركناه بالعين الحسي، فلم يمرروا ولا أعطوا الأمر الإلهي حقه، فهم الصادقون الذين ما صدقوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: هو جبريل؛ فحينئذ عرفوا ما رأوا وبماذا رأوا، كما قالوا فيه لما تمثل لهم في صورة أعرابي مجهول عندهم، حين جاء يعلم الناس دينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من السائل؟» فقالوا: «الله ورسوله أعلم» لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم، فقال لهم «هذا جبريل» فإن كان هذا الحديث بعد حديث دحية فقولهم: «الله ورسوله أعلم» يحتمل أنهم أرادوا احتمال المعنى، أو الصورة الروحية، أو يكون إنساناً في نفس الأمر، وإن كان هذا الحديث أولاً، فما جهلوا أنه إنسان، ولكن جهلوا اسمه ولمن يتسبب من قبائل العرب.

(ف ح ١ / ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٤ - ح ٣ / ٥٠٧، ٥٠٩)

فلا يعرف الرائي أنه أدرك ما أدركه بعين الخيال، ما لم يعلم المدرك ما هو؟ وما في الكون أعظم شبهة من التباس الخيال بالحس، فإن الإنسان إن تمكن في هذا النظر شك في العلوم الضرورية، وإن لم يتمكن فيه أنزل بعض الأمور غير منزلتها، فإذا أعطاه الله قوة التفصيل، أبان له عن الأمور إذا رآها بأي عين رآها، فيعلم ما هي إذا علم العين التي رآها بها من نفسه، فأكد ما على أهل الله علم هذا العلم، وكثير من أهل الله من لا يجعل باله لما ذكرناه، ولولا علمه بنومه فيما يراه أنه رآه في حال نومه، ما قال إنه خيال، فكم يرى في حال

اليقظة مثل هذا ويقول: إنه رأى محسوساً بحسه، ألا تراه ﷺ في صدق رؤياه، أنه ما يجري على نفسه حال في جسده، إلا ويظهر ذلك له في صورة مجسدة إذا هو نام، فيحكم على محسوسه بما علمه من صورة متخيلة، فليل له في الوضوء عندما نام ونفخ فلم يتوضأ، وصل بالوضوء الذي نام عليه: إن عيني تمانان ولا ينام قلبي؛ يقول إنه لما انقلب إلى عالم الخيال، رأى صورته هناك، وهو قد نام على طهارة، ما رأى أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء، فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه (ف ح ٣ / ٥٠٩)

علاقة القوى الإنسانية بالخيال:

لما وصل الخلق إلى الإنسان الكامل، الذي أقامه الحق بزرخاً بين الحق والعالم - فيظهر بالأساء الإلهية فيكون حقاً ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقاً - جعله على ثلاث مراتب: عقل وحس وهما طرفان، وخيال وهو البرزخ الوسط بين الحس والمعنى، وجعل الله تعالى للروح الإنساني في الجسم - الذي جعله الله له مُلكاً واستوى عليه - آلات طبيعية كالعين والأذن والأنف والحنك، وجعل فيها قوة سبها سماعاً وبصراً وغير ذلك، وخلق لهذه القوى الحسية وجهين: وجهاً إلى المحسوسات عالم الشهادة، ووجهاً إلى حضرة الخيال، وجعل حضرة الخيال محلاً واسعاً، أوسع من عالم الشهادة، وجعل في القوى الإنسانية قوة تسمى الخيال، إلى قوى كثيرة روحانية معنوية، مثل المصورة والفكر والحفظ والوهم والعقل، وأمر الإنسان بالمحافظة على هذه القوى، فإذا لم يتحفظ الإنسان في غذائه، ولم ينظر في صلاح مزاجه وروحه الحيواني المدير لطبيعة بدنه، اعتلت القوى وضعفت، وفسد الخيال والتصوير من الأبخرة الفاسدة الخارجة من القلب، وضعف الفكر وقل الحفظ، وتعطل العقل بفساد الآلات التي بها يدرك الأمور، فإن المَلِكَ إنما هو بوزعته ورعاياه، وكذلك الأمر أيضاً إن صلح، فإذا طرأ على محل قوة ما خلل، فإن حكمها يفسد وتخبط، ولا يعطي علماً صحيحاً لمحل الخيال إذا طرأت فيه علة، فالخيال لا يبطل، وإنما يبطل قبوله الصحة فيما يراه علماً، وكذلك العقل وكل قوة روحانية، ولذلك فإن من أجزاء الصديقية، العقل والفكر الصحيح، والخيال الصحيح، والإيمان بصدق المخبر وإن أحاله العقل الذي ليس بسليم، فإن بهذه القوى تدرك النفس الإنسانية الناطقة، في الإنسان الكامل

والحيوان - وهو مطلق الإنسان - جميع ما يعطيها حقائق هذه القوى من المعلومات، وأعلم أن القوى الخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة في الإنسان، بما هو حيوان من حيث الروح الحيواني، ولكنها في الإنسان أقوى منها في الحيوان، وخص الإنسان بالقوة المصورة والمفكرة والعاقلة، فيتميز عن الحيوان، وإليك تفصيل هذه القوى في الإنسان.

(فح ٢/ ٣٩١، ٦٩١ - ح ٣/ ٢٨، ٥٣٢، ١٥٩ - ح ٢/ ٩١ - ح ٣/ ٣٦٤، ٣٨ - ح ١/ ١٢٤)

الحس:

الإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الحسية، وهي على خمس: الشم والطعم واللمس والسمع والبصر، إذا كان المعلوم محسوساً، ويختلف إدراك المدركات من القرب والبعد، وبالوجه الذي للبصر إلى عالم الشهادة، تدرك جميع المحسوسات، ويرفعها البصر إلى الخيال، فالحس يرفع إلى الخيال ما يدركه، ويؤرسال الخواص في المحسوسات تمتلئ خزانة الخيال، فجميع ما يدركه الإنسان في النوم، هو ما ضبطه الخيال في اليقظة من الخواص، وهو على نوعين: إما ما أدرك صورته في الحس، وإما ما أدرك أجزاء صورته التي أدركها في النوم بالحس، لا يد من ذلك، فإن نقصه شيء من إدراك الخواص في أصل خلقته، فلم يدرك في اليقظة ذلك الأمر، الذي فقد المعنى الحسي الذي يدركه به في أصل خلقته، فلا يدركه في النوم أبداً، فالأصل الحس، والإدراك به في اليقظة، والخيال تبع في ذلك، ولذلك سمي الخيال بالحس المشترك للمناسبة بين الحس والخيال، وكل ما يعطيه الحس من المغالط، ليس على الحقيقة نسبة الغلط فيه إلى الحس، وإنما الغلط للمحاكم وهو أمر وراء الحس. (فح ١/ ٩٤ - ح ٣/ ٣٨، ٣٦٤ - ح ٢/ ٤٤، ٣٧٥ - ح ٣/ ١٠٧ - الأعلاني)

القوة المصورة:

القوة المصورة في الإنسان تحت حكم العقل والوهم، يتصرف فيها العقل بالأمر، وكذلك الوهم أيضاً يتصرف فيها بالأمر، ومادة القوة المصورة من المحسوسات، فتركب الصورة في الخيال ما شاءته، من صور لم يوجد لها عين، لكن أجزاءها كلها موجودة حساً، فقد تأخذ القوة المصورة أموراً من موجودات مختلفة، كلها محسوسة، وتركب منها شكلاً غريباً، ما أبصرته قط حساً بمجموعه، ولكن ما فيه جزء إلا وقد أبصرته، فالقوة المصورة

لها سلطان على القوة الخيالية، فهي رئيسة عليها، وإن كانت لها رئاسة أعني القوة الخيالية، فإن القوة المصورة تصور من خزانة الخيال بحسب ما تعشقت به، وإن كانت القوة المصورة قد صورت ذلك عن أمر العقل بقوة الفكر، فذلك لطلب العلم بأمر ما، والعلم مقيد بلا شك، وإن كان ما صورته المصورة عن أمر الوهم، لا من حيث ما تصرف به العقل من حكم الوهم، بل من الوهم نفسه، فإن تلك الصورة لا تبقى، فإن الوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده.

(ف ح ٣ / ٣٦٤ - ح ١ / ١٢٥ - ح ٣ / ٣٨ - ح ١ / ٢٤٠ - ح ٢ / ٤٨ - ح ٣ / ١٦٤)

القوى الحافظة :

من القوى الروحانية في النفس الناطقة القوة الحافظة، جعلها الله على خزانة الحفظ، تمنع أن يخرج منها ما اختزنته فيها، وتأخذ ما فارق الحال فتحزنه فيها، ولهذا القوى الحافظة سادسان: الواحد الذكر، وقد وكلته بحفظ المعاني المجردة عن المواد، والسادن الآخر الخيال، وقد وكلته بحفظ المثل في تلك الخزانة، وبقيت هي مشغولة بقبول ما يأتي إليها عند مفارقة الحال، وإن شئت قلت: إن الحواس ترفع إلى الخيال جميع المحسوسات، فيحفظها الخيال بالقوة الحافظة. (ف ح ٣ / ٤٠٥، ٣٨)

القوة الذاكرة :

اعلم أن الذاكر لا بد أن يحضر مذكوره في نفسه، إن كان المذكور ذا صورة في اعتقاده، أحضره في خياله، وإن كان من غير عالم الصور أو لا صورة له، أحضرته القوة الذاكرة، فإن القوة الذاكرة من الإنسان تضبط المعاني، والقوة التخيلية تضبط المثل التي أعطتها الحواس، وما تركبه القوة المصورة من الأشكال الغريبة التي استفادت جزئياتها من الحس، لا بد من ذلك. (ف ح ٢ / ١٥١)

الفكر

من البلاء الذي ابتلى الله تعالى به الإنسان، أن خلق فيه قوة تسمى الفكر، وجعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل، وجبر العقل مع سيادته على الفكر، أن يأخذ

منه ما يعطيه، ولم يجعل للفكر محلاً إلا في القوة الخيالية، وجعل سبحانه القوى الخيالية محلاً جامعاً لما تعطيه القوى الحساسة، وجعل لها قوة يقال لها المصورة، فلا يحصل في القوة الخيالية إلا ما أعطاه الحس، أو أعطته القوة المفكرة، وقيل للفكر ميز بين الحق والباطل الذي في هذه القوة الخيالية، فكان سبب الحيرة لصاحب النظر العقلي، إنما هو اتساع عالم الخيال^(١)، فإنه ما من دليل إلا وعليه عنده دخل وشبهة، إذ القوة المفكرة ما لها تصرف إلا في الحضرة الخيالية، أو بما فيها مما اكتسبته من القوى الحسية، أو مما تصوره القوة المصورة، وقوة الفكر يلحق الخيال الصور المحسوسة بالمعقولات، لأن الخيال قد لطف صورتها التي كانت في الحس من الكثافة، فتروحت بواسطة هذا البرزخ، فإن الخيال محل العمل في التلطيف والتكثيف. (ف ح ١ / ١٢٥ - ح ٤ / ١٨٥ - ح ١ / ٣٩٥، ٣٩٦)

العقل :

لا يصح أن يقبل العقل إلا ما علمه بديهية أو ما أعطاه الفكر، وهو يشهد المعاني مجردة عن المواد التي كان الخيال يعطيه إياها، ونظر العقل عمتزج بالحس من طريق الخيال، لأنه يأخذ عن الفكر عن الخيال عن الحس، إما بما يعطيه أو بما تعطيه القوة المصورة، فإن قلنا: إن الخيال فقير إلى الحواس، فلا يتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى، ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى، لا يبقى في الخيال منها شيء، فهو فقير إلى الحواس وإلى القوة الحافظة، ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها وبين الخيال، فيفوت الخيال أمور كثيرة، من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف لوجود المانع، فافتقر إلى القوة المدكرة، فتذكره ما غاب عنه، فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك، ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال، افتقرت إلى القوة المصورة، لتركبها مما ضبطه الخيال من الأمور، صورة دليل على أمر ما، وبرهان تستند فيه إلى المحسوسات أو الضروريات، وهي أمور مركوزة في الجبلة، فإذا تصور الفكر ذلك الدليل، حيثئذ يأخذ

(١) التوسع الإلهي لا ينحصر ولا يدخل تحت الحد فيضبطه الفكر، فكل ما ثبت في النظر الفكري من انبساط الحقائق، فهو عند العلماء بالله بالكشف والمشاهدة من الأغاليط، عصمتنا الله وإياكم من أغاليط الأفكار. (التنزلات الموصلية)

العقل منه، فيحكم به على المدلول، وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط، فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت، فانظر يا أخي ما أفقر العقل، حيث لا يعرف شيئاً إلا بواسطة هذه القوى، وفيها من العلل ما فيها، فإنه بالنظر إلى ذاته، لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها. (فح ١ / ٩٤ - ح ٣ / ٢٣٤ - ح ١ / ٦٠٨، ٢٨٩)

ومن أثر سلطنة الوهم على العقل، أن أثر فيه أن لا يقبل معنى - يعلم قطعاً أنه ليس بإداة ولا في مادة - إلا بتصور، وذلك التصور ليس غير الصورة التي يحكم بها الوهم، فصار العقل مقيداً بالوهم بلا شك فيما هو به عالم بالنظر، وأما علمه الضروري فليس للوهم عليه سلطان، وبه يعلم أن ثم معاني ليست بمواد ولا في أعيان مواد، وإن لم يقبلها بالنظر إلا في مواد، من خلف حجاب رقيق يعطيه الوهم. (فح ٣ / ٣٦٤)

الوهم

إن للوهم حكماً في الإنسان كما للعقل حكماً فيه، فمن القوى التي خلقها الله في هذا الخليفة - بل في الإنسان الكامل والحيوان وهو مطلق الإنسان - قوة تسمى الوهم، وقوة تسمى العقل، وقوة تسمى الفكر، وميز الحضرات الثلاث لهذا الخليفة، وجعل فيه قوة مصورة تحت حكم العقل والوهم، يتصرف فيها العقل بالأمر، كذلك الوهم يتصرف فيها بالأمر، وقوى في هذه النشأة سلطان الوهم على العقل، والوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفادته^(١)، فآثر الأوهام في النفوس البشرية، أظهر وأقوى من أثر العقول، إلا من شاء الله تعالى، فالغالب على الخلق حكم الأوهام، لسلطنة الوهم على العقل، فالوهم مثلاً يلحق الحق بالحسوسات، ويتوهم في الحق أنه لا يقول للشيء كن إلا إذا أَرَادَهُ، ويرى أن الموجودات يتأخر وجود بعضها عن بعض، وكل موجود منها لابد أن يكون مراداً بالوجود، ولا يتكون إلا بالقول الإلهي على جهة الأمر، فيتوهم الإنسان أو ذو القوة الوهمية أوامر كثيرة، لكل شيء كائن أمراً إلهياً، لم يقله الحق إلا عند إرادته تكوين ذلك الشيء، فبهذا الوهم عينه يتقدم الأمرُ الإيجاد أو الوجود، لأن الخطاب

(١) العقل مشتق من العقال وهو القيد.

الإلهي على لسان الرسول اقتضى ذلك، فلا بد من تصوره، وإن كان الدليل العقلي لا يتصوره ولا يقول به^(١)، ولكن الوهم يحضره ويصوره صورة وجودية، وإن كان لا يقع في الوجود الحسي أبداً، ولكن لها وقوع في الوهم.

(ف ح ١ / ٤١٥ - ح ٣ / ٣٦٤ - ح ٤ / ٤٠٩ - ح ٣ / ٣٦٥)

والوهم الذي هو على صورة العقل، يرجع على الله ما لم يرجحه الله، وما رجح الله إلا الواقع، فأوقع ما أوقع حكمة منه، وأمسك ما أمسك حكمة منه، وهو الحكيم العليم، والعقل لا يعطي صاحبه في الواقع إلا الوقوف، فإنه يدري ممن صدر^(٢)، وقد اتفق في الوجود أمر غريب، وذلك أن ثم أموراً يتحقق بها العقل، ويثبت عليها ولا يتزلزل، وتتفلسف من الوهم، ولا يقدر يبقى على ضبطها، مثل أن الحق ما أحب إلا نفسه في صورة العالم^(٣)، وهي مسألة يثبتها العقل ولا يقدر يزول عنها، وتتفلسف من الوهم ولا يقدر على ضبطها، وثم أمور أخرى بالعكس، تتفلسف من العقل وتثبت في الوهم، ويحكم عليها ويؤثر فيها، كمن يعطيه العقل بدليله أن رزقه لا بد أن يأتيه، سعى إليه أو لم يسع، فيتفلسف هذا العلم عن العقل، ويحكم عليه الوهم بسلطانه، أنك إن لم تسع في طلبه تمت، فيغلب عليه، فيقوم يتعمل في تحصيله، فحقه من جهة عقله زائل، وباطله من جهة وهمه ثابت لا يتزلزل، وكمن يرى حية أو أسداً، على صورة لا يتمكن فيها يعطيه العقل أن يصل ضرره إليه، فيغيب عن ذلك الدليل ويتوهم ضرره، فيتفر منه ويتغير وجهه وباطنه بحكم الوهم وسلطانه، وهذا موجود^(٤)، فللوهم سلطان في مواطن، وللعقل سلطان في مواطن، فتحفظ من الوهم فإن الوهم موجود، يبرز للنفس على صورة العقل، فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع، له في

(١) فإن تصور التقدم الزماني في تعلق المشيئة والإرادة والقول الإلهي عند الإيجاد، لا يصح في حق الحق، فإن الترتيب والتقدم هنا بالرتبة لا بالوجود، الذي يقتضي الترتيب الزماني، فهذا من حكم الوهم في العقائد.

(٢) فالعقل يؤدي إلى الرضى والتسليم، والوهم يدفع إلى السخط وعدم الرضى والاعتراض بقول «لو كان كذا».

(٣) راجع كتابنا الحب ص ٢٩.

(٤) يعني تأثير الوهم في باطن الإنسان بالخوف والرعب، وفي ظاهره في الخس.

الإنسان تأثير عظيم، وهو المستولي على الناس، والباعث على الأفكار الرديئة، وهو يورث الوسوسة فتحفظ منه. (ف ح ٤ / ٢٥٩ - ح ٢ / ٣٢٦ - كتاب التدبيرات الإلهية)

ولما علم الحق ما ركب عليه العالم المكلف مما ذكرناه، أرسل الرسل إلى الناس والمكلفين، فوقفوا في حضرة الخيال خاصة، ليجمعوا بين الطرفين المعاني والمحسوسات، فهو موقف الرسل عليهم السلام، فقالوا لبعض الناس من هذه الحضرة «اعبد الله كأنك تراه» ثم نبه هذا المخاطب المكلف - بعد هذا التقرير - على أمر آخر أظف منه، لأنه علم أن ثم رجلاً علموا أن ثم معاني مجردة عن المواد، فقال له «فإن لم تكن تراه» أي تقف مع دليلك الذي أعلمك أنك لا تراه «فإنه» يعني الله «يراك» أي الزم الحياء منه والوقوف عند ما كلفك، فعدل في الخطاب إلى حكم وهم أظف من الحكم الأول، فإنه لا بد لهذا المكلف أن يعلم أنه يراه، إما بعقله أو بقول الشرع، ويكل وجه فلا بد أن يقيد الوهم، فإن العبد بحيث يراه الله، فتنتج الأهواء مع إطلاقها، ما تنتج العقول مع تقييدها، فلا يسلم لعقل حكم أصلاً بلا وهم في هذه النشأة، لأن النشأة لها ولادة على كل من ظهر فيها، وما ثم أعلى من الحق رتبة، ومع هذا تخيلته، وقال لها: تخيليني"، أمرها بذلك لكونه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ووسعها ما تعطيه حقيقتها، وجعل سعادتها في ذلك التخيل، ثم قال لها «ليس كمثله شيء» فجمعت بين التنزيه فقيدته، وبين التشبيه فقيدته، فإنها مقيدة، فلا تعلم إلا التقييد الذي هو حقيقتها. (ف ح ٣ / ٣٦٥)

وأقول أنا محمود محمود الغراب: إن الفرق بين الوهم والخيال دقيق، فقد قال الشيخ رضي الله عنه: إن الخيال حق كله، والتخيل منه حق ومنه باطل، وللتفرقة بين الحالتين، تعلق التخيل الباطل بقوة تسمى الوهم، وتعلق التخيل الحق بقوة تسمى القوة المتخيلة أو الخيال، والصحيح أن الأصل واحد، وهو الخيال والقوة المتخيلة.

القوة المتخيلة:

سبق أن ذكرنا أن الاسم الإلهي القوي، ما ظهر سلطانه ولا قوته إلا في خلق القوة المتخيلة والخيال، فإن قوة الخيال ما عندها مجال أصلاً، ولا تعرفه، فلها إطلاق التصرف (١) في قوله: اعبد الله كأنك تراه - في الحديث المتقدم.

في الواجب الوجود والمحال، وكل هذا عندها قابل بالذات إمكان التصور، وهذه القوة وإن كان لها هذا الحكم فيمن خلقها، فهي مخلوقة، وهذا الحكم لها وصف ذاتي نفسي، لا يكون لها وجود عين فيمن خلقت فيه، إلا ولها هذا الحكم، فإنه عين نفسها، وما حازها إلا هذا النشء الإنساني، وبها يرتب الإنسان الأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة، وكذلك هي، لأن لها وجوداً متخيلاً في الخيال. (ف ح ٤ / ٣٢٢، ٢١١)

وقد علمنا أن الحق ميز الحضرات الثلاث للنفس الناطقة وولاها عليها: حضرة المحسوسات، وحضرة المعاني المجردة في نفسها عن المواد - وإن لم يظهر بعضها إلا في بعض المواد - وحضرة الخيال الذي هو حضرة متوسطة بين طرفي الحس والمعنى، وهو خزانة الجبايات التي تجيها الحواس، فالخيال خزانة المحسوسات، فإن الحس يرفع إليه جميع ما يدركه، فيحفظها الخيال بالقوة الحافظة، بعد ما تصورها القوة المصورة، وجعل القوة الخيالية في مقدم الدماغ الإنساني، وجعلها فقيرة إلى الحواس، فلا تتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى، ولما كان الخيال من عالم الطبيعة، فإنه إذا جسد ما ليس بجسد، كان ذلك من فعل الطبيعة، ولذلك كان للسُّكر أثر قوي في القوة المتخيلة، فإن له أثراً في تخيل السكران وخياله.

(ف ح ٣ / ٣٦٤ - ح ١ / ١٢٠ - ح ٣ / ٣٨ - ح ١ / ٣٦٦، ٢٨٩ - ح ٢ / ١٩٢، ٥٤٤)

ثم اعلم أن الله تعالى جعل للروح الإنساني في الجسم الذي جعله الله له مُلكاً واستوى عليه، جعل فيه هذه القوى والآلات الحسية والمعنوية، وقيل له: خذ العلوم منها وصرفها على حد كذا وكذا، وجعلت له هذه الآلات على مراتب، فالقوى المعنوية كلها قوى كاملة، إلا قوة الخيال فإنها خلقت ضعيفة، والقوة الحساسة، وجعلت هاتان القوتان تابعتين للجسم، فكلما نما الجسم وكبر وزادت كميته، كلما تقوى حسه وخياله، إذ كانت جميع القوى لا تأخذ الأشياء إلا من الخيال، وهي قوة هيولانية قابلة لجميع ما يعطيها الحس من الصور، وقابلة لما تفتح فيها القوة المصورة من الصور، التي تركيبها من أمور موجودة، قد أمسكها الخيال من القوة الحساسة، وليس في القوى من يشبه الهيولي في قبول الصور إلا الخيال، فإذا تقوى الخيال، حينئذ وجد الفكر حيث يتصرف ويظهر سلطانه، والوهم كذلك، والعقل

كذلك، والقوة الحافظة كذلك، فلم تكن لطيفة الإنسان من حيث ذاتها مدركة لما تعطىها هذه القوى إلا بواسطتها، فلما اتفق أن تعطىها هذه القوى المعلومات من أول ما يظهر الولد في عالم الحس، قبلها الروح الإنساني قبولاً ذاتياً، ألا ترى أن الله قد خرق العادة في بعض الناس في ذلك، وهو ما ذكر من صبي يوسف حين شهد له بالبراءة، وكلام عيسى عليه السلام حين شهد بالبراءة، وصبي جريج حين شهد له بالبراءة، هذا سبب تأخير التكليف عن الروح الإنساني إلى الحلم، الذي هو حد كمال هذه القوى في علم الله، فلم يبق عند ذلك عذر للروح الإنساني، في التخلف عن النظر والعمل بما كلفه ربه. (ف ح ٢ / ٢٩١)

ومع كون الخيال من موالي النفس الناطقة، فإن له التحكم فيها، وما له فيها التحكم إلا أنه يصورها في أي صورة شاء، وإن كانت النفس على صورة في نفسها، ولكن لا يتركها هذا الخيال من التخيل، إلا على حسب ما يريد من الصور في تخيله، وليس للخيال قوة تخرجه عن درجة المحسوسات، لأنه ما تولد ولا ظهر عينه إلا في الحس، فكل تصرف يتصرفه في المعدومات والموجودات، وما له عين في الوجود أو لا عين له، فإنه يصوره في صورة محسوس، له عين في الوجود، أو يصور صورة ما لها بالمجموع عين في الوجود، ولكن أجزاء تلك الصورة كلها أجزاء وجودية محسوسة، لا يمكن أن يصورها إلا على هذا الحد، فقد جمع الخيال بين الإطلاق العام، الذي لا إطلاق يشبهه، فإن له التصرف العام في الواجب والمحال والجائز، وما ثم من له حكم هذا الإطلاق، وهذا هو تصرف الحق في المعلومات بواسطة هذه القوة، كما أن له التقييد الخاص المنحصر، فلا يقدر أن يصور أمراً من الأمور إلا في صورة حسية، كانت موجودة تلك الصورة المحسوسة أو لم تكن، لكن لا بد من أجزاء الصورة المتخيلة أن تكون كلها كما ذكرنا، موجودة في المحسوسات، أي قد أخذها من الحس حين أدركها متفرقة، لكن المجموع قد لا يكون في الوجود. (ف ح ٣ / ٤٧٠)

تأثير الخيال في الحس :

الاحتلام :

فإن قلت هل في قوة الخيال أن يعطي صورة حسية حقيقية، فلا يكون للحس فضل على الخيال، لأن الحس يعطي الصور للخيال؟ وكيف يكون المؤثر فيه مؤثراً فيمن هو مؤثر

فيه؟ قلنا: نعم، فإن عالم البرزخ أشد قوة في التأثير من عالم الحس، فإنه يؤثر في عالم الحس ما يؤثره الحس، والحس لا يقدر أن يؤثر في الخيال، ألا ترى النائم يرى في الخيال أنه ينجح، فينزل منه الماء في عالم الحس، ولذلك كان على صاحب مقام الورع أن يجتنب في خياله ما يجتنب في ظاهره، لأن الخيال تبع للحس، ولهذا إذا احتلم المرید برؤيا عاقبه شيخه، ألا ترى أنه ما احتلم نبي قط، ولا ينبغي له ذلك، فإن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور في اليقظة، إنها هو من بقية طبيعية في خياله، وهو كذب، فإنه يظن أنه في الحس الظاهر، فلو اجتنبه في الحس لا أثر في خياله. (ف ح ١ / ٣٠٥ - ٦٠٩، ١٧٦)

ويرى النائم ما يفزعه فيتأثر لذلك جسم النائم، بحركة أو صوت يصدر منه، أو كلام مفهوم أو عرق، لقوة سلطان الخيال، وأنت ترى نائماً إلى جنبك، وهو يبصر نفسه، معذباً أو منعماً أو تاجراً أو ملكاً أو مسافراً، ويطراً عليه خوف في منامه في خياله، فيصيح ويزعق، والذي إلى جانبه لا علم له بذلك ولا بما هو فيه، وربما إذا اشتد الأمر تغير له المزاج، فأثر في الصورة الظاهرة النائمة حركة أو زعاقاً أو كلاماً أو احتلاماً، كل ذلك من غلبة تلك القوة على الروح الحيواني، فيتغير البدن في صورته. (ف ح ٢ / ٦٠٩ - ح ٣ / ٣٨)

ويظهر الخيال في صورة الحس ما ليس في نفسه بمحسوس، ويلحقه بالحس، فقد يتخيل الإنسان أنه رأى الملك أو الجني، وهو ما رأى إلا أمثلة في خياله، قامت له لقوة سلطان الخيال عليه خارجة عن وهمه - وهو ما نسميه الوهم - فهو يصدق فيها يراه، ويخطيء في الحكم أنه رأى ملكاً أو جناً، وذلك المرئي ليس بملك ولا جان، ولهذا يحتاج إلى علامة للتمييز بين صحة الكشف والتخيل - أقول فلو علم المتخيل أن ما يراه إنما هو فعل القوة المتخيلة، ولا وجود له في الحس، لم يكن متوهماً، ولكان متخيلاً. (ف ح ٢ / ٦٠٩)

الوحس :

ولذلك نقول: إن الخيال وإن كان من الطبيعة، فله سلطان عظيم على الطبيعة، بما أيده الله به من القوة الإلهية، وإذا أردت تأتياً لذلك، فانظر في علم الطبيعة إذا توحدت

المرأة وهي حامل على شيء، خرج الولد يشبه ذلك الشيء، فإن الشهوة إرادة طبيعية مقيدة عن تخيل صوري، وإذا نظرت المرأة عند الجماع، أو تخيل الرجل، صورة عند الوقاع وإنزال الماء، يكون الولد على خلق صورة ما تخيل، ولذلك كانت الحكماء تأمر بتصوير صور الفضلاء من أكابر الحكماء في الأماكن، بحيث تنظر إلى تلك الصورة المرأة عند الجماع والرجل، فتنتطع في الخيال فتؤثر في الطبيعة، فتخرج تلك القوة التي كانت عليها تلك الصورة، في الولد الذي يكون من ذلك الماء، وهو سر عجيب في علم الطبيعة، كما قالت الحكماء إذا أراد الإنسان أن ينجب ولده، فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته، صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يحكم أمر ذلك، فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآها عليها المصور، ويذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة، وإذا صورها المصور فليصورها على صورة حسن علمه وأخلاقه، وإن كانت الصورة المحسوسة قبيحة المنظر، فلا يصورها إلا حسنة المنظر، بقدر حسن علمه وأخلاقه. كأنه يجسد تلك المعاني، ويحضر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع، ويستفرغان في النظر إلى حسنها، فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع، أثر في ذلك الحمل ما تخيل من تلك الصورة في النفس، فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد، حتى إن لم يخرج كذلك، فلأمر طراً في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم، أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران، وتعبس عنه العامة بتوحم المرأة، وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين، صورة كلب أو أسد أو حيوان ما، فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه، على صورة ما وقع للوالدين من تخيل ذلك الحيوان، وإن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيله الوالد وصورة ما تخيلته الأم، حتى في الحسن الظاهر في الصورة أو في القبح، وهم مع معرفتهم بهذا السلطان لا يرفعون به رأساً، وانظر ما أثر سلطان الخيال في زكريا في ابنه يحيى عليها السلام، حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم عليها السلام، وانظر في تكوين عيسى عليه السلام عن مشاهدة مريم جبريل في صورة بشر، كيف جمع بين كونه روحاً يحيى الموتى وبين كونه بشراً، إذ كان الروح به تحيا الأجسام الطبيعية.

(فح ٣ / ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩ - ح ٢ / ١٩٢، ٣٧٧ - ح ٣ / ٥٠٧)

ولد الرؤيا:

حتى إذا دلت الرؤيا على وجود ولد، فذلك الولد مخلوق من عين تلك الرؤيا ماء في صلب أبيه، وإن كان الماء قد نزل في الرحم، تصورت فيه تلك الرؤيا ولداً، فهو ولد رؤيا، وإن لم تتقدم له رؤيا، فهو على أصل نشأته كما هو سائر الأولاد، فاعلم ذلك فإنه سر عجيب وكشف صحيح، وكل ولد يكون عن رؤيا ترى له تمييزاً على غيره، ويكون أقرب إلى الأرواح من غيره، إن جعلت بذلك هكذا تبصره، وكل مخلوق من حالة أو عرض أو نسبة من ولاية أو غيرها يكون عن رؤيا، يكون له ميز على من ليس عن رؤيا، وانظر ذلك في رؤيا آمنة أم رسول الله ﷺ يبدو لك صحة ما ذكرناه، فكان ﷺ عين رؤيا أمه، ظهرت في ماء أبيه بتلك الصورة التي رآه أمه، ولذلك كثرت المراثي فيه ﷺ فتميز عن غيره^(١). (فح ٢ / ٣٧٧ / ٣٧٨)

إيراد الكبير على الصغير:

إيراد الكبير على الصغير، هو اتساع الصغير لدخول الكبير فيه، مع بقاء الصغير على صفوه والكبير على كبره، كالجمل يلج في سم الخياط، يشاهد ذلك حساً لا خيالاً^(٢)، يحدث هذا في حضرة الخيال، فإن ذلك من حقيقته، رأى رسول الله ﷺ الجنة والنار في عرض الحائط، وقد ورد في الخبر أن النبي ﷺ خرج وفي يده كتابان مطويان، قابضاً بكل يد على كتاب، فسأل أصحابه أتدرون ما هذان الكتابان؟ فأخبرهم أن في الكتاب الذي بيده اليمنى، أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم، من أول من خلقه الله إلى يوم القيامة، وفي اليد الأخرى في الكتاب الآخر، أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم إلى يوم القيامة، فهذا من إيراد الكبير على الصغير، من غير تصغير الكبير أو تكبير الصغير، وإلا فأبي ديوان يحصر أسماء هؤلاء، مع صغر حجم الكتاب وكثرة الأسماء، ويُعلم من هذا، أن الأمر الذي يحيله العقل، لا يستحيل نسبة إلهية، فتعلم أن الله قادر على المحال

(١) راجع قصة الجوهرى في باب خلق الخيال ص ٢٢.

(٢) المقصود بهذه الكلمة الخيال المتصل الذي يقوم بالإنسان كالرؤيا في النوم أو الوهم من خارج.

العقلي، كإدخال الجمل في سَمِّ الخياط، مع بقاء هذا على صغره وهذا على كبره، وهذا المقام وراء طور العقل، من حيث ما مستقل بإدراكه من كونه مفكراً، لا من كونه قابلاً.

تمكن الشيطان من حضرة الخيال:

إن الله تعالى قد مكن الشيطان من حضرة الخيال، وجعل له سلطاناً فيها، فيخيل الشيطان للإنسان أو النفس، إذ حضرة الخيال تنشئ كل صورة، فللشيطان في كل كشف يطلعك الحق عليه أمر من عالم الخيال، ينسب لك مشابهاً لحالك الذي أنت به في وقتك، فإن لم يكن لك علم قوي بما تميز به بين الحق وبين ما يخيله لك، وإلا التبس عليك الأمر، كما خيلت السحرة للعامة أن الخيال والعصي حيات، فلا يفرق بين الخيال والحقيقة، أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله، ومن أجل ذلك أمرنا رسول الله ﷺ بالنعوذ في كل صلاة من فتنة المحيا والميات، فإن فتنة المحيا قد تكون هي فتنة المسيح الدجال، لما يظهره من دعواه الألوهية، وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة، من إحياء الموتى وغير ذلك، مما ثبتت الروايات بنقله، وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه، وهي مسألة في غاية الإشكال، لأنها تقدر فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات، فيعطل بهذه الفتنة كل دليل قرره، وأي فتنة أعظم من فتنة تقدر في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد، وأما فتنة الميات فمنها ما يكون في حال النزوع والسياق، من رؤية الشياطين الذين يتصورون للمحتضر، على صورة ما سلف من آبائه وأقربائه وإخوانه، فيقولون له: مُت نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً أو معطلاً، ليحولوا بينه وبين الإسلام، ولذلك شرع التلقين عند الموت إذا احتضر، فإن الهول شديد والمقام عظيم، وهو وقت الفتنة التي قد تكون هي فتنة المحيا من بعض الوجوه، بما يكشفه المحتضر عند كشف الغطاء عن بصره، فيعاين ما لا يعاينه الحاضر، ويمثل له من سلف من معارفه على الصور التي يعرفهم فيها، وهم الشياطين تتمثل للمحتضر على صورهم بأحسن زي وأحسن صورة، يعرفونه أنهم ما وصلوا إلى ما هم فيه من الحسن، إلا بكونهم ماتوا مشركين بالله، فينبغي للحاضرين عنده في ذلك الوقت من المؤمنين، أن يلقنوه شهادة التوحيد، ويعرفوه بصورة هذه الفتنة ليتنبه بذلك، فيموت

مسلياً موحداً مؤمناً، فإنه عندما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرك بها لسانه، أو يظهر نورها في قلبه بتذكره إياها، فإن ملائكة الرحمة تتولاه، وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي محضره. (فح ٣/ ٧١، ١٩٨ - ح ١/ ١٥٨، ٤٣٢)

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: ما ترى؟ قال أرى عرشاً على الماء، فقال ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر. وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة قال: إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه فدعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتظنوا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فرده الله خاسياً.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلفني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله شكاه حاجة شديدة وعيلاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبتك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله شكاه حاجة شديدة وعيلاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبتك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، الله لا إله إلا هو الحي القيوم، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك الشيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص الناس على الخير - فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقتك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذلك شيطان.

الحروف والسيمياء :

كما أن للحروف وعلم السيمياء تأثيراً في حضرة الخيال فإنك إذا أكلت بالسيمياء أكلت ولا تهجد شعباً، وإذا أراك صاحب العلم السيمائي تدخل الحمام ثم ترجع إلى نفسك لا ترى لذلك حقيقة، فكل ما تراه بطريق السيمياء إنها هو مثل ما يراه النائم فإذا انتبه لم يجد شيئاً مما رآه، فإن صاحب علم السيمياء له سلطان وتحكم على خيالك بخواص الأسماء والحروف يخطف به بصر الناظر عن الحس ويصرفه إلى خياله، فيرى مثل ما يرى النائم وهو في يقظته، وأما حضرة الخيال الحق فإنك إذا أكلت بها شبعت، وإن أمسكت فيه شيئاً من ذهب أو ثياب أو ما كان بقي معك على حاله لا يتغير، ومن هذا المقام قال رسول الله ﷺ لست كهيتكم إنى أبيت معي مطعم يطعمني وساق يسقيني وفي رواية يطعمني ربي ويسقيني، فلم يكن في تلك الجماعة التي خاطبها في ذلك الوقت من له هذا المقام، فكان إذا أكل شبع وواصل على قوة معتادة، ولما كان الأكل في حضرة الخيال لا في حضرة الحس صح أن يكون مواصلاً^(١). (ف ح ٣/٤٣)

السحر - الفرق بين عصا موسى وعصي السحرة :

يقول الله تعالى: ﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ اعلم أن من خرق العوائد قسماً يرجع إلى ما يدركه البصر، أو بعض القوى، على حسب ما يظهر لتلك القوة مما ارتبطت في العادة بإدراكه، وهو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة، وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر، ومنه ما يرجع إلى خواص أسماء، إذا تلفظ بتلك الأسماء، ظهرت تلك الصور في عين الرائي أو في سمعه خيالاً، وما تم في نفس الأمر - أعني في المحسوس - شيء من صورة مرئية ولا مسموعة، وهو فعل الساحر، وهو على علم أنه ما شيء مما وقع في الأعين والأسماع، وللأسماء سلطان على خيال الحاضرين، فتخطف أبصار الناظرين، فيرى صوراً في خياله كما يرى النائم في نومه، وما تم في الخارج شيء مما يدركه، لذا قال تعالى: ﴿يخيل إليه﴾ يعني إلى موسى، فإن موطن الخيال يعطي في

(١) راجع وراثته الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي للنبي ﷺ لهذا المقام في كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٠١.

أعين الناظرين حياة الجهادات وحركتها، وهي في نفسها ليست بتلك الحياة التي تدركها الأبصار، كحبال سحرة موسى عليه السلام وعصيتهم، يخيل إلى موسى ﴿من سحرهم﴾ الذي سحروا به أعين الناس وعلمهم بما فعلوه، والسحر مأخوذ من السحر، وهو اختلاط الضوء والظلمة، فالسحر له وجه إلى الظلمة. وليس ظلاماً خالصاً، وله وجه إلى الضوء وليس ضوءاً خالصاً، كذلك السحر له وجه إلى الحق، وهو ما ظهر إلى بصر الناظر أنه حق، وله وجه إلى الباطل، لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر، فلهذا سمته العرب سحراً، وسمي العامل به ساحراً لا العالم به ﴿أنها تسعى﴾ وليست بساعية في نفس الأمر، أقاموا ذلك في حضرة الخيال المنفصل، أمام الجميع، فرأوا العصي والحبال في صور الحيات، وكذلك أدركها موسى مخيلة، ولا يعرف أنها مخيلة، بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم، فهي ساعية في نظر موسى ونظر الحاضرين، إلا السحرة فإنهم يرونها حبالاً، والغريب لو ورد لرآها كما يراها السحرة، فكان فعل السحرة عن حكم أسماء كانت عندهم، لها في عيون الناظرين خاصية النظر إلى ما يريد الساحر إظهاره، فله بتلك الأسماء قلب النظر، لا قلب المنظور فيه، وهذا بخلاف عصا موسى عليه السلام حين ألقاها عن الأمر الإلهي، فانقلب المنظور فيه فتبعه النظر، فتلك حبال نشأت بين الخيال وبين أعين الناظرين أنها تسعى، وهي أجسام في عيناها، لا حكم لها في السعي، فظهرت في عين موسى بصورة الجسم الذي له سعي، والأمر في نفسه ليس كذلك، وامتلاً الوادي من حبالهم وعصيتهم، ورآها موسى فيما خيل له حيات تسعى، فلهذا خاف موسى عليه السلام ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ لم يكن نسبة الخوف إلى موسى عليه السلام في هذا الوقت نسبة الخوف الأول، فإن الخوف الأول لما ألقى موسى عصاه فكانت حية تسعى، خاف منها على نفسه على مجرى العادة، فولى مدبراً ولم يعقب، حتى أخبره الله تعالى، وكان خوفه الثاني الذي ظهر منه للسحرة، عندما ألفت السحرة الحبال والعصي، فصارت حيات في أبصار الحاضرين، كان هذا الخوف الآخر على الحاضرين من الأمة، لثلاث تظهر عليه السحرة بالحجة، فيلتبس الأمر على الناس، فلا يفرقون بين الخيال والحقيقة، أو ما بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله، فاختلف تعلق الخوفين، فإنه عليه السلام على بينة من ربه، قوي الجأش بما تقدم له في الإلقاء الأول ﴿خذها ولا تخف سعيها سيرتها الأولى﴾ أي ترجع عصاً كما كانت في

عينك، فلما خاف موسى عليه السلام على الأمة قال الله له: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ لما ادعى فرعون الفوقية اللاتقة بالربوبية، وهي الفوقية الحقيقية في قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ كذبه الله تعالى بقوله تعالى لموسى ﷺ ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ ولما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه، وما علموا متعلق هذا الخوف، أي شيء هو؟ علموا أنه ليس عند موسى من علم السحر شيء، فإن الساحر لا يخاف مما يفعله، لعلمه أنه لا حقيقة له من خارج، وأنه ليس كما يظهر لأعين الناظرين، فأمر الله موسى أن يلقي عصاه، وأخبر أنها تلقف ما صنعوا، فقال تعالى ﴿والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية، تلقفت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصي، أي تلقفت صور الحيات منها المتخيلة في عيون الحاضرين، فأبصرت السحرة والناس حبال السحرة وعصيم التي ألقوها حبالاً وعصياً كما هي، وأخذ الله بأبصارهم عن ذلك، فهذا كان تلقفها، لا أنها انعدمت الحبال والعصي، إذ لو انعدمت لدخل عليهم التليس في عصا موسى، وكانت الشبهة تدخل عليهم، فإن الله يقول ﴿تلقف ما صنعوا﴾ وما صنعوا الحبال ولا العصي، وإنما صنعوا في أعين الناس صور الحيات، وهي التي تلقفت عصا موسى، وما قال تعالى ﴿تلقف حبالهم وعصيم﴾ ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ أي فعلوا ما يقارب الحق، فإن الكيد من كاد، وكاد من أفعال المقاربة، أي فعلوا ما يقارب الحق في الصورة الظاهرة للبصر ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فكانت الآية عند السحرة خوف موسى، وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي، فكان ظهور حجته على حجته، أن بقيت حبالهم وعصيم في صور حبال وعصي، فلما رأى الناس الحبال حبالاً، علموا أنها مكيدة طبيعية، يعضدها قوة كيدية روحانية، وأما العامة فنسبوا ما جاء به موسى، إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة، إلا أنه أقوى منهم وأعلم بالسحر، بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى، فقالوا: هذا سحر عظيم، ولم تكن آية موسى عند السحرة، إلا خوفه وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي خاصة، فمثل هذا خارج عن قوة النفس، فتخيل السحرة أن موسى خاف من الحيات، وكان موسى في نفس الأمر غير خائف من الحيات، لما تقدم له في ذلك من الله في الفعل الأول، حين قال له ﴿خذها ولا تخف﴾ فنهاه عن الخوف منها، وأعلمه أن ذلك آية له،

فكان خوفه الثاني على الناس، لئلا يلتبس عليهم الدليل والشبهة، والسحرة تظن أنه خاف من الحيات، فلبس الله عليهم خوفه كما لبسوا على الناس، لأن السحرة لو علمت أن خوف موسى من الغلبة بالحجة، لما سارعت إلى الإيذان، ثم إنه كان لحية موسى التلقف، ولم يكن لحياتهم تلقف ولا أثر، لأنها حبال وعصي في نفس الأمر، فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحجة، وأنه خارج عما جاؤوا به، وتحققت شقوف ما جاء به على ما جاؤوا به، ورأوا عصاه حية حقيقة، علموا عند ذلك أنه أمر غيب من الله، الذي يدعوهم إلى الإيذان به، وما عنده من علم السحر خبير، لما علمت من خوف موسى أنه لو كان ذلك منه وكان ساحراً، ما خاف، لأنه يعلم ما يجري، فأية موسى عند السحرة خوفاً، وآيته عند الناس تلقف عصاه، وعلم السحرة أن أعظم الآيات في هذا الموطن، تلقف هذه الصور من أعين الناظرين، وإبقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم، والحال عندهم واحدة، فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه، وأن هذا الذي أتى به خارج عن الصور والخيال المعلومة عند السحرة، فهو أمر إلهي ليس لموسى عليه السلام فيه تعمل، فصدقوا برسالته على بصيرة، وآمنت السحرة ﴿فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ لما علمت السحرة أن الذي جاء به موسى من عند الله، آمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم، ونخروا سجداً عند هذه الآية، قيل كانوا ثمانين ألف ساحر، آمنوا واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله، وآثروا الآخرة على الدنيا، وعلموا من علمهم بذلك أن الله على كل شيء قدير، وقالت السحرة ﴿آمننا برب هارون وموسى﴾ قالت ذلك لرفع اللبس من أذهان السامعين.

(فح ١/ ٢٣٤ - ح ٢/ ٣٧ - ح ٤/ ١٠٩ - ح ٢/ ٥٧٦ - ح ٣/ ٥٠٧، ٢٨٨ - ح ٢/ ٣١١ - ح ٣/ ٢٨٨ - ح ٤/ ١٠٩ - ح ٣/ ١٠٨ - ح ١/ ٢٣٥، ١٥٨، ٢٣٥ - ح ٢/ ٥٧٦ - ح ١/ ٢٣٥، ١٥٨)

الخيال المتصل والخيال المنفصل :

نعلم من خلاصة ما سبق، أن الخيال المنفصل هو حضرة البرزخ الجامعة الشاملة، حضرة التضاهي الخيالي، وعالم الحقائق والامتزاج، فيها يتجلى الحق في الصور، أي كانت

الصور، وفيها تظهر الروحانيات من الملائكة والجان في التشكل في الصور، مثل تمثل جبريل لمريم في صورة البشر، وتمثل الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة الضيوف، وفيه تنزل المعاني في الصور والقوالب الحسية، وفيه يتروحن البشر في الصور، ويدخل فيها شاء من الصور، كفضيب البان وغيره، وكل ما يظهر في حضرة الخيال المنفصل فهو أجساد لا أجسام، لا يمكن تمييزها إلا بقوة إلهية يعطيها الحق من شاء من عباده، وأما الخيال المتصل، فهو القوة التخيلية المخلوقة في الإنسان، وبها يدخل حضرة الخيال المنفصل في اليقظة والنام.

ولذلك نقول: إن للخيال حالين، حال اتصال، وهذا الحال له بوجود الإنسان وبعض الحيوان، وحال انفصال، وهو ما يتعلق به الإدراك الظاهر منحازاً في نفس الأمر، كجبريل في صورة دحية ومن ظهر من عالم الستر من الجنة من مَلَكٍ وغيره، والفرقان بين الخيال المتصل والخيال المنفصل، أن المتصل يذهب بذهاب التخيّل (اسم فاعل)، والمنفصل حضرة ذاتية قابلة دائماً للمعاني والأرواح، فتجسدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك، ومن هذا الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل، والخيال المتصل على نوعين: منه ما يوجد عن تخيل، ومنه ما لا يوجد عن تخيل، كالثائم ما هو عن تخيل ما يراه من الصور في نومه، والذي يوجد عن تخيل ما يمسكه الإنسان في نفسه، من مثل ما أحس به، أو ما صورته القوة المصورة، إنشاءً لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها، لكن آحاد المجموع لا بد أن يكون محسوساً، فقد يتدرج التخيّل (اسم مفعول) الذي هو صورة المَلَك في صورة البشر، وهو من الخيال المنفصل في الخيال المتصل، فيرفعه في الخيال المتصل، وهو حال بينهما صورة حسية، لولاها ما رفع مثالها الخيال المتصل، وأنت قد عاينت في حسك وصل ما تعطيه نشأتك في نفسك، المعاني والروحانيين يتخيلون ويتمثلون في الأجساد المحسوسة في نظرك، بحيث إذا وقع أثر في ذلك المتصور، تأثر المعنى المتصور فيه في نفسه، ولا شك أنك أحق بحضرة الخيال من المعاني ومن الروحانيين، فإن فيك القوة التخيلية، وهي من بعض قواك التي أوجدك الحق عليها، فأنت أحق بملكها والتصرف فيها من المعنى، إذ المعنى لا يتصف بأن له قوة خيال، ولا الروحانيون من الملأ الأعلى بأن لهم في نشأتهم قوة خيال، ومع هذا فلهم التمييز في هذه الحضرة الخيالية بالتمثل والتخيل، فأنت

أولى بالتخييل والتمثيل منهم، حيث فيك هذه الحضرة حقيقة، فالعامة لا تعرفها ولا تدخلها إلا إذا نامت، ورجعت القوى الحساسة إليها، والخواص يرون ذلك في اليقظة لقوة التحقق بها، فتصور الإنسان في عالم الغيب في حضرة الخيال أقرب وأولى، ولا سيما وهو في نشأته له في عالم الغيب دخول، بروحه الذي هو باطنه، وله في عالم الشهادة دخول، بجسمه الذي هو ظاهره، والروحاني ليس كذلك، وليس له دخول في عالم الشهادة إلا بالتمثيل في عالم الخيال، فيشده الحس في الخيال صورة ممثلة نوعاً ويقظة، فإن تميز الإنسان في عالم الغيب فله ذلك، فإنه يتميز فيه حقيقة لا خيالاً، من حيث روحه الذي لا يدركه الحس، وهو من عالم الغيب، وإن أراد أن يتروحن بجسمه ويظهر به في عالم الغيب، وجد المساعد وهو روحه المرتبط بتدبيره، فهو أقرب إلى التمثيل في حضرة الغيب من الروحاني الممثل في صورة عالم الشهادة، وهذا مقام يكتسب وينال^(١) ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة عالم الغيب، فإن في قوة الإنسان من حيث روحه، التمثيل في غير صورته في عالم الشهادة، فيظهر الإنسان في أي صورة شاء من صور بني آدم أمثاله، وفي صور الحيوانات والنبات والشجر والحجر، فإن هذه النشأة الإنسانية تعطي القبول لأي صورة كانت، فإذا علم الإنسان أنه على أصل وحقيقة تقبل الصور، فيتحمل في تحصيل أمر يتوصل به إلى معرفة الأمر، فإذا فتح له فيه، ظهر في عالم الشهادة في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء، وظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة من صوره شاء، غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب، أن الإنسان إذا تروحن وظهر للروحانيين في عالم الغيب، يعرفون أنه جسم تروحن، والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد، لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداءً حتى يعرفوا بذلك، كما قال عليه السلام حين دخل عليه الروح الأمين، في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، قال الراوي: لا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فمخذي، وذكر حديث سؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان، والساعة وما لها من الشروط، فلما فرغ من سؤاله قام ينصرف، فلما غاب قال النبي ﷺ لأصحابه: أتدرون من الرجل؟ وفي رواية: ردوا عليّ الرجل، فالتمس فلم

(١) يكتسب بالرياضة النفسية، ولو كان الإنسان على أي ملة أو لا دين له.

يبدو، فقال ﷺ: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم؛ غير أن بعض الناس يعرفون الروحاني إذا تجسد من خارج من غيره من الناس، أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها، وما كل أحد يعرف ذلك، ويفرقون أيضاً بين الصور الروحانية المعنوية المتجسدة، وبين الصور الممثلة من داخل، بعلامات يعرفونها، فيعرفون الروح إذا تجسد من خارج أو من داخل، من الصورة الجسمية الحقيقية، والعامة لا تعرف ذلك، والملائكة كلهم يعرفون الإنسان إذا تروحن وظهر فيهم بصورة أحدهم، أو بصورة غريبة لم يروا مثلها، فيزيدون على عالم البشر بهذا، وينقصهم أن يظهروا في عالمهم على صور بعضهم كما نظهر في عالمنا، إذا كان لنا هذا المقام في صورة جنسنا، وقد روينا أن جبريل ظهر في صورة الحسن رجلاً معروفاً، كظهوره في صورة دحية، وفي وقت رجلاً غير معروف، ولم يبلغنا أنه ظهر في عالم الغيب في الملائكة في صورة غيره من الملائكة، فجبريل لا يظهر في الملائكة وفي عالم الغيب في صورة ميكائيل أو إسرئيل، وقد رأينا من له قوة التمثل من البشر، يظهر في البشر في صورة بشر آخر غير صورته، فيظهر زيد في صورة عمرو، وليس للملك ذلك في عالم الغيب، وكما ظهر جبريل في صورة البشر، يظهر الإنسان في عالم الغيب عند الملائكة في صورة ملك من الملائكة، أي صورة ملك شاء. (طحا ح/ ٣ - ٤٤٢ - ح/ ٢ - ٣١١ - ح/ ٣ - ٤٢ - ٤٤)

أثر الحب في الخيال:

أحييت شخصاً جميع الناس تعرفه	من كان في بدوه أو كان في حضره
الشمس من نوره فالقلب منزله	والمسك من ريحه والشهد من أثره
إذا أصابته تسري الحياة به	في خذه فيلوب القلب من خفره
لما بحثت عليه لا أراه سوى	ما قام بالنفس منه فهو من أثره
فما يبيس قلباً في الهوى أبداً	إلا تخيله لا غير من نظره
فبالخيال نعيم الناس أجمعهم	كما به الألم الآتي على قدره
إذا علمت بهذا قد نعمت بها	تشكو نواه إذا ما غاب في سفره

(ديوان/ ٣٢١)

سبحان واضع الحكيم وناصب الآيات، ومظهر جمال الدلالات، ومن أجملها عيناً،
وأكملها كوناً، عالم الخيال، وبه ضرب الله الأمثال، ألا ترى الرؤيا وبعينها يدرك الخيال،
يرى ما يكون قبل كونه وما كان، وما هو الوقت عليه، وأي حضرة تجل فيها هذه الجمعية
إلا حضرة الخيال، وكل من تعشق بأمر ما، فيما تعشق به إلا بعد أن حصله في خياله، وجعل
له في وهمه مثلاً، وطبق محبوبه على مثاله، ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان إذا فارق من تعلق
بصره به أو سمعه أو شىء من حواسه، فارق التعلق به، ونحن لا نجد الأمر كذلك، فدل
على أن للمحبوب عند المحب، على مثال صورته وأنشأه في خياله، فلزم مشاهدته، فتضاعف
وجدته وتزايد حبه، وصار ذلك المثال الذي صورته، يجرى مصوره على طلب من صورته على
صورته، فإن ذلك الأصل هو روح هذا الخيال، وبه بقاؤه، وهو الذي يحفظه، وما اشتد
حب المحب إلا في صنعته وفعله، فإن الصورة التي تعشق بها في خياله هي من صنعته.
(ف ح ٣ / ٤٥٠)

ومن أحوال المحبين، طائفة نظرت إلى المثال الذي في خيالها، من الموجود الذي يظهر
محبوبه فيه، ويعاين وجود محبوبه، وهو الاتصال به في خياله، فيشاهده متصلأً به اتصال
لطف، اللطف منه في عينه في الوجود الخارج، وهو الذي اشتغل به قيس المجنون عن ليل،
حين جاءته من خارج، فقال لها «إليك عني» لثلاث حجب كثافة المحسوس منها، عن لطف
هذه المشاهدة الخيالية، فإنها في خياله اللطف منها في عينها وأجمل، وهذا اللطف المحبة،
وصاحب هذا النعم لا يزال مُنعماً لا يشكو الفراق، ولنا في هذا النعم اليد الطولى بين
المحبين، فإن مثل هذا في المحبين عزيز الوجود، لغلبة الكثافة عليهم، وسبب ذلك عندنا،
أنه من استفرغ في حب المعاني المجردة عن المواد، فغايته إذا كشفها أن ينزلها إلى الخيال، ولا
ينزل بها أكثر، فمن كان أكثف حاله الخيال، فما ظنك بلطافته في المعاني؟! وهذا الذي حاله
هذا، هو الذي يمكن أن يحب الله، فإن غايته في حبه إذا لم يجرده عن التشبيه، أن ينزله إلى
الخيال، وهو قوله عليه السلام «أعبد الله كأنك تراه» فإذا أحببنا ونحن بهذه الصفة موجوداً،
نحب ظهور محبوبنا فيه من المحسوسات عالم الكثائف، نلطفه بأن نرفعه إلى الخيال، لنكسوه
حسناً فوق حسنه، ونجعل في حضرة لا يمكنه الهجر معها ولا الانتقال عنها، فلا يزال في
اتصال دائم، ولنا في ذلك:

ما لمجنون هامر من هواه غير شكوى البعاد والاختراب
 وأنا ضده فإن حبسبي في خيالي فلم أزل في اقتراب
 فحبسبي مني وفي وعندي فلماذا أقسول ما بي وما بي

(فح ٢ / ٢٣٧)

وعلامة الحب الإلهي حب جميع الكائنات في كل حضرة، معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة، ولكل حضرة عين من اسمه النور، فإذا نزل العبد إلى عالم خياله، وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة، وقد كان قبل ذلك عرفها علماً وإيماناً، رأى الحق في حضرة الخيال صورة حسية فلم ينكره، وأنكره العابر والأجنب، وقد بلغ بي قوة الخيال، أن كان حبي يجسد لي محبوب من خارج لعيني، كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ، فلا أقدر أنظر إليه، ومخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه، ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً، كلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها وينظر إلي ويقول لي بلسان أسمعه بأذني: تأكل وأنت تشاهدني؟! فأمتنع عن الطعام، ولا أجد جوعاً، وأمتلئ، حتى سمنت وعبلت من نظري إليه، فقام لي مقام الغذاء، وكان أصحابي وأهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء، لأن كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقاً، ولا أجد جوعاً ولا عطشاً، لكنه كان لا يبرح نصب عيني، في قبلي وقعودي وحركتي وسكوني. (فح ٢ / ١١٣ - ح ٣ / ٢٣٥ - ح ٢ / ٣٢٥)

واعلم أن الخواص كلها وجميع القوى، لا تدرك شيئاً حساً وخيالاً إلا بالله تعالى^(١)، والكل بحمد الله خيال في نفس الأمر، لأنه لا ثبات لها دائماً على حالة واحدة «والناس نيام» وكل ما يراه النائم قد عرف ما يرى، وفي أي حضرة يرى «فلماذا ماتوا انتبهوا» من هذا النوم، فما برحوا نائمين، فما برحوا في أنفسهم في هذا التنوع، وما برح ما يدركونه في أعينهم في التنوع، فلم يزل الأمر كذلك، ولا يزال الأمر في الحياة الدنيا وفي الآخرة هكذا، فالخيال عين الكمال، لولاه ما فضل الإنسان على سائر الأحوال، به جال وصال، وافتخر وطال، وبه قال ما قال، فله الشتات، والجمع بين أضداد الصفات، حكم على المحال والواجب، بما شاءه من المذاهب، يخرق فيهما العادة، ويلحقها بعالم الشهادة، فيجسدهما في عين

(١) فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

الناظر، ويلحق الأول في الحكم بالآخر، لا يثبت على حال، وله الثبوت على تقلب الأحوال، فله من آي القرآن ما جاء في سورة الرحمن «كل يوم هو في شأن» فمن ذلك سر تمشق القوم بالنوم. (فح ٤ / ١٩ ، ٣٤٤)

التسوم

اعلم أيديك الله أن للإنسان حالتين: حالة تسمى النوم وحالة تسمى اليقظة، وفي كلتا الحالتين قد جعل الله له إدراكاً يدرك به الأشياء، تسمى تلك الإدراكات في اليقظة حساً، وتسمى في النوم حساً مشتركاً، فكل شيء تبصره في اليقظة يسمى رؤية، وكل ما تبصره في النوم يسمى رؤياً مقصوراً، وقد يتقوى الأمر على بعض الناس، فيدركون في اليقظة ما كانوا يدركونه في النوم، وذلك نادر، وهو لأهل هذا الطريق من نبي وولي. (فح ٤ / ٣٤٤)

النوم جامع أمر ليس يجمعه	غير المنام فكسر فيه واعتبر
إن الخيال له حكم وسلطنة	على الوجوديين من معنى ومن صور
وليس يدرك في غير المنام ولا	تبدل له صورة من حضرة السور
تختص بالصاد لا بالسين حضرته	فهو المحيط بما في الغيب من صور

(فح ٢ / ١٨٣)

فالنوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى البرزخ، فإذا نام الإنسان نظر البصر بالوجه الذي له إلى عالم الخيال، وهو أكمل العالم فلا أكمل منه، هو أصل مصدر العالم، له الوجود الحقيقي والتحكم في الأمور كلها، يجسد المعاني، ويرد ما ليس قائماً بنفسه قائماً بنفسه، وما لا صورة له يجعل له صورة، ويرد المحال ممكناً، ويتصرف في الأمور كيف يشاء، فالخيال له قدرة على المحال، والخيال خلق من خلق الله، ولا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك، وأراك إيها أشخاصاً قائمة، فكذلك يأتي الله بأعمال بني آدم - مع كونها أعراضاً - صوراً قائمة توضع في الموازين لإقامة القسط، ويؤتى بالموت - مع كونه نسبة فوق العرض في البعد عن التجسيد - في صورة كبش أملح، يقال نام فلان فرأى كذا، أي

مقلوبه من مان^(١)، أي كذب في عرف العادة، فإن العلم ما هولين، والقرآن ما هو عسل، ولكن هكذا تراه، فإذا كُملت رأيت علمياً في حضرة المعاني، في حال رؤيتك إياه لبناً في حضرة البرزخ، وهو هو لا غيره، وما جعل الله النوم في العالم الحيواني، إلا لمشاهدة حضرة الخيال في العموم، فيعلم أن ثمَّ عالماً آخر يشبه العالم الحسي، ونبه بسرعة استحالة تلك الصور الخيالية للناسئين من العقلاء، على أن في العالم الحسي والكون الثابت استحالات مع الأنفاس، لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس^(٢)، إلا في الكلام خاصة وفي الحركات، وما عدا هذين الصنفين، فلا تدرك صورة الاستحالات والتغيرات فيها إلا بالبصيرة، وهو الكشف، أو بالفكر الصحيح في بعض هذه الصور لا في كلها، فإن الفكر يقصر عن ذلك.

(فج ٣ / ٣٨ - ح ٢ / ١٨٣ ، ١٩٨)

والنوم هو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة الموجبة للراحة، لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة في حال اليقظة. من الحركة، وإن كان في هواها، قال تعالى ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ يقول: وجعلنا النوم لكم راحة تستريح به النفوس، وهو على قسمين: قسم انتقال وفيه بعض الراحة، أو نيل غرض أو زيادة تعب، والقسم الآخر قسم راحة خاصة، وهو النوم الخالص الصحيح الذي ذكر الله أنه جعله راحة، لما تعبت فيه هذه الآلات والجوارح والأعضاء البدنية في حال اليقظة، وجعل زمانه الليل وإن وقع بالنهار، كما جعل النهار للمعاش وإن وقع بالليل، ولكن الحكم للغالب، فأما قسم الانتقال فهو النوم الذي يكون معه الرؤيا، فتنتقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه، ليرى ما تقرر في خزانة الخيال، الذي رفعت إليه الحواس ما أخذته من المحسوسات، وما صورته القوة المصورة التي هي من بعض خدم هذه الخزانة، لترى هذه النفس الناطقة - التي مَلَكها الله هذه المدينة الإنسانية - ما استقر في خزانتها، كما جرت العادة في الملوك إذا دخلوا خزائنتهم، في أوقات خلواتهم ليطلعوا على ما فيها، وعلى قدر ما كمل لهذه النشأة، من الآلات التي هي الجوارح، والخدام الذين هم القوى الحسية، يكون الاختزان، فثمَّ خزانة كاملة لكمال

(١) مقلوب نام.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ - علم الاستحالة ص ٢٣٥ طبعة أولى، ص ٢٣٢ طبعة ثانية.

الحياة، وثُمَّ خزانة ناقصة، كالألوان فإنه لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الألوان، والجِرس لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الأصوات ولا الحروف اللفظية، هذا كله إذا عدناها في أصل نشأته، وأما إذا طرأت عليه هذه الآفات فلا، فإنه إذا انتقل بالنوم إلى باطن النشأة ودخل الخزانة، وجد صور الألوان التي اختزنها فيها قبل طرق الآفة، وكذلك كل ما أعطته قوة من قوى الحس الذين هم جباة هذه المملكة، والله تجلُّ في هذه الخزانة في صور طبيعية بصفات طبيعية، مثل قوله ﷺ: «رأيت ربي في صورة شابٍ وهو ما يراه النائم في نومه من المعاني في صور المحسوسات، لأن الخيال هذه حقيقته، أن يجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً، وذلك لأن حضرته تعطي ذلك، وما ثَمَّ في طبقات العالم من يعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية، فإنها تجمع بين النقيضين، وفيها تظهر الحقائق على ما هي عليه، لأن الحق في الأمور أن تقول في كل أمر تراه أو تدركه - بأي قوة كان الإدراك - إن ذلك الذي أدركه هو لا هو، كما قال: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ فلا تشك في حال الرؤيا في الصورة التي تراها، أنها عين ما قيل لك إنه هو، وما تشك في التعبير إذا استيقظت، أنه ليس هو، ولا تشك في النظر الصحيح أن الأمر هو لا هو، فالحق الظاهر بالصورة هو لا هو، فهو المحدود الذي لا يُحَدُّ، والمرئي الذي لا يُرى، وما ظهر هذا الأمر إلا في هذه الحضرة الخيالية في حال النوم، أو الغيبوبة عن ظاهر المحسوسات، بأي نوع كان، وهو في النوم أتم وجوداً وأعمه، لأنه للمعارفين والعامة، وحال الغيبة والفناء والمحو وشبه ذلك ما عدا النوم، لا يكون للعامة في الإلهيات، فما أوجد الله شيئاً من الكون على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه، إلا هذه الحضرة الخيالية، فلها الحكم العام في الطرفين، كما للممكن قبول النقيضين، فيكون له ذلك ذوقاً، فأوجد الله هذه الحضرة الخيالية ليظهر فيها الأمر - الذي هو الأصل - على ما هو عليه، وجعل تعالى هذه الحضرة كالجسر بين الشطين، للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط، فجعل النوم معبراً، وجعل المشي عليه عبوراً، قال تعالى: ﴿إن كتتم للرؤيا تعبرون﴾ وجعل إدراك ذلك في حالة تسمى راحة وهي النوم، وإنما سمينا هذه الحالة من النوم بانتقال، لأن المعاني تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس المواد، كظهور الحق في صور الأجسام، والعلم في صورة اللبن وما أشبه ذلك، والانتقال الثاني،

انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس، ولكن ما له في هذه الحضرة ثبوته الذي له في حضرة اليقظة، فإنه سريع التبدل في هذه الحضرة، ولهذا تعبر الرؤيا ولا يعبر ما أدركه الحس، وأما القسم الآخر من التقسيم، فهو قسم الراحة وهو النوم، الذي لا يرى فيه رؤيا، فهو لمجرد الراحة البدنية لا غير.

قال ﷺ: «الناس نيام» فما أعجب الأخبار النبوية، لقد أبانت عن الحقائق على ما هي عليه، وعظمت ما استهونه العقل القاصر، فإنه ما صدر إلا من عظيم، وهو الحق، فإذا ارتقى الإنسان في درج المعرفة، علم أنه نائم في حال اليقظة المعهودة، وأن الأمر الذي هو فيه رؤيا إباناً وكشفاً، ولهذا ذكر الله أموراً واقعة في ظاهر الحس وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ أي جوزوا واعتبروا بما ظهر لكم من ذلك، إلى علم ما يعلن به وما جاء له، لذلك قال ﷺ: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا ولكن لا يشعرون، ولهذا قلنا: إباناً، فالوجود كله نوم ويقظته نوم. (ف ح ٢ / ٣٧٨)

الدخول إلى عالم الخيال الحقيقي الرياضة والمجاهدة:

الرياضة ومنها رضت الدابة، هو الإذلال، ولا يوصف به إلا الجموح، والجموح نزاع، وإنما يراض المهر الصغير لجموحه وجهله بما خلق له، فإنه خلق للتسخير والركوب والحمل عليه، والمهر يأبى ذلك، فإنه ما يعلمه، فيراض حتى ينقاد في أئنة الحكم الإلهي، وكذلك رياضة النفوس، لولا ما فيها من الجموح، ما راضها صاحبها، فإن النفوس الإنسانية لما خلقها الله على الصورة الإلهية، شمنخت على جميع العالم ممن ليست له هذه الحقيقة، وانحجبت عن الحقائق الإلهية، التي تستند إليها حقائق العالم حقيقة حقيقة، فاكسبت الرياضة لأجل هذا الشموخ، فللت تحت سلطانه، ومهدت على ذلك، والرياضة تذليل الصعب من الأمور، فمن ذلل صعباً فقد راضه، وأزال عن النفس جموحها، فإنها تحب الرياضة والتقدم على أشكالها، والرياضة تمنع النفس من هذا الخاطر وسلطانه، ولا ترى لها شقوقاً على غيرها، لا اشتراكها معهم في العبودية، وإحاطة القبضة بالكل، فيأذا

ترأس ١٩ فتمثل أمر الله من حيث أنها مخاطبة من عند الله بذلك، وتود أن يكون كل مخاطب من العبيد مسارعاً إلى امتثال أمر سيده، إيثراً لجنايه، ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس، فيكون لها بذلك مزية على غيرها، لا يقتضي مقام الرياضة ذلك، فإن الرياضة خروج عن الأغراض النفسية مطلقاً من غير تقييد. (فصح ٤ / ٢١٦ - ح ٢ / ٥٤٩)

والمجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية، المؤثرة في المزاج وهناً وضعفاً، كما أن الرياضة تهذيب الأخلاق النفسية، بحملها على احتمال الأذى في العِرض، والخارج عن بدنه بما لا حركة فيه بدنية، فبالرياضة تهذبت أخلاق الإنسان وسهل انقياده، وبالمجاهدة قُلِّ فضوله، ويعطي حكم فوق العقل الرياضات النفسية وتهذيب الأخلاق، فتتضمن الرياضة المجاهدات البدنية، ولا تتضمن المجاهدة الرياضات، والرياضات أتم في الحكم، فإن النبي ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فمن جُبل عليها فهو منور الذات مقدس، ومن لم يجبل عليها، فإن الرياضة تلحقه بها وتحكم عليه. (فصح ٢ / ١٤٦ - ح ٤ / ٤١٢ - ح ٢ / ٥٤٩)

السلوك العقلي والسلوك الشرعي :

اعلم أن الله ما نصب طريقاً إلى معرفته - التي لا يستقل العقل بإدراكها من حيث فكره - إلا ما شرعه لعباده على ألسنة رسله وأنبيائه، وإنما قلنا هذا، لما علمنا أن تَمَّ طريقاً آخر يقتضيه الوجود، وتحصله بعض النفوس الفاضلة، فأردنا أن نرفع الإشكال، وذلك أن النفوس تصفو بالرياضة، وتترك الشهوات الطبيعية والاستغراق في الأمور المحسوسة، وتتشوق إلى ما منه جاءت، وما أريدت له؟ وإلى أين مآلها؟ وما مرتبتها من العالم؟ وعلمت من ذاتها أن وراء هذا الجسم أمراً آخر، هو المحرك له والمدبر، لما عاينت من الموت النازل به، فتتنظر إلى آلائه على كياها، ولا ترى له تلك الإدراكات التي كانت له في زمان وصفه بالحياة، فعلمت أنه لا بد من أمر آخر هناك، لا تعرف ما نسبه إلى هذا الجسم، هل نسبة العِرض إلى محله؟ أو المتمكن إلى مكانه؟ أو الملك إلى ملكه؟ ثم علمت أن بين الموت والنوم فرقاً، بما تراه في النوم من الصور، وما تستفيده من الأحوال المثلثة والمؤلة، وسرعة التغير في صورة النائم من حال إلى حال، ولم تر ذلك في صورة الجسم، ثم تستيقظ فتري الجسم

على حاله في صورته ما تغير، وترى انفعال الجسم في بعض الأوقات لما يطرا للنائم في حال نومه، مثل دفق الماء في الاحتلام عند رؤية الجماع في النوم، فعلمت بهذا كله أن وراء هذا الجسم أمراً آخر، بينه وبين هذه الصورة علاقة، ثم إنها رأت تفاوت الأمثال في العلوم والفهم، وافتقار بعضها إلى التعليم، ونظرت إلى حال من زهد وفكر واتخذ الخلوات، ولم يأخذ من لذات المحسوسات إلا ما تمس إليه الحاجات، مما به قوام هذا الجسم، وأن صاحب هذا الحال يزيد على نفس أخرى، بعلوم وفضائل يُفتقر إليه فيها وفي العلم بها، فنظرت في الطريق الذي أوصل تلك النفوس دون غيرها إلى هذا المقام، فلم تر مانعاً إلا انكساب بعض النفوس على تناول هذه المشتبهات - الظاهرة الطبيعية - والتنافس فيها، فزهدت في ذلك كله، وتحملت بمكارم الأخلاق، ولم تترك لأحد عليها مطالبة ولا علاقة، ولم تزاحمهم على ما هم عليه، وجنحت إلى الخلوات، ورفعت الهمة إلى الاستشراق، لتعلم ما هو الأمر عليه، فلما كانت بهذه المثابة، وكل ذلك نظر منها، ما هو عن تقليد شرعي إلهي، وإنما هو عن فكرة صحيحة، وإلهام إلهي ناقص غير كامل، لأن الإلهام الكامل أن يلهم لاتباع الشرع والنظر في كلامه، وفي الكتب التي قيل لنا إنها جاءت من عند الله، فمثل هذا هو الإلهام الأكمل، فلما صفت هذه النفوس وشفقت، وصارت مثل المرأة، وزال عنها صدأ هذه الطبيعة، انتقش فيها صور العالم، فرأت ما لم تكن رآته، فنطلقت بالغيوب، والتحققت بالملأ الأعلى التحاق غريب، ورد على غير موطنه وهو موطنه، ولكن ما عرفه لغرته، لما سافر إلى أرض طبيعته وبدنه، فلم يكن له ذلك الإدلال، ولا كمال الأتس بذلك العالم، ورأى اشتغال ذلك العالم عنه بالتسبيح والتقديس، وما سُخروا فيه من الأعمال في حق هذه المولدات العنصرية، فرأت هذه النفس المرتاضة، ما يختص منهم بتحريك الأفلاك وتسيير كواكبها، وما يحدث في الأركان منها، وعلمت ما لم تكن تعلم، وأخذت عن الأرواح الملكية علوماً لم تكن عندها، وما علمت أن تمَّ طريقاً تصل منه - إذا سلكت عليه - إلى الأخذ عن الله منسئ الكلال، وأن بينه وبينها باباً خاصاً يخصها، فقالت: هذا هو الغاية، وما تمَّ إلا هؤلاء، ونظرت إلى تفوقها بذلك على غيرها من أمثال فقنعت، فكل ما يأتي به من هذا نعتة وحاله، ليس له ذوق إلهي البتة، ولا يأخذ أبداً إلا عن الأرواح والعقول الملكية، أخذ حال

لا أخذ نطق، إلا إن تجسد له في خياله أمر يخاطبه، أما عقول أهل الإيمان بالله، فقد رأت أن الله قد طلب منها أن تعرفه، بعد أن عرفته بأدلتها النظرية، وعلمت أن ثمَّ عليها آخر بالله، لا تصل إليه من طريق الفكر، فاستعملت الرياضات والخلوات. والمجاهدات، وقطع العلائق والانفراد. والجلوس مع الله، بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار، إذ كان متعلق الأفكار الأكوان، واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسل، وعلمت أن الطريق إليه من جهته أقرب إليه من طريق فكرها، فتوجه الطالب إلى الله بكله، وانقطع من كل ما يأخذ عنه من القوى، فعند هذا التوجه، أفاض الله عليه من نوره علماً إلهياً، عرفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة والتجلي، لا يقبله كون ولا يرده، فإن صاحب الطريقة الشرعية يقلد الشارع فيما أخبر به، من أنه ما ثمَّ إله بينه وبين العالم مناسبة، وأنه تعالى ليس كمثلته شيء، ولا يشبه شيئاً من العالم أعلاه وأسفله، ومع هذا كله، فله عين وأعين ويد ويدان ووجه وكلام، ونزول واستواء وفرح، ومعية مع عباده بالصحبة، وقرب وتغد، وإجابة لمن دعاه ورحمة، وأن العالم كله عبيد له، خلقهم وفضل بعضهم على بعض، وأن له غضباً، وأن له خلفاء في الأرض من هذا النوع الإنساني، فعندما سمع ذلك، وعلم أن ثمة خليفة من نوعه، تشوف إلى تلك المرتبة أن ينالها، ورأى الطريق التي شرعها شارع وقته وخاطبه بها، ورأى جميع ما كان يفعله صاحب تلك النفس التي فكرت بنظرها، قد حرَّضها هذا الشارع عليه وحده وقال به، فأخذ به هذا المؤمن من حيث أن الشارع جاء به، وعلق المهمة بربه الذي أوجده، لما أعلمه الشارع أنه المنتهى، فقال له ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ وليس وراء الله مرمى، فجعله موضع غايته، وسلك سلوك المفكر الباحث صاحب النظر العقلي، لكن بالطريق الشرعي، فصفت نفسه وصقلت مرآته، وانتقش فيها صور العالم كله الروحاني، وإلى حد الطبيعة التي دون النفس يصل أهل الفكر، وما ينتقش فيهم مما فوقها إلا من يكون سلوكه على الطريق المشروع، فإذا وصل هذا السالك على طريق الشرع، انتقش فيه ما في اللوح المحفوظ، فيرى مرتبة الشرائع، ويرى نفسه وحظه ونصيبه وغايته من العالم، فيعمل بحسب ما يراه، فيرتفع بالطلب إلى الوجه الخاص به، فيأخذ عن الحق أخذ إلهام، وأخذ تجل، وأخذ تنزيه، وأخذ تشبيه، ويعاين سريان الوجود في الممكنات،

ويعلم عند ذلك لمن الحكم قياً ظهر، ومن هو الظاهر، الذي تظهر فيه هذه الأحكام والاختلافات الروحانية والطبيعية، فإذا نطق هذان الشخصان، علم الكامل من الرجال الفرق بين الشخصين، وعلم من أين أتى على كل واحد منهما، ولماذا نقص السالك بفكره عن رتبة المتشرع، فصاحب الفكر لا يزال أبداً منكوس الرأس، منتظراً ما يأتيه به الإمداد الروحاني، وصاحب الشرع لا يزال منكوس الرأس، حياءً من التجلي الإلهي في أوقات، كما لا يزال شبه الخائر الواله المبهوت، إذا رآه في كل شيء، فلا ينطق إلا به، ولا ينظر إلا إليه، ولا يعلم أن ثم عيناً سواه، فيطلب الملا الأعلى والأرواح العلى، والأفلاك الدائرة المتحركة، والكواكب السابحة، لتوصل إليه ما أمنت عليه مما يستحقه عليها، فلا نجد من يأخذ عنها بطريق الاعتبار والأدب، فتؤدي ذلك أداة ذاتياً، ويأخذ منها ما بقي من نشأته أخذاً ذاتياً، وهو غائب بربه عن هذا كله^(١)، فإذا رُدَّ إلى رؤية ذاته، رأى في ذاته جميع ما أعطاه العالم كله - أعلاه وأسفله - مما هو له، وهو أمانة عندهم، فشكر الله على ذلك، وعلم أن كل ما في الكون مسخر له ولأمثاله، ولكن لا يعلمون.

(فصاح ٣ / ١٧٦ - ح ١ / ٢٨٩ - ح ٣ / ١٧٦ - ١٧٧)

الإسراء والعروج :

اعلم أن عروج الملك بذاته، لأنه رجوع إلى أصله، وإذا عرج الرسول ركب البراق، فعرج به البراق بذاته، وعرج الرسول لعروج البراق، بحكم التبعية والحركة القسرية، فكان عمولاً في عروجه، حمله من عروجه ذاتي، فتميز عروج الرسول من عروج الملك، ولعراج الرسل خطاب خاص، تعطيه خاصية هذا المعراج، لا يكون إلا للرسول، فلو عرج عليه الولي، لأعطاه هذا المعراج بخاصيته ما عنده، وخاصيته ما تفرد به الرسالة، فكان الولي إذا عرج به فيه يكون رسولاً، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن باب الرسالة والنبوة قد أغلق، فتبين لك أن هذا المعراج لا سبيل للولي إليه البتة، فمعارج الأولياء بالمهم، وشاركهم الأنبياء في هذا المعراج من كونهم أولياء، لا من كونهم أنبياء ولا رسلاً، فيعرج الولي بهيمته

(١) ورثة من قوله تعالى ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾.

و**بصيرته**، على براق عمله ورفرف صدقه، معراجاً معنوياً، يناله فيه ما يعطاه خواص المهتم من مراتب الولاية والتشريف، ثم لتعلم، إذا رقيت الأولياء في معارج المهتم، فغاية وصولها إلى الأسماء الإلهية، فإن الأسماء الإلهية تطلبها، فإذا وصلت إليها في معارجها، أفاضت عليها من العلوم وأنوارها، على قدر الاستعداد الذي جاءت به، فلا تقبل منها إلا على قدر استعدادها، ولا تفتقر في ذلك إلى مَلِكٍ ولا رسول، فإنها ليست علوم تشريع، وإنما هي أنوار فهم فيما أتى به هذا الرسول، في وحيه أو في الكتاب الذي نزل عليه أو الصحيفة لا غير، وسواء علم ذلك الكتاب أو لم يعلمه، ولا سمع بها فيه من التفاصيل، ولكن لا يخرج علم هذا الولي عن الذي جاء ذلك الرسول به، من الوحي عن الله وكتابه وصحيفته، لا بد من ذلك لكل ولي صديق برسوله، إلا هذه الأمة، فإن لهم - من حيث صديقتهم بكل رسول ونبي - العلم والفتح والفيض الإلهي بكل ما يقتضيه وحي كل نبي وصفته وكتابه وصحيفته، وهذا فضلت على كل أمة من الأولياء، فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه، فالأسماء الإلهية لها على كل معراج ظهور، ولهذا تجر كل طائفة من الأولياء عن ربها في أوقات بغير واسطة، وهو قوله ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي» وهذا المقام لكل شخص من الخلق، غير أن في القيامة يعرف كل أحد أن ربه يكلمه، وفي الدنيا لا يعرف ذلك، إلا العلماء بالله أصحاب العلامات، فيعرفون كلام الله إياهم، فسبحان من خلقنا أطواراً، وجعل لنا على علم الغيب والشهادة دليلاً ليلاً ونهاراً، فمنا من كلم ربه غيباً، ومنا من كلمه ربه شهادة. (ف ح ٣ / ٥٥ ، ٥٦)

واعلم أنه لو كان إسرائ رسول الله ﷺ بروحه، وتكون رؤيا كما يراه النائم في نومه، ما أنكره أحد ولا نازعه، وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسرائ كان بجسمه في المواطن كلها، وله ﷺ أربعة وثلاثون مرة الذي أسري به: منها إسرائ واحد بجسمه، والباقي بروحه رؤيا رأها، وأما الأولياء فلهم إسرائات روحانية برزخية، يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال، يعطون العلم بها تتضمنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسرائ في الأرض وفي الهواء، غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء، وهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسرائ الجسم، واختراق السموات والأفلاك حساً، وقطع مسافات

حقيقية محسوسة، وذلك كله لورثته معنى لا حساً، من السموات فيما فوقها، فمعارج الأولياء معارج أرواح، وروية قلوب، وصور برزخيات، ومعان متجسّدات.

لم تر أن الله أسرى بعبيده	من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى
إلى أن علا السبع السموات قاصداً	إلى بيئته الممسمور بالملأ الأعلى
إلى السدرة العليا وكسريه الأحمى	إلى عرشه الأسمى إلى المستوى الأزهى
إلى سبحات الوجه حين تقشعت	سحاب العمى عن عين مقلته النجلا
وكان تذليه على الأمر إذ دنا	من الله قريباً قاب قوسين أو أدنى
وكانت عيون الكون عنه بمعزل	تلاحظ ما يسقيه بالمورد الأحسل
فخاطبته بالأنس صوت عتيقه	توقف فرب العرش سبحانه صلي
فأزعجه ذاك الخطاب وقسال هل	يصلي إلهي ما سمعت به يتلى
وشال حجاب العلم عن عين قلبه	وأوحى إليه في الغيوب الذي أوحى
فعاين ما لا يقدر الخلق قدره	وأبده الرحمن بالمرودة الوثقى
وألغى تواقاً إلى وجه ربه	فأكرمه الرحمن بالمنظر الأجل
ومن قبل ذا قد كان أشهد قلبه	بغار حراء قبل ذلك في المجلى

(فح ٣ / ٣٤٢)

الإسراء بالأولياء وورثة الرسل :

فإذا أراد الله تعالى أن يسري بأرواح من شاء من ورثة رسله وأوليائه، لأجل أن يرهم من آياته، فهو إسراء لزيادة علم، وفتح عين فهم، فيختلف مسراهم، فمنهم من أسرى به فيه، فهذا الإسراء فيه حل تركيبهم، فيوقفهم بهذا الإسراء على ما يناسبهم من كل عالم، بأن يمر بهم على أصناف العالم المركب والبسيط، فيترك مع كل عالم من ذاته ما يناسبه، وصورة تركه معه، أن يرسل الله بينه وبين ما ترك منه من ذلك الصنف من العالم حججاً، فلا يشهده، ويبقى له شهود ما بقي، حتى يبقى بالسر الإلهي، الذي هو الوجه الخاص الذي من الله إليه، فإذا بقي وحده، رفع عنه حجاب الستر، فيبقى معه تعالى كما بقي كل

شيء منه مع مناسبه، فيبقى العبد في هذا الإسراء هو لا هو، فإذا بقي هو لا هو، أسرى به من حيث هو، لا من حيث لا هو، إسراء معنوياً لطيفاً فيه، لأنه في الأصل على صورة العالم، وصورته على صورته تعالى، فكله على صورته من حيث هو تعالى، فإن العالم على صورة الحق^(١) والإنسان على صورة العالم^(٢)، فالإنسان على صورة الحق، فإن المساوي لأحد المتساويين، مساو لكل واحد من المتساويين، كذلك ينظر الإنسان نفسه من حيث هو على صورة الحق^(٣)، لا من حيث هو على صورة العالم، وإن كان العالم على صورة الحق، ولما كان الترتيب على ما وقع عليه الوجود، لتأخر النشأة الجسمية الإنسانية عن العالم، فكانت آخراً، فظهرت في نشأتها على صورة العالم، وما كان العالم على الكمال في صورة الحق، حتى وجد الإنسان فيه، فيه كَمَل العالم، فهو الأول بالمرتبة والأخر بالوجود، فالإنسان من حيث رتبته، أقدم منه من حيث جسميته، فالعالم بالإنسان على صورة الحق، والإنسان دون العالم على صورة الحق، والعالم دون الإنسان ليس على الكمال في صورة الحق، ولا يقال في الشيء: إنه على صورة كذا، حتى يكون هو من كل وجوهه، إلا الذي لا يمكن أن يقال فيه هو، فقد تميز عين كل واحد بأمر ليس هو عين الآخر، كذلك الحق حق، والإنسان إنسان، والعالم عالم، وقد بان ذلك بالتساوي، فإنه إن لم تكن ثم حقيقة يقع بها تميز الأعيان، لم يصح أن نقول كذا مساو لكذا، بل نقول عين كذا بلا تجوز، فإن قد أشرت إلى أمرين، فقد وقع التمييز، فلا بد من فصل يُعقل، لولا ذلك الفصل ما كانت كثرة في عين الواحد، فلم يبق للواحد سوى أحديته، التي يقال بها لا هو عين الآخر، والذي يقال به هو عين الآخر، هو أحدية الكثرة، ثم قال: كل هذا هو هذا، فأشار فكثير، وأعاد الضمير فوحد، فوصل وفصل، فالفصل في عين الوصل لمن عقل، فإذا وقف الغير على ما قدمناه، وعلم أنه ما كان

(١) يعني أن العالم موجود على الصورة التي كان عليها في علم الله، وهل علم الله ذاته أم أمر زائد؟ فهو أمر مختلف فيه بين علماء التوحيد.

(٢) من حيث قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم﴾ فكل ما هو في الأفاق موجود في الإنسان، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر».

(٣) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه من قوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته».

على صورة العالم، وإنما كان على صورة الحق، أسرى به الحق في أسمائه، ليريه من آياته فيه، فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهي، سواء كان ذلك الاسم من المنعوت بالحسن أو لا^(١)، وبها يظهر الحق في عبادته، وبها يتلوّن العبد في حالاته، فهي في الحق أسماء، وفيها تلوينات، وهي عين الشؤون التي هو فيها الحق، ففيها بنا يتصرف^(٢)، كما نحن به فيه نظهر^(٣)، ولهذا قلنا:

دليلي قبك تلويبي وهذا منك يكفيبي
فلم أسأل عن الأمر الذي إليك يدعوني
فإني لست أدريه وليس الأمر يدريسي
فلو يدريسي الأمر لما ميزت تكويبي
ولا قلنا ولا قالوا سيهديني ويحييني
وقد قالوا وقد قلنا فأعنيبه ويمنيبي
فأفنيبه وأبقيبه ويسفنيبي ويسبقنيبي
فأرضيه فيمدحني وأغضبني فيهيجوني

فإذا أسرى الحق بالولي في أسمائه الحسنى، إلى غير ذلك من الأسماء، وكل الأسماء الإلهية، عِلِمَ تقلبات أحواله وأحوال العالم كله، وأن ذلك التقلب هو الذي أحدث فينا عين تلك الأسماء، كما علمنا أن تقلبات الأحوال أحكام تلك الأسماء، فاسم الحال الذي انقلبت منه والذي انقلبت إليه هو اسمي، به أقلب كما به تقلبت، فبالرؤوف الرحيم، كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وبالمؤمن كان مؤمناً، وبالمهيمن كان مهيمناً، فجعلنا شهداء بعضنا على بعض وعلى أنفسنا، وبالصبور والشكور كان ما ابتلى به، فما من اسم سمي به نفسه إلا وساتنا به، فبها تتقلب في أحوالنا وبها نَقَلَبُ، فمن علم هذه الآيات، فقد أسرى الحق به في أسمائه، فأراه من آياته، ليكون سمياً بصيراً، سمياً لما يخبر به الحق من التعريفات

(١) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ الأكبر وكل الأسماء والصفات لله تعالى بالأصالة، ص ٢١٧ الطبعة الأولى - ٢١٤ الطبعة الثانية.

(٢) راجع: العلم تابع للمعلوم - كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢١٢ طبعة أولى - ٢٠٩ طبعة ثانية.

(٣) راجع: وحدة الوجود - كتابنا شرح كلمات الصوفية ص ٤١٩ طبعة أولى - ص ٤٦٨ طبعة ثانية.

باللسان الخاص، وهو ما أنزله من كلامه الذي نسبه إليه، وباللسان العام^(١) وهو ما يتكلم به جميع العالم، مما يتكلمون به، كان ما كان، إذ ليس في وسع المخلوق أن ينطق من غير أن يُنطق، فإذا نُطقَ فَافهم، فإذا أكمل حفظه من الإسرائ في الأسماء، وعلم ما أعطته من الآيات أسماء الله في ذلك الإسرائ، عاد يركب ذاته تركيباً غير ذلك التركيب الأول، لما حصل له من العلم الذي لم يكن عليه حين تحلل، فما زال يمر على أصناف العالم، ويأخذ من كل عالم ما ترك عنده منه، فيتربك في ذاته، فلا يزال يظهر في طور طور، إلى أن يصل إلى الأرض، فيصبح في أهله، وما عرف أحد ما طرأ عليه في سره حتى تكلم، فسمعوا منه لساناً غير اللسان الذي كانوا يعرفونه، فإذا قال له أحدهم: ما هذا؟ يقول له: «إن الله أسرى بي فأراني من آياته ما شاء» فيقول له السامعون: ما فقدناك، كذبت فيما ادعيت من ذلك، ويقول الفقيه منهم: هذا رجل يدعي النبوة، أو قد دخله خلل في عقله، فهو إما زنديق فيجب قتله، وإما معتوه فلا خطاب لنا معه، فيسخر به قوم، ويعتبر به آخرون، ويؤمن بقوله آخرون، وترجع مسألة خلاف في العالم، وغاب الفقيه عن قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم﴾ ولم يخص طائفة من طائفة، فمن أراه الله شيئاً من هذه الآيات على هذه الطريقة التي ذكرناها، فليذكر ما رآه ولا يذكر الطريقة، فإنه يُصدَّق ويُنظَر في كلامه، ولا يقع الإنكار عليه إلا إذا ادعى الطريقة. (فح ٣ / ٣٤٣)

الفرق بين عروج صاحب النظر وعروج صاحب الشريعة:

إذا سلك رجلان أو شخصان - إن كانا امرأتين أو إحداهما امرأة - في الطريق، الواحد بحكم النظر، والآخر بحكم التقليد، وأخذاً في الرياضة، وهو تهذيب الأخلاق، والمجاهدة وهي المشاق البدنية، من الجوع والعبادات العملية البدنية، كالقيام الطويل في الصلاة والدؤوب عليها، والصيام والحج والجهاد والسياحة، هذا بنظره، وهذا بما شرع له أستاذه ومعلمه المسمى شارعاً، فلما فرغاً من أسر الطبيعة العنصرية، وما بقي واحد منها يأخذ من حكم الطبيعة العنصرية، إلا الضروري الذي يحفظ به وجود هذا الجسم، الذي

(١) راجع «السنة العالم كلها أقوال الحق» كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢١٨ طبعه الأولى - ص ٢١٥ طبعه ثانية.

بوجوده واعتداله وبقائه يحصل هذه النفس الجزئية المطلوبها، من العلم بالله الذي استخلفها خاصة، فإذا خرجا عن حكم الشهوات الطبيعية العنصرية، وفتح لها باب السماء الدنيا تلقى المقلد آدم عليه السلام، ففرح به وأنزله إلى جانبه، وتلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر فأنزله عنده، فإن روحانية كل كوكب من الكواكب السيارة السبعة، ملك من ملائكة تلك السماء، يجري مع ذلك الكوكب المسخر في سياحته، لأن الله هو الذي وجهه إلى غاية يقصدها عن أمر خالقه، أما التابع نزيل آدم، فيعلمه أبوه من الأسماء الإلهية على قدر ما رأى أنه يحمله مزاجه، وفي أول سماء يقف من علم آدم، على الوجه الإلهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله، الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه وعلته، وصاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلاً، فعلم كل واحد منهما ما لهذا الفلك من الحكم، الذي

ولاه الله به في الأركان الأربعة والمولدات، وما أوحى الله في هذه السماء من الأمر المختص بها في قوله «وأوحى في كل سماء أمرها» وما علم صاحب النظر نزيل القمر من ذلك، إلا ما يختص بالتأثيرات البدنية والاستحالات في أعيان الأجسام المركبة من الطبيعة العنصرية، وحصل التابع ما فيها من العلم الإلهي، الحاصل للنفوس الجزئية مما هو لهذا الفلك خاصة، وما نسبة وجود الحق من ذلك؟ وما له فيهم من الصور؟ ومن أين صحت الخلافة لهذه النشأة الإنسانية؟ فعلم التسابع صورة الاستخلاف في العلم الإلهي، وعلم صاحب النظر الاستخلاف العنصري في تدبير الأبدان، وعلل الزيادة والريو والنمو في الأجسام القابلة لذلك والنقص، فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع، وما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر، فما يزداد صاحب النظر إلا غمياً على ضم، وما يصدق متى ينقضي سفره ويرجع إلى بدنه، فإنهم في هذا السفر مثل النائم فيما يرى في نومه، والتابع ليس كذلك، فإنه يرى الترقى يصحبه حيث كان، من ذلك الوجه الذي لا يعرفه إلا صاحب هذا الوجه، فإذا أقاما في هذه السماء ما شاء الله، وأخذوا في الرحلة، وودع كل واحد منهما نزيله، وارتقيا في معراج الأرواح إلى السماء الثانية وقرعاهما وفتحت لها، صعداً، فنزل التابع عند عيسى عليه السلام وعنده يحيى ابن خالته، ونزل صاحب النظر عند الكاتب، وأقام التابع عند ابني الخالة ما شاء الله، فأوقفاه على صحة المعلم رسول الله ﷺ بدلالة

إعجاز القرآن، ويحصل له الفرقان في مرتبة حرق العوائد، وكما أن الروح والحياة لا يفترقان، كذلك هذان النيان عيسى ويحيى لا يفترقان، لما يحملانه من هذا السر، ويحصل للتابع علم سر التكوين من هذه السماء، فيعلم الحياة الطبيعية، ويعلم علم المقدار والميزان الطبيعي والروحاني، لجمع عيسى بين الأمرين، ومن هذه السماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية، التي يحيى بها القلوب، إلى غير ذلك من العلوم، وهو من الوجه الخاص، الخارج عن الطريق المعتادة في العلم الطبيعي، الذي يقتضي الترتيب النسبي الموضوع، وإذا انصرف الكاتب إلى نزله، فإنه كان في خدمة التابع نزيل عيسى ويحيى عليهما السلام، حتى يفرغ من الخلعة، أعطى نزيله إذا رد نظره إليه من العلم المودع في مجراه، ما يعطيه استعداداه مما له من الحكم في الأجسام التي تحته من العالم العنصري، لا من أرواحه، فذلك قراء يطلب الرحيل عنه، فجاء صاحب النظر إلى صاحبه التابع، وخرجا يطلبان السماء الثالثة، فلما قرعا السماء الثالثة فتحت، فصعدا فيها، فتلقى التابع يوسف عليه السلام، وتلقى صاحب النظر كوكب الزهرة، فالتابع يتلقى من يوسف عليه السلام ما خصه الله به من العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال، وعرفه بموازينها ومقاديرها ونسبها ونسبها، وما زال يعلمه تجسد المعاني في النسب، في صورة الحس والمحسوس، وعرفه معنى التأويل في ذلك كله، إلى غير ذلك من العلوم، التي يزيد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الإلهي، وتلقى الناظر من كوكب الزهرة، ما خصه من تأثير الفلك في عالم الأجسام، ثم انتقل الصاحبان يطلبان السماء الوسطى التي هي قلب السموات كلها، فلما دخلها، تلقى التابع إدريس عليه السلام، وتلقى صاحب النظر كوكب الشمس، فحصل لهما من تحصيل العلوم على النهج السابق، ثم يرحلان يطلبان السماء الخامسة فنزل التابع بهارون عليه السلام، ونزل صاحب النظر بالأحمر، وأخذ كل منهما ما يخصه وانصرفا يطلبان السماء السادسة فنزل التابع على موسى عليه السلام، فأفاده اثني عشر ألف علم من العلم الإلهي، سوى ما أفاده من علوم الدور والكور، وأعلمه أن التجلي الإلهي إنما يقع في صور الاعتقادات وفي الحاجات^(١)، ونزل صاحب النظر على البرجيس، فعرفه ببعض ما

(١) يشير هنا إلى تجلي الحق لموسى عليه السلام في صورة النار، التي خرج موسى عليه السلام

يليق به مما عليه التابع من علم موسى، بما يختص من تأثيرات الحركات الفلكية في النشأة العنصرية لا غير، وارتمحلا، التابع المحمدي على رفرف العناية، وصاحب النظر على براق الفكر، ففتح لها السماء السابعة وهي الأولى من هناك، فتلقى التابع إبراهيم الخليل عليه السلام، وتلقى صاحب النظر كوكب كيوان، ووجد التابع الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، فقال الخليل له: أيها التابع ميز المراتب، واعرف المذاهب، وكن على بينة من ربك في أمرك، ولا تحمل حديثك، فإنك غير مهمل، ولا متروك سدى، اجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور، بحضورك مع الحق في كل حال، واعلم أنه ما وسع الحق شيء سوى قلب المؤمن، وهو أنت، فعندما سمع صاحب النظر هذا الخطاب، قال: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله. وإن كنت لمن الساخرين؛ وعلم ما فاتته من الإيمان بذلك الرسول واتباع سنته، ويقول: باليتني لم اتخذ عقلي دليلاً، ولا سلكت معه إلى الفكر سبيلاً، فإنك إذا صقلت مرآة نفسك بالرياضات والمجاهدات حتى تزكو، وأزلت عنها صدأ الطبيعة، وقابلت بمرآة ذاتك صور العالم، انتقش فيها جميع ما في العالم كله، وإلى هذا الحد ينتهي صاحب النظر وأتباع الرسل، وهذه الحضرة الجامعة لهما، ويزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تنتقش في العالم جملة واحدة، من حيث ذلك الوجه الخاص، الذي لله في كل ممكن محدث، مما لا ينحصر ولا ينضب ولا يتصور، يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر، فاستفاد التابع من إبراهيم عليه السلام ما قدر الله له من العلوم، وأراد صاحب النظر القرب من إبراهيم عليه السلام، فقال إبراهيم للتابع: من هذا الأجنبي معك؟ فقال: هو أخي؛ قال: أخوك من الرضاعة أو أخوك من النسب؟ قال: أخي من الماء؛ قال: صدقت، لهذا لا أعرفه، لا تصاحب إلا من هو أخوك من الرضاعة، كما أتى أبوك من الرضاعة^(١)، فإن الحضرة السعادية، لا تقبل إلا إخوان الرضاعة وآباءها وأمهاتها، فإنها النافعة عند الله،

في طلبها حاجة أهله، وهي قوله ﴿إني أنست ناراً﴾ وقوله تعالى: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ سورة النمل الآية / ٨ / و / ٩ .

(١) الرضاعة إشارة إلى الإيمان بالله ورسله ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾.

ثم أمره أن يدخل البيت المعمور فدخله دون صاحبه، وصاحبه منكوس الرأس، ثم خرج من الباب الذي دخل منه، ولم يخرج من باب الملائكة، وهو الباب الثاني لخاصية فيه، وهو أنه من خرج منه لا يرجع إليه، ثم ارتحل من عنده يطلب العروج، ومُسك صاحبه صاحب النظر هناك، وقيل له: قف حتى يرجع صاحبك، فإنه لا قدم لك هنا، هذا آخر الدخان⁽¹⁾؛ فبقي هنالك، ومشى التابع فبلغ به سدرة المنتهى فرأى صور أعمال السعداء من النبيين وأتباع الرسل، ورأى عمله من جملة أعمالهم، فشكر الله على ما وفقه إليه من اتباع الرسول المعلم، وعابن هنالك أربعة أنهار: منها نهر كبير عظيم، فقيل له: هذا مثل مضروب أقيم لك، هذا النهر العظيم هو القرآن، وهذه الثلاثة الأنهار الكتب الثلاثة، التوراة والزبور والإنجيل، وهذه الجداول الصحف المنزلة على الأنبياء، فمن شرب من أي نهر كان أو أي جدول، فهو لمن شرب منه وارث، وكل حق، فإنه كلام الله، والعلماء ورثة الأنبياء بما شربوا من هذه الأنهار والجداول، فاشرع في نهر القرآن تفز بكل سبيل للسعادة، فإنه نهر محمد ﷺ الذي صححت له النبوة وآدم بين الماء والطين، وأوتي جوامع الكلم، وبعث عامة، ونسخت به فروع الأحكام، ولم ينسخ له حكم بغيره، ورأى السدرة وقد غشاها النور، فلإيها تنتهي أعمال بني آدم السعيدة، وفيها مخازنها إلى يوم الدين، وهنا أول أقدام السعداء، والسياء السابعة التي وقف عندها صاحبك منتهى الدخان، ولا بد لها ولن هو تحتها من الاستحالة إلى صور كانت عليها، أو على أمثالها قبل أن تكون سياء، ثم قيل لهذا التابع: ارق فرقي في فلك المنازل فتلقاه من هنالك من الملائكة والأرواح الكوكبية، ما يزيد على ألف، وعشرات من الحضرات تسكنها هذه الأرواح، فعابن منازل السائرين إلى الله تعالى بالأعمال المشروعة، فلم يزل يقطعها منزلة منزلة، بسبع حقائق هو عليها، كما يقطع فيها السبع الدراري، ولكن في زمان أقرب، حتى وقف على حقائقها بأجمعها، وقد كان أوصاه إدريس بذلك، فلما عابن كل منزل منها، رآها وجميع ما فيها من الكواكب تقطع في فلك آخر فوقها، فطلب الارتقاء فيه، ليرى ما أودع الله في هذه الأمور، من الآيات والعجائب الدالة على قدرته وعلمه، فعندما حصل على سطحه، حصل في الجنة الدهماء،

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾.

فرأى ما فيها، مما وصف الله في كتابه من صفة الجنات، وعاین درجاتها وغرفها، وما أعد
 الله لأهلها فيها، ورأى جنته المخصوصة به، واطلع على جنات الميراث وجنات الاختصاص
 وجنات الأعمال، وذاق من كل نعيم منها، بحسب ما يعطيه ذوق موطن القوة الجنانية، فلما
 بلغ من ذلك أمنيته، رُقي به إلى المستوى الأزهى، والستر الأبهى، فرأى صور آدم وبنه
 السعداء من خلف تلك الستور، فعلم معناها وما أودع الله من الحكمة فيها، وما عليها من
 الخلع التي كساها بني آدم، فسلمت عليه تلك الصور، فرأى صورته فيهن، فعانقها
 وعانقته، واندفعت معه إلى المكائنة الزلّقى، فدخل **فللك البروج** الذي قال الله فيه فاقسم
 به ﴿والسياه ذات البروج﴾ فعلم أن التكوينات التي تكون في الجنان من حركة هذا الفلك،
 وله الحركة اليومية في العالم الزماني، والتكوينات التي تكون في جهنم من حركة **فللك**
الكواكب، وهو سقف جهنم أعني مقعره، وسطحه أرض الجنة، فالوجود كل متحرك
على الدوام دنيا وأخرة، لأن التكوين لا يكون عن سكون، فمن الله توجهات دائمة،
 وكلمات لا تنفذ، ليكون خلافاً على الدوام، والكون فقيراً على الدوام، فيعلم التابع من هذه
 الحضرة التكوينات الجنانية وجميع ما ذكرناه، وأما صاحب النظر رفيق التابع، فما عنده خبر
 بشيء من هذا كله، لأنه تنبيه نبوي لا نظر فكري، وصاحب النظر مقيد تحت سلطان فكره،
 وليس للفكر مجال إلا في ميدانه الخاص به وهو معلوم بين الميادين، فإن لكل قوة في الإنسان
 ميدان يجول فيه لا يتعداه، ومهما تعدت ميدانها وقعت في الغلط والخطأ، ووصفت
 بالتحريف عن طريقها المستقيم، فالعقول الموصوفة بالضلال إنما أضلتها أفكارها، وإنما
 ضلت أفكارها لتصرفها في غير موطنها، ثم يخرج بالتابع مع حامله إلى الكرسي فيرى فيه
 انقسام الكلمة، التي وصفت قبل وصولها إلى هذا المقام بالوحدة، ويرى القدمين اللتين
 تدلتا إليه، فينكب من ساعته إلى تقيلهما، القدم الواحدة تعطي ثبوت أهل الجنات في
 جناتهم، وهي قدم الصديق، والقدم الأخرى تعطي ثبوت أهل جهنم في جهنم على أي حالة
 أراد، وهي قدم الجبروت، فيعرف التابع من هذا المقام ما لكل دار، ثم إنه يفارق هذا
 الموضوع ويزج به في **النور الأعظم**، فيغلبه الوجد، وهذا النور هو حضرة الأحوال،
 الظاهر حكمها في الأشخاص الإنسانية، ثم يخرج من ذلك النور إلى موضع الرحمة العامة

التي وسعت كل شيء، وهو المعبر عنه بالعرش، فيجد هنالك من الحقائق الملكية، إسرائيل وجبريل وميكائيل ورضوان ومالك، ومن الحقائق البشرية، آدم وإبراهيم ومحمداً سلام الله عليهم، فيجد عند آدم وإسرائيل علم الصور الظاهرة في العالم، المسماة أجساماً وأجساداً وهياكل، سواء كانت نورية أو غير نورية، ويجد عند جبريل ومحمد عليهما السلام، علم الأرواح المنفوخة في هذه الصور التي عند آدم وإسرائيل، فيقف على معاني ذلك كله، ويرى نسبة هذه الأرواح إلى هذه الصور، وتدبيرها إياها، ومن أين وقع فيها التفاضل، مع اتباعها من أصل واحد؟ وكذلك الصور، علم من هذه الحضرة ذلك كله، ويعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير، التي تقلب صور الأجساد بما فيه من الروح، وينظر إلى ميكائيل وإبراهيم عليهما السلام، فيجد عندهما علم الأرزاق، وما يكون به التغذية للصور والأرواح، وبماذا يكون بقاؤها، ثم ينظر إلى رضوان ومالك، فيجد عندهما علم السعادة والشقاء، والجنة ودرجاتها، وجهنم ودرجاتها، وهو علم المراتب في الوعد والوعيد، ويعلم حقيقة ما تعطي كل واحدة منها، وإذا علم هذا كله، علم العرش وحملة وما تحت إحاطته، وهو منتهى الأجسام، وليس وراءه جسم مركب ذو شكل ومقدار.

المعراج المعنوي:

فإذا علم هذا كله، عرج به معراجاً آخر معنوياً - في غير صورة متخيلة - إلى مرتبة المقادير، فيعلم منها كميات الأشياء الجسمية وأوزانها، في الأجسام المقطرة من المحيط إلى التراب، وما فيهن وما بينهن من أصناف العالم، الذين هم عمار هذه الأمكنة، ثم ينتقل إلى علم الجواهر المظلم الكلي، الذي لا جزء له ولا صورة فيه، وهو غيبٌ كل ما وراءه من العالم، ومنه ظهرت هذه الأنوار والضياءات في عالم الأجسام، وهي الأنوار المركبة، سلخت من هذا الجواهر فبقي مظلماً، ثم ينتقل من هذا المقام إلى حضرة الطبيعة البسيطة فيعلم حكمها في الأجسام مطلقاً، من اختلاف تركيبها وأحوالها، ومن أين وقع الغلط لبعض الطبيعيين فيما غلطوا فيه من العلم بأحكامها؟ وذلك لجهلهم بالعلم بذاتها، فصاحب هذا الكشف يعلم ذلك كله، ثم ينتقل من النظر في ذلك إلى شهود اللوح المحفوظ، وهو الموجود الانبعاثي عن القلم، وقد رقم الله فيه ما شاء من الكوائن في العالم، فيعلم هذا

التالي لما في هذا اللوح، علم القوتين، وهما علم العلم وعلم العمل، ويعلم الانفعالات الانبعاثية، ومن كون هذا الروح لوحاً، يعلم ما سطره فيه، مَنْ سياه لوحاً بالقلم الإلهي، مما أملاه الحق عليه، وكتابه فيه نقش صور المعلومات، التي يجرتها الله في العالم في الدنيا إلى يوم القيامة خاصة، وهي علوم محصورة مسطرة صوراً، كصور الحروف المرقومة في الألواح والكتب المسماة كلمات، ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام، إلى مشاهدة القلم الأعلى، فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية، ومن هنالك هو ابتداء مرتبة الخلافة والنيابة، ومن هناك دونت الدواوين، وظهر سلطان الاسم المدير والمفصل، وهذا هو علم القلم، ويشاهد تحريك اليمنى إياه، التحريك المعنوي اللطيف، ومن أين يستمد، وأنه من ذاته له علم الإجمال والتفصيل، والتفصيل يظهر بالتسطير، وهو عين دواته، فلا افتقار له إلى معلم يستمد منه سوى خالقه عز وجل، وكتابه نقش، ولهذا تثبت فلا تقبل المحو، وبهذا سمي اللوح المحفوظ، يعني عن المحو، فيفرق من هذا المشهد بين الأقلام والألواح وأنواع الكتب، ويعلم علم الأحكام والإحكام، ومن هنا يعلم أنه لم يبق في الإمكان ما ينبغي أن يكون دليلاً على الله، إلا وقد ظهر من كونه دليلاً، وإن كثرت الأدلة، فيجمعها كمالية الدلالة خاصة، ثم ينظر عن يمين هذا المشهد فينظر إلى عالم الهيئات وهو العالم المخلوق من العماء، ثم ينتقل إلى العماء وهو مستوى الاسم الرب، كما كان العرش مستوى الرحمن، والعماء هو أول الأينيات^(١)، ومنه ظهرت الظروف المكانية والمراتب، فيمن لم يقبل المكان وقبل المكانة، ومنه ظهرت المحال القابلة للمعاني الجسمانية حساً وخيالاً، وهو موجود شريف، الحق معناه، وهو الحق المخلوق به كل ما سوى الله، وهو المعنى الذي ثبت فيه واستقرت أعيان الممكنات، ويقبل حقيقة الأين وظرفية المكان ورتبة المكانة واسم المحل، ومن عالم الأرض إلى هذا العماء، ليس فيها من أسماء الله سوى أسماء الأفعال خاصة، ليس لغيرها أثر في كونها بينها، من العالم المعقول والمحسوس، ومن هذا العماء يبتدي بالترقي والمعراج في أسماء التنزيه، إلى أن يصل إلى الحضرة التي يشهد فيها أن التنزيه يُجَدُّه، ويشير إليه ويقيده،

(١) قيل لرسول الله ﷺ: أين كان ربنا قبل خلق الخلق؟ قال: في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء - الحديث -

ويستشرف على العالم بأسره، المعنوي والروحاني والجسمي والجسماني، فلا يجد في مشهده ذلك، ما ينبغي أن يتزه عنه من ظهر فيه، ويرى ارتباطه به ارتباط المرتبة بصاحبها، فلا يتمكن له التنزيه الذي كان يتخيله، ولا يتمكن له التشبيه، فإنه ليس ثم بمن، وهذه هي الحضرة التي لا تقبل التنزيه ولا التشبيه، فيتزهر عن الحد بنفي التنزيه، وعن المقدار بنفي التشبيه، ثم ينقلب التابع فيطلب ما منه خرج، فسلك به الحق تعالى طريقاً غير طريقه الأولى، وهو طريق لا يتمكن أن يتقال، ولا يعرفه إلا من شاهده فوقاً. (فح ٢/ ٢٧٣، ٢٨٣)

التليس في هذه الحضرة:

اعلم أنها يقع التليس في الحضرة الخيالية، من كون الجن والشياطين تخيل للناس صوراً عنهم وعن غيرهم، وليس بحقيقة، وهذه المسألة التبس الأمر فيها على أبي حامد الغزالي وغيره، وعن التبس عليه الأمر في ذلك - من الشيوخ الذين أدركناهم - أبو أحمد بن سيدبون بوادي أشت، فكان يقول هو وأمثاله: إن الإنسان إنما يطرأ عليه التليس ما دام في عالم العناصر، فإذا ارتقى عنها وفتحت له أبواب السماء، عصم من التليس، فإنه في عالم الحفظ والعصمة من المردة والشياطين، فكل ما يراه هنالك حق، وذلك صحيح أن الأمر كما زعموه، ولكن إذا كان المعراج فيها جسماً وروحاً، كمعراج رسول الله ﷺ، وأما من عُرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت، بل بقاء أو قوة نظر يُعطى إياها، وجسده في بيته، وهو غائب عنه بقاء، أو حاضر معه لقوة هو عليها، فلا بد من التليس، إن لم يكن لهذا الشخص علامة إلهية بينه وبين الله، يكون فيها على بيته من ربه، فيما يراه ويشاهده ويخاطب به، فإن كان له علامة يكون بها على بيته من ربه، وإلا فالتليس يحصل له، وعدم القطع بالعلم في ذلك إن كان منصفاً، وقد يكون الذي شاهده حقاً، ويكون معصوماً محفوظاً في نفس الأمر، ولكن لا علم له بذلك، فإذا كان على بيته من ربه، حينئذ يأمن التليس، كما أمنت الأنبياء عليهم السلام فيما يلقي إليهم من الوحي في بيوتهم، وذلك أن الشيطان لا يزال مراقباً لحال هذا المرید المكاشف، سواء كان من أهل العلامات أو لم يكن، فإن له حرصاً على الإغواء والتليس، ولعلمه بأن الله قد يخذل عبده بعد عصمته مما يلقي إليه، فيقول: عسى؛ ويعيش بالترجي والتوقع، وإن عصم باطن الإنسان منه، ورأى أنوار

الملائكة قد حفت بهذا العبد، انتقل إلى حسه، فيظهر له في صورة الحس أموراً، عسى
 يأخذه بها عما هو بسبيله مع الله في باطنه، وهذا فعله مع كل معصوم محفوظ بأنوار الملائكة
 حساً في باطنه، وأما إن كان معصوماً في نفس الأمر، وليس على باطنه حفظة من الملائكة،
 فإن الشيطان يأتي إلى قلبه، وهذا الشخص بكونه معصوماً في نفس الأمر، بالبيئة التي هو
 عليها من ربه، لا يقبل منه ما يلقي إليه، هذا إن لم يكن متبحراً في العلم، ويكون صاحب
 مقام مقصور عليه، وأما إن كان صاحب تمكين وتبحر في العلم الإلهي، أخذ ذلك منه،
 فإنه رسول من الله إليه، فإن كان محموداً قلب عينه في مجرد الأخذ، حيث أخذه عن الله،
 ولم يلتفت إلى الوسطة، لعلمه بمحلها عند الله من الطرد والبعد، فينقلب خاسئاً، حيث
 أراد أمراً فلم يتم له، بل كان فيه زيادة سعادة لهذا الشخص، ولكن من حرصه على
 الإغواء، يعود إليه المرة بعد المرة، وإن كان الذي أتاه به ملموماً قلب عينه، فصار محموداً
 في حقه، بأن يصرفه على المصرف المرضي، فينقلب خاسئاً، حيث أراد أمراً فلم يتم له، بل
 كان فيه سعادة لهذا الشخص، فإن كان حال هذا الشخص الأخذ من الأرض، أقام
 له الشيطان أرضاً ليأخذ منها، فلما أن يرده خاسئاً ويفرق بين الأرضين، وإما أن يكون
 متبحراً، فيشكر الله حيث أعطاه أيضاً أرضاً متخيلة، كما أعطاه أرضاً محسوسة، وينظر سر
 الله فيها، ويأخذ منها ما أودع الله فيها من الأسرار التي لم تحط بيبال إبليس، ويردها الله لهذا
 الشخص زيادة في ملكه، وإن كان حاله السقاء، فإن الشيطان يقيم له سقاء مثل السقاء
 التي يأخذ منها، ويدرج له من السموم القاتلة ما يقدر عليه، فيعامله العارف بما ذكرناه في
 معاملته له بالأرض، وإن لم يكن في هذا المقام لبس عليه، وتجرع تلك السموم القاتلة،
 ولحق بالأخسرين أعمالاً، وإن كان حاله في سلمرة المنتهى أو في ملك من الملائكة، جلي
 له صورة سدرة مثلها أو صورة مثل صورة ذلك الملك، وتسمى له باسمه، ثم ألقى إليه ما
 عرف أنه يُلقى إليه من ذلك المقام الذي هو فيه، ليلبس عليه، فإن كان من أهل التلبس
 فقد ظفر به عدوه، وإن كان معصوماً حفظ منه، فيطرده ويرمي ما جاء به، أو يأخذه من
 الله دونه، ويشكر الله على ما أولاه وما زاده، ثم يرتقي هذا الشخص إلى حال هو أعلى،
 فإن كان حاله العرش أو العباء أو الأساء الإلهية، ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزاناً

بميزان، فإن كان من أهل التلبيس، كان كما ذكرناه، وإن لم يكن، انقسم أمره إلى ما ذكرناه، فقد أعلمتكم أن الشيطان لا يجلي للشخص، إلا على ما هي عليه حالته في صورة ذلك على السواء، وعلى ما استقر في ذهنه عما قرره الشريعة، ألا ترى ابن صياد، لما أظهر له إبليس العرش، إذ كان حاله، وأبصر ذلك العرش على البحر، لأنه رأى الله تعالى يقول ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فجلى له العرش على البحر وهو قاعد عليه، يأخذ عنه ابن صياد، ويتخيل أنه يأخذ عن الله، فإن الله قد قال على ما أخبره به رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فقال له رسول الله ﷺ «ماذا ترى؟» قال «أرى العرش» قال «أين؟» قال «على البحر» فقال له رسول الله ﷺ «ذلك عرش إبليس» ونجياً له رسول الله ﷺ سورة الدخان من القرآن، فقال له رسول الله ﷺ «ما خبات لك؟» فقال «الدخ» والدخ هي لغة في الدخان، فقال له رسول الله ﷺ «أخساً فلن تعدو قدرك» يعني إنك ممن لبس عليه الأمر، فإنه ﷺ ما خبأ له إلا سورة الدخان، وهي تحوي على الدخان وعلى غيره، فما خبأ له الدخان، فأتاه باسم السورة لا بما خبأ له، وما قال: سورة الدخان، وإنما قال: الدخ، ولم يأت في هذه السورة إلا الدخان لا الدخ، وإن كان هو بعينه، فلم يفرق ابن الصياد بين سورة الدخان وبين الدخان، فجهل، فلماذا قال له رسول الله ﷺ «أخساً فلن تعدو قدرك» حيث جاء من هذه السورة بما يناسب إبليس، الذي عرفه بذلك، وهو أن الشيطان مخلوق من النار، فما رأى من تلك الخبيثة إلا ما يناسبه، وما عرف أنها سورة الدخان، فألقى إلى ابن صياد في روعه هذا القدر، وذلك أن النبي ﷺ تلفظ باسم السورة عندما عيّن في نفسه، فسرقها الشيطان واختطفها من لفظه، ولو أضمرها رسول الله ﷺ في نفسه ما عرفها إبليس، فإنه ليس له على قلبه ﷺ اطلاع ولا استشراق، بخلاف قلب الولي، فإن النبي معصوم من الوسوسة في حال نزول الوحي وفي غيرها، لا فرق، ألا ترى الشيطان لما علم أن رسول الله ﷺ بهذه المثابة والعناية من الله، في عصمة قلبه من استشراق إبليس عليه، جاءه في الصلاة في قلبه بشعلة نار خيفة، فرمى بها في وجهه، وغرضه أن يحول بينه وبين الصلاة، لما يرى له فيها من الخير، فإنه يحسده بالطبع، فتأخر النبي ﷺ إلى خلف ولم يقطع صلاته، وأخبر بذلك أصحابه، وأما الولي، فقد يلقي إليه في قلبه، وقد يسمع منه ما يحدث

به نفسه، فيطمع أن يلبس عليه حاله كما ذكرناه، فمن كان على بينة من ربه فقد سعد، وارتفع الإشكال ولا بد، للبينه التي يكون عليها أن تكون بينة له، وإن لم تكن بينة، فلا يقدر أن يحكم بها، فإنه قد تكون علامة لا بينة، فيتخيل أن العلامة هي البينة، وليس كذلك، فإن العلامة إذا كانت بينة وهو التحقق بها، وبها يقطع النبيون والأولياء فيما يرد عليهم من الله، وكانت في الباطن لا تزول عنه، فصاحبها هو الذي يكون بها على بينة من ربه في نفسه، وإن كانت العلامة في غيره، كان ذلك الغير حاكماً لها، إن شاء ظهر له فيها وإن شاء لم يظهر، فالعلامة إن كانت في غيره، فإنه ما هو على بينة من ربه. (ف ح ٢ / ٢٢٢)

إسراء الشيخ الأكبر رضي الله عنه :

لما كان المحدث لا يستقل بالوجود، فلا بد أن يكون محمولاً، ولهذا ما أسري برسول قط إلا على براق، إذا كان إسراء جسيماً محسوساً، وإذا كان بالإسراء الخيالي الذي يعبر عنه بالرؤيا، فقد يرى نفسه محمولاً على مركب، وقد لا يرى نفسه محمولاً على مركب، لكن يعلم أنه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها، إذ قد علمنا أن جسمه في فراشه وفي بيته نائم. (ف ح ٤ / ١٠)

فلما أرد الله أن يسري بي، ليريني من آياته في أسائه من أسائي، وهو حظ ميراثنا من الإسراء، أزالني عن مكاني، وعرج بي على براق إمكاني، فزج بي في أركاني، فلم أر أرضي تصحبي، فقيل لي: أتخذ الوالد الأصلي الذي خلقه الله من تراب، فلما فارقت ركن الماء، فقدت بعضي، فقيل لي: إنك مخلوق من ماء مهين، فإهانته ذلته، فلصق بالتراب، فلماذا فارقت، فنقص مني جزآن، فلما جثت ركن الهواء، تغيرت عليّ الأهواء، وقال لي الهواء: ما كان فيك مني فلا يزول عني، فإنه لا يشخي له أن يعدو قدره، ولا يمد رجله في غير بساطه، فإن لي عليك مطالبة، بما غيره مني تعفينك، فإنه لولاه ما كنت مسنوناً، فإني طيب بالذات، بحيث بصحبة من جاورني، فلما خبثني صُحبتُه ومجاورته قيل فيه «حما مسنون» فعاد خبثه عليه، فإنه هو المنعوت، وهو الذي غيرني في مشام أهل الشم من أهل الروائح، فقلت له: ولماذا أتركه عندك؟ قال: حتى يزول عنه هذا الخبث الذي اكتسبه من عفونتك، ومجاورة

طيتك ومائك، فتركته عنده، فلما وصلت إلى ركن النار، قيل: قد جاء الفخار، فقيل: وقد بُعثَ إليه، قيل: نعم، قيل: ومن معه، قال: جبريل الجبر، فهو مضطر في رحلته ومفارقة بنيته، فقال لي: عنده في نشأته جزء مني لا أتركه معه، إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها ملكي واقتداري ونفوذ تصرفي، فنفذت إلى السماء الأولى وما بقي معي من نشأتي البدنية شيء أعول عليه، ولا أنظر إليه، فلنمت على والدي، وسألني عن تربتي، فقلت له: إن الأرض أخذت مني جزأها، وحيثما خرجت عنها وعن الماء بطيقتي، فقال لي: يا ولدي هكذا جرى لها مع أبيك، فمن طلب حقه فما تعدي، ولا سيما وأنت لها مفارق، ولا تعرف هل ترجع إليها أم لا؟ فإنه تعالى يقول ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ ولا يعلم أحد ما في مشيئة الحق إلا أن يعلمه الحق بذلك، فالتفت فإذا أنا بين يديه، وعن يمينه من نسَم بنه عيني، فقلت له: هذا أنا؛ فضحك، فقلت له: فأنا بين يديك وعن يمينك؛ قال: نعم هكذا رأيت نفسي بين يدي الحق حين بسط يده، فرأيتني وبني في اليد، ورأيتني بين يديه، فقلت له: فما كان في اليد الأخرى المقبوضة؟ قال: العالم؛ قلت له: فيمين الحق تقضي بتعيين السعادة؛ فقال: نعم تقضي بالسعادة، فقلت: فقد فرق الحق لنا بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فقال لي: يا ولدي ذلك يمين أبيك وشياله، ألا ترى نسَم بنِي على يميني وعلى شمالي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، فبني في يميني وفي شمالي، وأنا وبني في يمين الحق، وما سوانا من العالم في اليد الأخرى الإلهية، قلت فإذا لا نشقى، فقال: لو دام الغضب لدام الشقاء، فالسعادة دائمة وإن اختلف المسكن، فإن الله جاعل في كل دار، ما يكون به نعيم أهل تلك الدار، فلا بد من عمارة الدارين، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر، وأمر بإقامة الحدود فأقيمت، وإذا أقيمت زال الغضب، فإن الرسالة تزيله، فهو عين إقامة الحدود على المغضوب عليه، فلم يبق إلا الرضا، وهو الرحمة التي وسعت كل شيء، فإذا انتهت الحدود، صار الحكم للرحمة العامة في العموم، فأفادني أبي آدم هذا العلم، ولم أكن به خبيراً، فكان لي ذلك بشرى معجلة إلهية في الحياة الدنيا، وتنتهي القيامة بالزمان، كما قال الله ﴿خمسین ألف سنة﴾ وهذه مدة إقامة الحدود، ويرجع الحكم بعد انقضاء هذه المدة إلى الرحمن الرحيم، وللرحمن الأسماء الحسنی، وهي حسنی لمن تتوجه عليه بالحكم،

فالرحيم برحمته يتنقم من الغضب، وهو شديد البطش به، مثل له، مانع بحقيقته، فيبقى الحكم في تعارض الأسماء بالنسب، والخلق بالرحمة مغمورون، فلا يزال حكم الأسماء في تعارضها لا فينا، فافهم فإنه علم غريب دقيق لا يشعر به، بل الناس في عمية عنه، وما منهم إلا من لوقلت له: ترضى لنفسك أن يحكم عليك ما يسوءك من هذه الأسماء؟ لقال: لا؛ ويجعل حكم ذلك الاسم الذي يسوء في حق غيره، فهذا من أجهل الناس بالخلق، وهو بالحق أجهل، فأفاد هذا الشهود، بقاء أحكام الأسماء في الأسماء لا فينا، وهي نسب تضاد بحقائقها، فلا تجتمع أبداً، ويسط الله رحمته على عباده حيث كانوا، فالوجود كله رحمة^(١)، ثم رحلت عنه بعدما دعا لي، فنزلت بعيسى عليه السلام في السماء الثانية فوجدت عنده ابن خالته يحيى عليها السلام، فكانت الحياة الحيوانية، ولو كان^(٢) يحيى ابن خالته لكان روحاً، ولما كانت الحياة الحيوانية ملازمة للروح، وجدت يحيى عند روح الله عيسى، لأن الروح حي بلا شك، وما كل حي روح، فسلمت عليهما، فقلت له: بماذا زدت علينا حتى ساءك الله بالروح المضاف إلى الله^(٣)؟ فقال: ألم تر إلى من وهبني لامي؟ ففهمت ما قال، فقال لي: لولا هذا ما أحييت الموتى، فقلت له: فقد رأينا من أحياء الموتى ممن لم تكن نشأته كنشأتك، فقال: ما أحياء الموتى من أحياءهم إلا بقدر ما ورثه عني، فلم يقم في ذلك مقامي، كما لم أقم أنا مقام من وهبني في إحياء الموتى، فإن الذي وهبني - يعني جبريل - ما يظن موضعاً إلا حيي ذلك الموضع بوطائه، وأنا ليس كذلك، بل حفظنا أن نقيم الصور بالسوط خاصة، والروح الكل يتولى أرواح تلك الصور، وما يظوه الروح الذي وهبني، هو يعطي الحياة في صورة ما أظهره السوط^(٤)، فاعلم ذلك، ثم رددت وجهي إلى

(١) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ - شمول الرحمة وعدم سمرمة العذاب - ص ٢٣٠ طبعة أولى - ص ٢٢٦ طبعة ثانية.

(٢) المعنى لو كان يحيى بدل عيسى لكان روحاً مثله.

(٣) يشير إلى قوله تعالى في عيسى عليه السلام ﴿روح الله وكلمته﴾.

(٤) يشير إلى قول السامري ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ يعني جبريل ﴿فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي﴾ فخار العجل بالقاء أثر جبريل فيه.

يحيى عليه السلام، وقلت له: أخبرت أنك تدبج الموت إذا أتى الله به يوم القيامة، فيوضع بين الجنة والنار، ليراه هؤلاء وهؤلاء، ويعرفون أنه الموت في صورة كبش أملح، قال: نعم، ولا ينبغي ذلك إلا لي، فأني يحيى، وإن ضدي لا يبقى معي، وهي دار الحيوان، فلا بد من إزالة الموت، فلا مزيل له سواي؛ فقلت له: صدقت فيما أشرت إلي به، ولكن في العالم يحيى كثير؛ فقال لي: ولكن لي مرتبة الأولوية في هذا الاسم، فبي يحيى كل من يحيى من الناس، من تقدم ومن تأخر، وإن الله ما جعل لي من قبل سميّاً، فكل يحيى تبع لي، فبظهوري لا حكم لهم؛ فنبهني على شيء لم يكن عندي، فقلت: جزاك الله عني خيراً من صاحب موروث، وقلت: الحمد لله الذي جمعكما في سماء واحدة - أعني روح الله عيسى ويحيى عليهما السلام - حتى أسألكما عن مسألة واحدة، فيقع الجواب بحضور كل واحد منكما، فإنكما خصصتما بسلام الحق، فقيل في عيسى: إنه قال في المهد ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وقيل في يحيى ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ فأخبر عيسى عن نفسه بسلام الحق عليه، والحق أخبر بسلامه على يحيى، فأني مقام أتم؟ فقال لي: ألسنت من أهل القرآن؟ قلت له: بلى أنا من أهل القرآن؛ فقال: انظر فيما جمع الحق بيني وبين ابن خالتي، أليس قد قال الله في ﴿ونبيّاً من الصالحين﴾ فعينني في النكرة؟ فقلت: له نعم، قال: ألم يقل في عيسى ابن خالتي ﴿إنه من الصالحين﴾ كما قال عني فعينه في النكرة؟ ثم قال: إن عيسى هذا لما كان كلامه في المهد، دلالة على براءة خالتي مما نسب إليها، لم يترجم عن الله إلا هو بنفسه، فقال ﴿والسلام عليّ﴾ يعني من الله، قلت له: صدقت؛ قلت: ولكن سلم بالتعريف، وسلام الحق عليك بالتنكير، والتنكير أعم؛ فقيل لي: ما هو تعريف عين، بل هو تعريف جنس، فلا فرق بينه بالألف واللام وبين عدمها، فأنا وإياه في السلام على السواء، وفي الصلاح كذلك، وجاء الصلاح لنا بالبشرى في وفي عيسى بالملائكة؛ فقلت له: أفدنتي أفادك الله، فقلت له: فلم كنت حضوراً؟ فقال: ذلك من أثر همة والدي في استفراغه في مريم البتول، والبتول المنقطعة عن الرجال، لما دخل عليها المحراب، ورأى حالها فأعجبه، فدعا الله أن يرزقه ولداً مثلها، فخرجت حضوراً منقطعة عن النساء، فما هي صفة كمال، وإنما كانت أثر همة، فإن في الإنتاج عين الكمال،

قلت له: فنكاح الجنة ما فيه نتاج، فقال: لا تقل، بل هو نتاج ولا بد، وولادته نفس تخرج من الزوجة عند الفراغ من الجماع، فإن الإنزال ربيع كما هو في الدنيا ماء، فيخرج ذلك الريح بصورة ما وقع عليه الاجتماع بين الزوجين، فمننا من يشهد ذلك ومنا من لا يشهده، كما هو الأمر عليه في الدنيا، عالم غيب لمن غاب عنه، وعالم شهادة في حق من شهده، قلت له: أفدنتي أفادك الله من نعمة العلم به؛ ثم قلت له: هذه سبائك؟ قال لي: لا، أنا متردد بين عيسى وهارون، أكون عند هذا وعند هذا، وكذلك عند يوسف وإدريس عليهما السلام، فقلت له: فلماذا خصصت هارون دون غيره من الأنبياء؟ فقال لي: حرمة النسب، ما جئت لعيسى إلا لكونه ابن خالتي، فأزوره في سبائه، وآتي إلى هارون، لكون خالتي أختاً له ديناً ونسباً؛ قلت: فما هو أخوها. لأن بينها زماناً طويلاً وعالمًا، فقال لي: قوله ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ ما هذه الأختوة؟ أتري هو أخو ثمود لأبيه وأمه، فهو أخوهم؟ فسمى القبيلة باسم ثمود، وكان صالح من نسل ثمود، فهو أخوهم بلا شك، ثم جاء بعد ذلك بالدين، ألا ترى أصحاب ليكة، لما لم يكونوا من مدين، وكان شعيب من مدين، فقال في شعيب أخي مدين ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ ولما جاء ذكر أصحاب الأيكة قال ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ ولم يقل أخاهم لأنهم ليسوا من مدين، وشعيب من مدين، فزارني لها صلة رحم، وأنا لعيسى أقرب من هارون؛ ثم عرج بي إلى السماء الثالثة إلى يوسف عليه السلام، فقلت له، بعد أن سلمت عليه فرد وسهل بي ورحب: يا يوسف لم لم تحب الداعي حين دعاك؟ ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: إنه لو ابتلي بمثل ما ابتليت به ودعي لأجاب الداعي، ولم يبق في السجن حتى يأتيه الجواب من الملك بما تقول النسوة؟ فقال لي: بين الدوق والقرض ما بين السماء والأرض، كثيرين أن تفرض الأمر أو تلوقه من نفسك، لو نسب إليه ﷺ ما نسب إلي، لطلب صحبة البراءة في غيبته، فإنها أدل على براءته من حضوره، ولما كان رحمة كان من عالم السعة، والسجن ضيق، فإذا جاء لمن حاله هذا، سارع إلى الإفراج، وهذا فرض، فالكلام مع التقدير المفروض، ما هو مثل الكلام مع الدائق، ألا تراه ﷺ ما ذكر ذلك إلا في معرض نسبة الكمال إليّ فيها تحمته من القرية عليّ، فقال ذلك أدباً معي، لكوني أكبر منه بالزمان، كما قال في إبراهيم: نحن أحق بالشك من إبراهيم

فبما شك فيه إبراهيم، وكما قال في لوط: يرحم الله أخي لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد؛ أتراه أكذبه؟ حاشا لله، فإن الركن الشديد الذي أراه لوط هو القبيلة، والركن الشديد الذي ذكره رسول الله ﷺ هو الله، فهذا تنبيه لك أن لا تحجري نفسك فيما لا ذوق لك فيه، مجرى من ذاق، [فلا تقل: لو كنت أنا عوض فلان لما قيل له كذا وقال كذا، ما كنت أقوله؛ لا والله، بل لو نالتك ما ناله، لقلت ما قاله، فإن الحال الأقوى حاكم على الحال الأضعف، وقد اجتمع في يوسف - وهو رسول الله - حالان: حال السجن وحال كونه مفترى عليه، والرسول يطلب أن يقرر في نفس المرسل إليه، ما يقبل به دعاء ربه فيما يدعو به إليه، والذي نسب إليه معلوم عند كل أحد، أنه لا يقع من مثل من جاء بدعوته إليهم، فلا بد أن يطلب البراءة من ذلك عندهم، ليؤمنوا بما جاء به من عند ربه، ولم يحضر بنفسه ذلك المجلس، حتى لا تدخل الشبهة في نفوس الحاضرين بحضوره، وفرق كبير بين من يحضر في مثل هذا الموطن، وبين من لا يحضر، فإذا كانت المرأة لم تحن يوسف في غيبته لما برأته، وأضافت المرادة لنفسها، لتعلم أن يوسف لم يحن العزيز في أهله، وعلمت أنه أحق بهذا الوصف منها في حقه، فما برأت نفسها، بل قالت ﴿إن النفس لامارة بالسوء﴾ فمن فتوة يوسف عليه السلام، إقامته في السجن بعد أن دعاه الملك إليه، وما علم قدر ذلك إلا رسول الله ﷺ حيث قال عن نفسه ﴿لأجبت الداعي﴾ ثناء على يوسف [1] فقلت له: فالاشتراك في إخبار الله عنك إذ قال ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ ولم يعين في ماذا، يدل في اللسان على أحدية المعنى، فقال: ولهذا قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل عن النسوة وشأن الأمر، [فما ذكرت المرأة إلا أنها راودته عن نفسه، وما ذكرت أنه راودها، فزال ما كان يتوهم من ذلك] ولما لم يسم الله في التعبير عن ذلك أمراً، ولا عين في ذلك حالاً، فقلت له: لا بد من الاشتراك في اللسان؛ قال: صدقت، فإنها همت بي لتفهرني على ما تريده مني، وهممت أنا بها لأقهرها في الدفع عن ذلك، فالاشتراك وقع في طلب القهر مني ومنها، فلماذا قال ﴿ولقد همت به﴾ يعني في عين ما همَّ بها، وليس إلا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه، دليل ذلك قولها: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ وما جاء في السورة

(1) ما بين [.....] كأنه من كلام الشيخ وليس من كلام يوسف عليه السلام.

قط أنه راودها عن نفسها، [فأراه الله البرهان عند إرادته القهر في دفعها عنه فيما تريده منه، فكان البرهان الذي رآه، أن يدفع عن نفسه بالقول اللين، كما قال لموسى وهارون ﴿فقولا له قولاً ليئلاً﴾ أي لا تمنف عليها وتسبها، فإنها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال] فقلت له: أفدنتي أفادك الله، ثم ودعته وانصرفت إلى إدريس عليه السلام^(١)، فسلمت عليه، فرد وسهل ورحب، وقال: أهلاً بالوارث المحمدي، فقلت له: كيف أهبم عليك الأمر على ما وصل إلينا، فما علمت أمر الطوفان بحيث لا تشك فيه، والنبي واقف مع ما يوحى به إليه^(٢)؟ فقال ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فهذا مما أوحى به إليّ، قلت له: وصلني عنك أنك تقول بالخرق، فقال: فلولا الخرق ما رفعت مكاناً علياً؛ فقلت: فأين مكانتك من مكانك؟ فقال: الظاهر عنوان الباطن^(٣)، قلت: بلغني أنك ما طلبت من قومك إلا التوحيد لا غير، قال: وما فعلوا، فإني كنت نبياً أذعوا إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد، فإن التوحيد ما أنكره أحد؛ قلت: هذا غريب!! ثم قلت: يا واضح الحكم، والاجتهاد في الفروع مشروع عندنا، وأنا لسان علماء الزمان، قال: وفي الأصول مشروع، فإن الله أجل أن يكلف نفساً إلا وسعها^(٤)؛ قلت: فلقد كثر الاختلاف في الحق والمقالات فيه، قال: لا يكون إلا كذلك، فإن الأمر تابع للمزاج؛ قلت: فرأيتكم معاشر الأنبياء ما اختلفتم فيه؛ فقال: لأننا ما قلناه عن نظر، وإنما قلناه عن إلٍ واحد، فمن علم الحقائق، علم أن اتفاق الأنبياء أجمعهم على قول واحد في الله، بمنزلة قول واحد من أصحاب النظر، قلت: فهل الأمر في نفسه كما قيل لكم، فإن أدلة العقول تحيل أموراً مما جئتم به في ذلك؟ فقال: الأمر كما قيل

(١) يشير إلى الساء الرابعة.

(٢) إدريس عليه السلام كان نبياً قبل نوح عليه السلام، وكان قد أخبر قومه عن الطوفان، لما تحققه من العلم بدقائق الفلك، وربط العالم بعضه ببعض.

(٣) الساء الرابعة هي المكان الذي يدور عليه رحي عالم الأفلاك، تحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك، وإدريس عليه السلام ما مات إلى الآن، بل رفعه الله مكاناً علياً.

(٤) يشير إلى قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به، فإنها حسابه عند ربه﴾ والبرهان على قدر الصادق في اجتهاده.

لنا وكما قال من قال فيه، فإن الله عند قول كل قائل، ولهذا ما دعونا الناس إلا إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد، ومن تكلم في الحق من نظره، ما تكلم في محظور، فإن الذي شرع لعباده «توحيد المرتبة» وما ثم إلا من قال بها؛ قلت: فالمشركون؟ قال: ما أخذوا إلا بالوضع، فمن حيث كذبوا في أوضاعهم وتخلوها قرية، ولم ينزلوها منزلة صاحب تلك الرتبة الأحادية، قلت: فلإني رأيت في واقعتي شخصاً بالطواف أخبرني أنه من أجدادي، وسمى لي نفسه، فسألته عن زمان موته، فقال لي: أربعون ألف سنة، فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ لمدته، فقال لي: عن أي آدم تسأل، عن آدم الأقرب؟^(١) فقال: صدق إني نبي الله، ولا أعلم للعالم مدة نقف عندها بجملتها، إلا أنه بالجمله لم يزل خالقاً، ولا يزال دنيا وآخرة، والأجال في المخلوق بانتهاء المدد، لا في الخلق، فالخلق مع الأنفاس يتجدد، فما أعلمناه علمناه ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟ فقال: ﴿اقتراب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ قلت: فعرفني بشرط من شروط اقترابها، فقال: وجود آدم من شروط الساعة، قلت: فهل كان قبل الدنيا دار غيرها؟ قال: دار الوجود واحدة، والدار ما كانت دنيا إلا بكم، والآخرة ما تميزت عنها إلا بكم، وإنما الأمر في الأجسام، أكوان واستحالات، وإتيان وذهاب، لم يزل ولا يزال؛ قلت: ما ثم؟ قال: ما ندري وما لا ندري، قلت: فأين الخطأ من الصواب؟ قال: الخطأ أمر إضافي، والصواب هو الأصل، فمن عرف الله وعرف العالم، عرف أن الصواب هو الأصل المستصحب الذي لا يزال، وأن الخطأ بتقابل النظرين، ولا بد من التقابل، فلا بد من الخطأ، فمن قال بالخطأ قال بالصواب، ومن قال بعدم الخطأ قال صواباً، وجعل الخطأ من الصواب، قلت: من أي صفة صدر العالم؟ قال: من الجود، قلت: هكذا سمعت بعض الشيوخ يقول، قال: صحيح ما قال، قلت: وإلى ماذا يكون المال بعد انتقالنا من يوم العرض؟ قال: رحمة الله وسعت كل شيء، قلت: أي شيء؟ قال: الشيتين، فالباقي أبقاه برحمته، والسني أوجده أوجده برحمته، ثم قال: محال العوارض ثابتة في وجودها، والعوارض تتبدل عليها بالأمثال والأضداد، قلت: ما الأمر الأعظم؟ قال: العالم به أعظم؛

(١) راجع كتابنا الرقيا والمبشرات - أصل كل شيء - آداه .

ثم ودعته وانصرفت، فنزلت بهارون عليه السلام^(١)، فوجدت يحيى قد سبقني إليه، فقلت له: ما رأيتك في طريقي، فهل ثمَّ طريق أخرى؟ فقال: لكل شخص طريق لا يسلك عليها إلا هو، قلت: فأين هي هذه الطرق؟ فقال: تحدث بحدوث السلوك؛ فسلمت على هارون عليه السلام، فرد وسهل ورحب وقال: مرحباً بالوارث المكمل، قلت: أنت خليفة الخليفة^(٢) مع كونك رسولاً نبياً؟ فقال: أما أنا فنبى بحكم الأصل، وما أخذت الرسالة إلا بسؤال أخي، فكان يوحى إلي بما كنت عليه؛ قلت: يا هارون، إن ناساً من العارفين زعموا أن الوجود يتعدم في حقهم، فلا يرون إلا الله، ولا يبقى للعالم عندهم، ما يلتفتون به إليه في جنب الله، ولا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم، وأخبرنا الحق أنك قلت لأخيك في وقت غضبه ﴿لا تشمت بي الأعداء﴾ فجعلت لهم قدراً، وهذا حال يخالف حال أولئك العارفين، فقال: صدقوا، فإنهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم، ولكن انظر، هل زال من العالم ما زال عندهم؟ قلت: لا؛ قال: فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم، فعندهم عُدِمَ العالم، فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم، فإن العالم كله هو عين تجلي الحق لمن عرف الحق ﴿فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعلمين﴾ بما هو الأمر عليه.

فليس الكمال سوى كونه فمن فاته ليس بالكامل
فياقائل بالصفناء اتند وحوصل من السنبيل الحاصل
ولا تركنن إلى فالت ولا تبع التسقذ بالأجل
ولا تتبع النفس أمراضها ولا تمزج الحق بالباطل

ثم ودعته ونزلت بموسى عليه السلام^(٣)، فسلمت عليه، فرد وسهل ورحب، فشكرته على ما صنع في حقنا، مما اتفق بينه وبين نبينا محمد ﷺ، في المراجعة في حديث فرض الصلوات، فقال لي: هذه فائدة علم الذوق، فللمباشرة حال لا يُدْرَكُ إلا بها، قلت: ما زلت تسعى في حق الغير حتى صحَّ لك الخير كله، قال: سعي الإنسان في حق

(١) يشير إلى السهء الخامسة.

(٢) قول موسى لهارون عليها السلام ﴿اخلفني في قومي﴾.

(٣) يشير إلى السهء السادسة.

الغير، إنما يسعى لنفسه في نفس الأمر، فما يزيد ذلك إلا شكر الغير، والشاكر ذاكراً لله بأحب المحامد لله، والساعي منطلقه بتلك المحامد، فالساعي ذاكراً لله بلسانه ولسان غيره [قال الله تعالى لموسى عليه السلام «أذكرني بلسان لم تعصني به» فأمره أن يذكره بلسان الغير، فأمره بالإحسان والكرم]، ثم قلت له: إن الله اصطفاك على الناس برسالته وبكلامه، وأنت سألت الرؤية، ورسول الله ﷺ يقول: «إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت» فقال: وكذلك كان، لما سألته الرؤية أجابني فخررت صعقاً، فرأيتك تعالى في صعقتي، قلت: موتاً؟ قال: موتاً؛ قلت: فإن رسول الله ﷺ شك في أمرك إذا وجدك في يوم البعث، فلا يدري، أجوزيت بصعقة الطور فلم تصعق في نفخة الصعق، فإن نفخة الصعق ما تعم؟ فقال: صدقت، كذلك كان، جازاني الله بصعقة الطور، فما رأيتك تعالى حتى مت، ثم أفقت فعلمت من رأيتك، ولذلك قلت ﴿تبت إليك﴾ فإني ما رجعت إلا إليه، فقلت: أنت من جملة العلماء بالله، فما كانت رؤية الله عندك حين سألته إياها؟ فقال واجبة وجوباً عقلياً؛ قلت: فيماذا اختصاصت به دون غيرك؟ قال: كنت أراه وما كنت أعلم أنه هو، فلما اختلف عليّ الموطن ورأيتك، علمت من رأيتك، فلما أفقت ما انحجبت، واستصحبتي رؤيتك إلى أبد الأبد، فهذا الفرق بيننا وبين المحجوبين عن علمهم بما يرونه، فإذا ماتوا رأوا الحق، فميزه هم الموطن، فلورودوا لقالوا مثل ما قلنا، قلت: فلو كان الموت موطن رؤيتك، لراه كل ميت، وقد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيتك، قال: نعم هم المحجوبون عن العلم به أنه هو، وإذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه، وأنت طالب له من اسمه وحاجتك إليه، فلقيته وسلمت عليه، وسلم عليك في جملة من لقيت، ولم يتعرف إليك، فقد رأيتك وما رأيتك، فلا تزال طالباً له، وهو بحيث تراه، فلا معول إلا على العلم، ولهذا قلنا في العلم: إنه عين ذاته، إذ لو لم يكن عين ذاته، لكان المعول عليه غيراً له، ولا معول إلا على العلم، قلت: إن الله ذلك على الجبل، وذكر عن نفسه أنه تجلى للجبل، فقال: لا يثبت شيء لتجليه، فلا بد من تغير الحال [فكان ذلك للجبل كالصعق لموسى، يقول موسى: فالذي دك أصعقتي] قلت له: إن الله تولى تعليمي، فعلمت منه على قدر ما أعطاني، فقال: هكذا فعله مع العلماء به، فخذ منه لا من الكون، فإنك لن تأخذ إلا على قدر استعدادك،

فلا يحجبك عنه بأمثالنا، فإنك لن تعلم منه من جهتنا، إلا ما نعلم منه من تجليه، فإننا لا نعطيك منه إلا على قدر استعدادك، فلا فرق، فانتسب إليه، فإنه ما أرسلنا إلا لندعوكم إليه لا لندعوكم إلينا، فهي «كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله» قلت: كذا جاء في القرآن، قال: وكذلك هو، قلت: بيذا سمعت كلام الله؟ قال: بسمي، قلت: وما سمعتك؟ قال: هو، قلت: فيماذا اختصاصت؟ قال: بلوق في ذلك لا يعلمه إلا صاحبه، قلت له: فكذلك أصحاب الأذواق؟ قال: نعم، والأذواق على قدر المراتب، ثم ودعته وانصرفت، فنزلت بإبراهيم الخليل عليه السلام^(١)، فسلمت عليه فرد وسهل ورحب، فقلت: يابيت لم قلت: بل فعله كبيرهم؟ قال: لأنهم قائلون بكبرياء الحق على آهنتهم التي اتخذوها، قلت: فإشارتك بقولك هذا؟ قال: أنت تعلمها، قلت: إني أعلم أنها إشارة ابتداء، وخبره محذوف، يدل عليه قولك: بل فعله كبيرهم، هذا فاسألوهم، إقامة الحجة عليهم منهم؟ فقال: ما زدت على ما كان عليه الأمر، قلت: فما قولك في الأنوار الثلاثة، أكان عن اعتقاد؟ قال: لا بل عن تعريف، لإقامة الحجة على القوم، ألا ترى إلى ما قال الحق في ذلك «وتلك حججتنا آتيناها إبراهيم على قومه»؟ وما كان اعتقاد القوم في الإله إلا أنه نمرود بن كنعان، لم تكن تلك الأنوار آهنتهم، ولا كان نمرود لها عندهم لهم، وإنما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا إليه، ولذلك لما قال إبراهيم «ربي الذي يحيي ويميت» لم يجرؤ نمرود أن ينسب الإحياء والإماتة لآهنتهم التي وضعها لهم، لئلا يفتضح، فقال «أنا أحيي وأميت» فعدل إلى نفسه تنزياً لآهنتهم عندهم، حتى لا يتزلزل الحاضرون، ولما علم إبراهيم قصور أفهام الحاضرين عما جاء به لو فصله، وطال المجلس، فعدل إلى الأقرب في أفهامهم، فذكر حديث إتيان الله بالشمس من المشرق، وطلبه أن يأتي بها من المغرب، فبهت الذي كفر، فقلت له: هذا إعجاز من الله كونه بيت قبا له فيه مقال، وإن كان فاسداً، لأنه لو قاله، قيل له: قد كانت الشمس طالعة من المشرق وأنت لم تكن، وأكذبه من تقدمه بالسنن على البديهة، فقال: وما المقال؟ قلت: يقول ما نفعل الأمر بحكمك، ولا نبطل الحكمة لأجلك؛ قال: صدقت

(١) يشير إلى السبأ السابعة.

[فكان بهته إعجازاً من الله سبحانه، حتى علم الحاضرون أن إبراهيم عليه السلام على الحق، ولم يكن لنمرود أن يدعي الألوهة] ثم رأيت البيت المعمور، فإذا به قلبي، وإذا بالملائكة التي تدخله كل يوم، تجلي الحق له سبحانه الذي وسعه، في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، فهو يتجلى فيها لقلب عبده، لو تجلى دونها، لأحرقت سبحات وجهه عالم الخلق من ذلك العبد، فلما فارقت جثت سدرة المنتهى، فوفقت بين فروعها الدنيا والقصوى، وقد غشيتها أنوار الأعيال، وصدحت في ذرى أفتانها طيور أرواح العاملين، وهي على نشأة الإنسان، وأما الأنهار الأربعة، فعلوم الوهب الإلهي الأربعة، ثم عاينت متكآت رقارف العارفين، فغشيتني الأنوار، حتى صرت كلي نوراً، وتخلع عليّ خلعة ما رأيت مثلها، فقلت: إلهي الآيات شتات، فأنزل عليّ عند هذا القول ﴿قل آما بالله وما أنزل علينا، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ فاعطاني في هذه الآية كل الآيات، وقرب عليّ الأمر، وجعلها لي مفتاح كل علم، فعلمت أني مجموع من ذكر لي، وكانت لي بذلك البشرية بأبي محمدي المقام، من ورثة جمعية محمد ﷺ، فإنه آخر مرسل، وآخر من إليه تنزل، آناه الله جوامع الكلم، وخص بست لم يخص بها رسول أمة من الأمم، فعم برسالته لعموم ست جهاته، فمن أي جهة جثت، لم تجد إلا نور محمد ﷺ ينفق عليك، فما أخذ أحد إلا منه، ولا أخبر رسول إلا عنه، فعندما حصل لي ذلك، قلت: حسبي حسبي، قد ملأ أركاني، فما وسعني مكاني، وأزال عني به إمكاني، فحصلت في هذا الإسراء معاني الأسماء كلها، فرأيته ترجع إلى مسمى واحد، وعين واحدة، فكان ذلك المسمى مشهودي، وتلك العين وجودي، فما كانت رحلتي إلا في، ودلالتني إلا علي، ومن هنا علمت أني عبد محض، ما في من الربوبية شيء أصلاً، وفتحت خزائن منزل التوكل الخامس^(١)، الذي ما كشفه أحد من المحققين، لقلة القابلين له، وقصور الأفهام عن دركه،

(١) التوكل الأول أمره تعالى لرسول الله ﷺ بقوله ﴿فتوكل على الله﴾ والتوكل الثاني أمره تعالى له بقوله ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ والتوكل الثالث أمره تعالى له بقوله ﴿وتوكل على الحي﴾ والرابع أمره تعالى له بقوله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ والتوكل الخامس في ترتيب القرآن هو أمره تعالى له ﷺ بقوله ﴿فاتخذه وكيلاً﴾.

فرايت فيها من العلوم، علم أحدية عبودية التشریف، ولم أكن رأيت قبل ذلك، وإنما كنت رأيت جمعية العبودية، ورأيت علم الغيب بعين الشهادة، وأين منقطع الغيب من العالم، ويرجع الكل في حق العبد شهادة، وأعني بالغيب غيب الوجود، أي ما هو في الوجود وهو مغيب عن بعض الأبصار والبصائر^(١)، وأما غيب ما ليس بـموجود، فمفتاح ذلك الغيب لا يعلمه إلا هو تعالى، ورأيت فيه علم القرب والبعد، بمن وعمن؟ ورأيت فيه علم خزاين مزيد العلوم، وتنزلها على قلوب العارفين، وبمن تحقق^(٢)، ومن يقسمها على القلوب، وما ينزل منها عن سؤال وعن غير سؤال، فإذا سأل الإنسان مزيد العلم، فليسال كما أمر الله تعالى نبيه أن يسأل، إذ قال له ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فنكر ولم يعين، فعَمَّ، فأبي علم نزل عليه دخل تحت هذا السؤال، فإن النزول عن سؤال أعظم لذة من النزول عن غير سؤال، فإن في ذلك إدراك البغية وذلة الافتقار، وإعطاء الربوبية حقها والعبودية حقها، فإن العبد مأمور أن يعطي كل شيء حقه، كما أعطى الله كل شيء خلقه، وفي العلم المنزل عن السؤال من علو المنزلة، ما لا يقدر قدر ذلك إلا الله، ورأيت علم حصر الآيات في السمع والبصر، فإما شهود وإما خبر، ورأيت التوراة وعلم اختصاصها بما كتبها الله بيده، وتعجبت من ذلك، كيف كتبها بيده، ولم يحفظها من التبديل والتحرير الذي حرفه اليهود وأصحاب موسى^(٣) فلما تعجبت من ذلك، قيل لي في سري - أسمع الخطاب، بل أرى المتكلم وأشهده، في اتساع رحمة أنا فيها واقف، وقد أحاطت بي - فقال لي: أعجب من ذلك، أن خلق آدم بيديه، وما حفظه من المعصية ولا من النسيان، وأين رتبة اليد من اليدين^(٤) فمن هذا فاعجب!! وما توجهت اليدان إلا على طبيعته وطبيعته، وما جاءته الوسوسة إلا من طبيعته، وعلى طبيعته توجهت اليدان، ثم مع هذا فما حفظه عما حمله في طبيعته من عصاة بنيه، فلا تعجب لتغيير اليهود التوراة، فإن التوراة ما تغيرت في نفسها، وإنما كتابتهم إياها وتلفظهم بها، لحقه التغيير، فنسب مثل ذلك إلى كلام الله، فقال ﴿يعرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ أن كلام الله معقول عندهم، وأبدوا في الترجمة عنه خلاف ما هو في

(١) مثل الملائكة والجن والجنة والنار.

(٢) أي: تحيط.

صدورهم عندهم، وفي مصحفهم المنزل عليهم، فإنهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من الأصل، وأبقوا الأصل على ما هو عليه، ليقى لهم العلم ولعلمائهم، وآدم مع اليبين عصي بنفسه، ولم يحفظ حفظ كلام الله، فهذا أعجيب، وإنما عصم كلام الله، لأنه حُكْم، والحُكْم معصوم، وعلمه العلماء به، فما هو عند العلماء محرف، وهم يجرؤونه لأتباعهم، وآدم ما هو حكم الله، فلا يلزمه العصمة في نفسه، وتلزمه العصمة فيما ينقله عن ربه من الحكم - إذا كان رسولاً - هو وجميع الرسل، وهذا علم شريف، فإن الله ما جعل في العالم هدى، لا يصح أن يعود عمى، فإنه أبان لمن أوصله إليه، فما اتصف بالعمى إلا من لم يصل إليه الهدى من ربه، ومن قيل له: هذا هدى، لا يقال إنه وصل إليه، حتى يكون هو الذي أنزل عليه الهدى، وحصل له العلم بذلك، فإن هذا لا يكون عنده عمى أبداً، فما استحب العمى على الهدى، إلا من هو مقلد في الأمرين لأبناء جنسه، فالعمى يوافق طبعه، والهدى يخالف طبعه، فلذلك يؤثره عليه، ورأيت فيها علم «من اتاد وعلى الله اعتمده وهذا هو التوكل الخامس، وهو قوله تعالى في سورة المزمل ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، ورأيت فيها علم ما ينال بالورث، وعلم ما ينال بالكسب، ورأيت فيها علم الفرق بين شكر المكلف وشكر العبد، ورأيت فيها علم تنوع الأحكام لتنوع الأزمان، فإنه من المحال أن يقع شيء في العالم، إلا بترتيب زمني، وتقدم وتأخر ومفاضلة، لأن الله أشهدني أسماءه، فرأيتها تتفاضل لاشتراكها في أمور، وتميزها في أمور مع الاشتراك، وكل اسم لا يقع فيه اشتراك مع اسم، لا مفاضلة بين ذينك الاسمين، فاعلم ذلك، فإنه علم عزيز، ورأيت فيها علم تسليط العالم بعضه على بعض، وما سببه، فرأيته من حكم الأسماء الإلهية، في طلبها ظهورها وولايتها، وما هي عليها من الغيرة، ورأيتها تستعين بالمشارك لها من الأسماء، فهي المعانة المعينة، ولذلك خرج الخلق على صورتها، فمنها المعان والمعين، ولما وقع الأمر هكذا، خاطبهم بحكم التعاون فقال ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ فيكون ما فطروا عليه عبادة، فإنهم قد يتعاونون بتلك الحقيقة على الإثم والعدوان، ورأيت علم الجبر، فرأيته آخر ما تنتهي إليه المعاذر، وهو سبب مآل الخلق إلى الرحمة، فإن الله يعذر خلقه بذلك فيما كان منهم، فإنهم لا يبقى منهم إلا التضرع الطبيعي، ولو لا أن نشأ الأخرى مثل نشأ الدنيا، ذو جسم طبيعي

وروح، ما صح من الشقي طلب ولا نضرع، إذ لو لم يكن هناك أمر طبيعي، لم يكن للنفس. إذا جهلت من ينهبها على جهلها، لعدم إحساسها، إذ لا حس لها إلا بالجزء الطبيعي، الذي هو الجسد المركب، وبالجهل شقاؤها، فكانت النفس بعد المفارقة، إذا فارقت وهي على جهالة، كان شقاؤها جهلها، ولا تزال فيه أبداً، فمن رحمة الله بها، أن جعل لها هذا المركب الطبيعي في الدنيا والآخرة، وما كل أحد يعلم حكمة هذا المركب، الذي لا يخلو حيوان عنه، ورأيت علم الرجعة، وهو علم البعث وحشر الأجساد في الآخرة، وأن الإنسان إذا انتقل عن الدنيا، لن يرجع إليها أبداً، لكنها تنتقل معه بانتقاله، فمن هذه الدار من ينتقل إلى الجنة، ومنهم من ينتقل إلى النار، فالنار والجنة نعم الدار الدنيا ونعيمها، فإنه ما يبقى دار إلا الجنة والنار، والدنيا لا تنعدم ذاتها بعد وجودها، ولا شيء موجود، فلا بد أن يكون في الدارين أو في أحدهما، فأعطى الكشف أن تكون مقسمة بين الدارين، وقد ورد في الخبر النبوي من ذلك ما فيه غنية، وكان بعض الصحابة يقول: «بابحرمتي تعود ناراً» وهو الحميم الذي يشربه أهل النار، وقوله ﷺ في الأنهار الأربعة إنها من الجنة، فذكر سيحان وجيحان والنيل والفرات، «وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» ومجالس الذكر حيث كانت روضات من رياضات الجنة، والأخبار في ذلك كثيرة، ولنا من أهل التقليد بحمد الله، بل الأمر عندنا كما آمننا به من عند ربنا، شهدناه عياناً، ورأيت فيها علم مرتبة قول النبي ﷺ: «إني مكاثركم الأمم» وأن ذلك من الشرف والمجد في موطنه، فلا يعمل مثل هذا، فإن لكل موطن شرفاً مخصوصه، لا يكون شرفه إلا به، وهنا زلت جماعة من العارفين، حيث لم يفرقوا بين شرف النفوس وشرف العقول، وأنها لا يتداخلان، وأن الكمال في وجود الشرفين، ورأيت فيها علم ما يرى الإنسان إلا ما كان عليه، سواء عرف ذلك أو جهله، فإنه لا بد أن يشهده، فيعرفه في الموضع الذي لا يتفقه العلم به ولا مشاهدته إياه، ورأيت فيها علم التداخل والدور، وهو أنه لا يكون الحق إلا بصورة الخلق في الفعل، ولا يكون الخلق فيه إلا بصورة الحق، فهو دور لا يؤدي إلى امتناع الوقوع، بل هو الواقع الذي عليه الأمر، فإن الله لا يعمل حتى تملوا، فهذا حكم خلق في حق، وقال «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره

ضيقاً حرجاً ﴿ فهذا منه ، كما كان عوده ومآله منا ، ورأيت فيها علم منزلة القرآن من العالم ، ولن جاء ؟ وسأ جاء ؟ وإلى أين يعود ؟ ورأيت فيها علم التلبس ، وأن أصله العجلة من الإنسان ، فلو أتأد وتفكر وتبصر ، لم يلتبس عليه أمر - وقليل فاعل ذلك - ورأيت فيها علم الليل وحده ، والنهار وحده ، والزمان وحده ، واليوم وحده ، والدهر وحده ، والعصر وحده ، والمدة وحدها ، ورأيت فيها علم التفصيل وفيما ظهر ، ورأيت فيها علم ما لزم الإنسان من حكم الله الذي فصله الشرع ، فلا ينفك عنه ، ورأيت فيها علم تقابل النسخين ، وأن الإنسان في نفسه كتاب ربه ، ورأيت فيها علم سبب وجوب العذاب في الآخرة ، وهو جلي ، والعلم الخفي إنما هو في وجود سبب عذاب الدنيا ، ولا سيما في حق الطفل الرضيع ، وهل الطفل الرضيع وجميع الحيوان ، لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم ، لا يشعر به ؟ وأن الصغير إذا كبر وكلف ، لا يشعر ولا يتذكر تكليفه في حال صغره ، لما يقوم به من الآلام وبالحيوان ، فإنه تعالى ما يعذب ابتداء ، ولكن يعذب جزاء ، فإن الرحمة لا تقتضي في العذاب إلا الجزاء للتطهير ، ولولا التطهير ما وقع العذاب ، وهذا من أسرار العلم الذي اختص الله به من شاء من عباده ، ولكل أمة رسول ، ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ، وما من شيء في الوجود إلا وهو أمة من الأمم ، قال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ في كل شيء ، وقال ﷺ في الكلاب : ﴿ إنها أمة من الأمم ، فعمت الرسالة الإلهية جميع الأمم ، صغيرهم وكبيرهم ، فما من أمة إلا وهي تحت خطاب إلهي ، على لسان نذير بعث إليها منها وفيها ، ورأيت فيها علم حكم الوجوب الموسع المخير ، كأوقات الصلوات والتخيرات في الكفارات ، ورأيت فيها علم كون الحق مع إرادة العبد لا يخالفه ، وهذه الصفة بالعبد أولى ، فكما أمر الله عبده فعصاه ، كذلك دعاه عبده فلم يجبه فيما سأل فيه ، كما أمره فلم يطعه ، ألا ترى الملائكة لما لم تعص أمر الله ، أجابها الله في كل ما سأله فيه ، حتى إن العبد إذا وافق في الصلاة تأمينه تأمين الملائكة غفر له ، ورأيت فيها عموم العطاء الإلهي ، وأنه من الكرم الإلهي إتيان الكبائر في العالم المكلف ، فإنه لا بد لطائفة من التبديل ، فيبدل بها كبير بكبير .

إحياء نفس بقتل نفس في كل نوع وكل جنس

فمن الناس من يبذل له بالتوبة والعمل الصالح، ومن الناس من يبذل له بعد أخذ العقوبة حظها منه، وسبب إنفاذ الوعيد في حق طائفة، حكم المشيئة الإلهية، فإذا انتهت المدة، طلبت المشيئة في أولئك تبديل العذاب الذي كانوا فيه، بالنعيم المائل له، فإن حكم المشيئة أقوى من حكم الأمر، وقد وقع التبديل بالأمر، فهو بالإرادة أحق بالوقوع، وستر الله هذا العلم عن بعض عباده، وأطلع عليه من شاء من عباده، وهو من علم الحكمة، التي من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً، ولذلك قال الحق تعالى ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ غفوراً أي يستر، رحيماً بذلك الستر، بعد قوله ﴿فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات﴾ وقال في المسرفين ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ فجاء بالمغفرة والرحمة في حق التائب وصاحب العمل الصالح، كما جاء بهما في المسرفين الذين لم يتوبوا، ونهاهم عن القنوط، وأكد بقوله: ﴿جميعاً﴾ وأكثر من هذا الإفصاح الإلهي في مآل عباده إلى الرحمة ما يكون، مع عبارة الدارين الجنة وجهنم، وأن لكل واحدة منهما ملاءها، لا يخرجون منها، فعماء الله لا مانع له، وإنما الاسم المانع إنما متعلقه، أن نعيم زيد ممنوع عن عمرو، كما أن نعيم عمرو ممنوع عن زيد، فهذا حكم المانع، لا أنه يمنع شمول الرحمة^(١)، ورأيت فيها علم الفرق بين مفاضلة المفضلين في الدنيا وبينهم في الآخرة، ورأيت فيها علم من ترك ما هو عليه، لماذا ترك وسيهه؟ ورأيت فيها علم أن الله هو المعبود في كل معبود، من خلف حجاب الصورة^(٢)، ورأيت فيها علم الرفق بالعالم، ومعاملة كل صنف بما يليق به من الرفق، ورأيت فيها علم ما يجني الإنسان إلا ثمرة غرسه لا غير، ورأيت فيها علم الحدود في التصرفات ومقاديرها وأوزانها، ورأيت فيها علم التخلق بالأخلاق الإلهية من كونه رباً خاصة، ورأيت فيها علم حُكم مرتبة الجزء من الكل، وإن كان الجزء على صورة الكل^(٣)، ورأيت فيها علم نتاج المقدمتين الفاسدتين علماً صحيحاً، مثل كل إنسان حجر، وكل حجر حيوان، فكل إنسان حيوان، فلم يلزم من فساد المقدمتين، أن لا تكون

(١) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢٣٠ طبعة أولى - ص ٢٢٦ طبعة ثانية.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢٢٠ طبعة أولى - ص ٢١٦ طبعة ثانية.

(٣) الإنسان على صورة العالم والإنسان جزء من العالم.

النتيجة صحيحة، وهذا لا يُعرف ميزانه، ورأيت فيها علم تأثير المثل في مثله، بماذا أثر فيه وليس أحدهما بأولى من الآخر؟ ولا أحق بنسبة التأثير إليه، والمثلان ضدان، فافهم، ورأيت فيها علم العبث، وكيف يصح مع قوله تعالى ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً﴾ والعبث فيها بينهما، فبأي نظر يكون عبثاً، وبأي نظر لا يكون باطلاً، وقول الله تعالى ﴿أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً﴾ ففقد، وما قيد الباطل، ورأيت علم فضل الذكور على الإناث، وهي مفاضلة عرضية لا ذاتية، ورأيت فيها علم أحكام المَحَالِّ والمَحَال، والمكان والتمكن فيه، ورأيت فيها علم الحجب المانعة من التأثير الإلهي في المحجوب بها، ورأيت فيها علم سلطنة الأحدية، وأنه لا يبقى لسلطانها أحد، وهل يصح فيها تحمل أم لا؟ فالذي قال بالتجلي فيها ما يريد؟ هل أحدية الواحد أو أحدية المجموع؟ وكذلك من لا يقول بالتجلي فيها، هل يريد أحدية الواحد أو أحدية المجموع؟ ورأيت فيها علم آداب السماع وترك الكلام عنده، ورأيت علم إلحاق الأدنى بالأعلى في حكم ضرب المثل له، ومن هو هذا الأعلى؟ وبماذا كان أعلى؟ ورأيت فيها علم المَجْبُور على الثناء على من كان يذمه قبل الجبر، ورأيت فيها علم السبب المانع الذي يمنع العاقل من سلوك الأسد والأخذ بالأولى والأحق، ورأيت فيها علم العروج والنزول من الشخص الواحد لاختلاف الأحوال، ومن نزل لماذا نزل؟ ومن أنزله؟ ومن صعد لماذا صعد؟ ومن أصعده؟ ورأيت فيها علم أحوال الناس في البرزخ، فإنه تقابلت فيه الأخبار، فهل يعم التقابل أو يخص؟ وهل العموم والخصوص في الزمان أو في الأشخاص؟ ورأيت فيها علم ما فائدة الآيات التي لا تأتي للإعجاز، فلاي شيء أتت؟^(١) ورأيت فيها علم ما السبب الذي أجراً الضعيف من جميع الوجوه، على القوي من جميع الوجوه، مع علمه بأنه قادر على إهلاكه، ورأيت فيها علم طاعة إبليس ربه في كل شيء إلا السجود لآدم، وما ذكر آدم بأنه عصى نهي الله، وقيل في إبليس أوى، ولم يقل فيه عصى أمر الله، هل ذلك شرف لآدم لكونه على الصورة، وما لإبليس هذا المقام؟ وذكر الله في آدم أنه عصى ربه، فذكر من عصى، ولم يذكر في حق

(١) الآية التي يأتي بها الولي المسية كرامة، لا تكون على سبيل الإعجاز والتحدي، بل هي تصديق لمعجزة نبي خلت.

إليس إلا أبى، ولم يذكر أنه أبى امتثال أمر ربه، وفي آية أخرى قيل ﴿لم يكن من الساجدين﴾ وفي آية أخرى قيل ﴿استكبر﴾ وفي آية أخرى قال ﴿أسجد لمن خلقت طيناً﴾ وفي آية أخرى قيل ﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾ فانظر ما أفادك الحق في هذه الآيات، وما في طيها من الأسرار، ورأيت فيها علم الاغترار، ورأيت فيها علم من فضل آدم من المخلوقين، وأن فضله لم يعم، وهكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها^(١)، وهكذا أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام شيخنا أبامدين، بأن فضل آدم لم يعم، ورأيت فيها علم الإمامة والإمام، ورأيت فيها علم أن الدنيا عنوان الآخرة، وضرب مثال لما، وأن حكم ما فيها هو أتم وأكمل في الآخرة، ورأيت فيها علم السبب الذي لأجله يميل قلب صاحب العلم بالشيء، عما يعطيه علمه، وما حكمه؟ ورأيت فيها علم سنة الله في عباده لا تتبدل، ورأيت فيها علم توقيت محادثة الحق، التي لا بد لصاحب العناية منها، والجمع بين الشهود والمحادثة، وما يكون من المحادثة مسامرة، وأن الحق لا يمتنع من المسامرة، ويمتنع من المحادثة في أوقات ما، وهي خطاب إلهي من العبد لله ومن الله للعبد، وما ينتج هذا العلم لمن علمه يوم القيامة، ورأيت فيها علم أحوال الصادقين في حركاتهم، في الدخول إلى الحضرة الإلهية من العالم، والخروج منها إلى العالم، وبمن تمكن في هذا المقام أبويزيد البسطامي، ورأيت فيها علم تشخيص العلم، حتى يقبل الحكم عليه بما يؤثر فيه الوجود، وإن لم يكن كذلك فلا يُعقل^(٢)، وصورته صورة تجلي الحق، في أي صورة ظهر، يحكم عليه بما يحكم به على تلك الصورة التي تجلي فيها، ويستلزمه حكمها، ومن ذلك نُسب إليه تعالى ما نُسب، من كل ما جاءنا في الكتاب والسنة، ولا يلزم التشبيه، ورأيت فيها علم الطب الإلهي، في الأجسام الطبيعية لا في الأخلاق، وقد يكون في الأخلاق، فإن مرض النفس بالأخلاق الدنية، أعظم من مرض الأجسام الطبيعية، ورأيت فيها علم ما لا يتعدى العامل ما يقتضيه طبعه ومزاجه، إن كان ذا مزاج، فإن كان العامل عن لا مزاج له، فإن عمله بحسب ما هو عليه في ذاته، ورأيت فيها علم حكم من يُسأل عما يعلم، فيجيب أنه لا

(١) ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي - الحديث - أخرجه أحمد والترمذي .

(٢) راجع حكم الخيال في جميع الحضرات الوجودية ص ١٥ .

يعلم، فيكون ذلك علماً به عند السائل، أنه يعلم ما سأله عنه، فإن أجابه بما يعلم كما هو الأمر في نفسه وعليه، علم أنه لا يعلم المجيب ما سأل عنه السائل^(١)، ورأيت فيها علم التعاون على حصول العلم إذا وجد، هل يحصل به كل علم يتعاون عليه، أو يحصل به علم بعض العلوم دون بعض؟ ورأيت فيها علم سبب وضع الشرائع وإرسال الرسل، ورأيت فيها علم التحكم على الرسل ما سببه؟ وهل هو محمود أو مذموم، أو لا محمود ولا مذموم، أو في موطن محمود وفي موطن مذموم؟ ورأيت فيها علم المانع من وقوع الممكنات دفعة واحدة، أهني ما وقع منها، وهل ذلك ممكن أم لا؟ وفيها يمكن ذلك، وفيها لا يمكن، والذي يمكن فيه هل وقع أم لا، وما ثم إلا جوهر أو عرض، حامل ومحمول، قائم بنفسه وغير قائم بنفسه، فيدخل في ذلك التقسيم الجسم وغيره؟ وهل الجسم مجموع أعراض وصفات؟ والجوهر كذلك، أم ليس كذلك؟ ورأيت فيها علم مرتبة التسعة من العدد، ورأيت فيها علم تعارض الخصمين، ما أداهما إلى المنازعة؟ هل أمر وجودي أو عيني؟ ورأيت فيها علم الحق المخلوق به، ورأيت فيها علم تسمية الاسم الواحد من الأسماء بجميع الأسماء، كما ذهب إليه صاحب خلع النعلين، أبو القاسم بن قسي^٢ رحمه الله، في كتاب خلع النعلين، ورأيت فيها علم مراتب المحامد وعواقبها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. (لمح ٣/٣٤٥)

العروج الثاني: يقول رضي الله عنه

خرجت، أبقاكم الله ووقاكم، من روحانية اسم كريم من الأسماء، إلى اسم آخر ليصعد بي إلى السماء، فعندما تجردت عن هذه السدفة الترابية، لاحظت لنا أعلام المشاهدة الغيبية، فركبنا الجادة، وسألنا المادة، واستعدنا من وعشاء السفر، وكأبة المنقلب وروعة الحذر، وقطعناها علماً علماً، واتخذناها لمراجنا سُلماً، حتى وصلنا السماء المتوسطة، والحضرة العادلة المقسطة، سماء النبي أبي العلاء والمباهاة (يعني إدريس عليه السلام) وهما أسنى الآباء والأمهات في إيجاد الحياة، فلما وصلنا هذه السماء المطلوبة، واستأذن لنا صاحب

(١) كسؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الساعة.

الحكمة المحبوبة، فأذن السيد فدخلنا، وقام لقدمونا وقعدنا، وقال: من أين جاء الراكب المحفوظ؟ المصان الملحوظ، فقلنا: من بلد أجسد الغريب، فقال: مرحباً بالزائرين من بلد الحبيب، ما أحسنها من مدينة حصينة قامت أركانها على الترتيب^(١)، وجعل سلطاتها من العالم البديع، وهذا العالم على جنسين: رفيع ونازل، وهذا السلطان من الجنس الرفيع، وقامت بها الصفات الإلهية، فدعيت بالحي العالم المرید القادر، المتكلم البصير السميع، وأحكمت بتسع قوى من صفة غاذية ونامية ومصورة، وناطقة وعاملة وحافظة ومفكرة، وخيالة وعسة فجاءت حسنة الترتيب، واتقنت بقوة تجذب المنافع وقوة تمسكها، وقوة تهضم ما حصل في المعدة خوفاً من المضار وقوة تدفعها، وشرح ترتيب هذه المدينة يطول^(٢)، لكثرة ما فيها من الفصول، لكنها جمعت حقائق المحدثات، وبعض الحقائق الإلهيات، ما خلق الله خلقاً أشرف منها، ولا أحدث حكم عن أحد مثل ما أحدث عنها، أوتيت جوامع الكلم وأودعت فنون الحكم، ياطول شوقي إليها، ويحسرتي عليها، ما أشتهي قيام الساعة إلا لردّي إليها، ونزولي عليها، وهي مدينة لا يعرف قدرها إلا من عرف سر القدر، ولهذا جهلتها أرباب الفكر، هي يوطيقى الحكمة، وموسيقى النعمة، وبرزخ النور والظلمة، لازالت آفاقها سافرة، وأطباقها دائرة، فخدمت الجلساء والحجّاب، وسجدوا لظل الحجاب، ثم رفعوا، وأصاخوا وأقنعوا، وعاد إلى الكلام السيد الإمام، والنسابة العلام، وقال: عرفتم أن هذا المحل الأسنى لا يجوز عليه التكليف، ولا يتحكم عليه لطيف ولا كثيف، أين المفصح عنا ببعض ما نحن عليه؟ المترجم عنا ببعض ما قررناه لديه؟ فرُفِع لنا بيت من الذهب الأحمر، قد فتق بالمسك وجرّ بالعنبر، ونصب فيه منبر من البياقوت الأحمر، وخرج الترجمان وعلى رأسه تاج من اللؤلؤ والجوهر، وقد حفت به أقاويل الملأ الأعلى، وزوجانيات السموات العلى، وما بقي روح إلا حضر، ولا ملك محجوب إلا ظهر، وسطع الشعاع، وعم القاع والبقاع، وسرت الضياعات، وأشرقت الأنوار وازدانت السماوات، وظهر سلطان الاستوائ، وتعالى العلاء، وقام البناء، وخلص الولاء، وتمكن الصفاء، وعظم الإشراق، وتلاّلات

(١) الأركان الأربعة الماء والهواء والتراب والنار.

(٢) يشير بالمدينة إلى الإنسان ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

الآفاق، وتفجرت الجداول، وأخذت مراتبها الأقاليم، وصعد الخطيب المصقع منبره، وحمى أثره، وإذا به معتدل النشأة، حسن الهيئة، وضاح الجبين، أشم العرتين، سبط البنان، ضرب اللسان، من أهل أرين^(١)، وداره بعلمين، في أحسن تقويم، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، مستدير الوجه الأغر، كأنها فقه حب الرمان في خده فاحر، فسلم ولم يشر بينانه، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وأداره في شدقه ثم شرع في بيانه، فقال: الحمد لله الذي كان ولا شيء معه، وهو على ما عليه كان، ثم أبدع العالم واخترعه، ولم يرجع إليه أثر من خلقه الكيان، أوجد ما علم من ذاته لا من شيء، وأخرجها من غير شيء كانت فيه ولا حجب، وكان موصوفاً بالوجود، قبل كل موجود، ولا قبل إلا من حيث العبارة، ولا كان إلا من حيث الإشارة، والمنهج القويم، في معرفة ارتباط المحدث بالقديم، وليس بينهما بينية، ولا قبلية، إذ القبل مخلوق إضافي، وامتداد زمني، ولو حققت مراتب الموجودات لاستحال عندكم وجود الأزمان، والتقدم بالمكان، وقضيتم فيها بالإحالة بعد الإمكان، فمن ثبت قدومه استحاله عليه إطلاق صيغ الأزمان، والإشارة بصيغ المكان، إلا من طريق المجاز على الجواز، لما في عالم العبارة من العجز والقصور في ذلك المقام من العلو والإعزاز، فنطلقها عليه للعقول المعقولة بأفكارها، لتجاوز منها إلى إدراك المعاني المقدسة المؤسسة في فطرها، ولولا الإمداد لهذه العقول المتعطشة لمعرفة بارئها الحائرة، ما احتجنا إلى استعمال هذه العبارات القاصرة، فله الصفات العلى والأسماء الحسنى، والنبأ الأسنى، وحجاب العزة الأسمى، تجل اسمه الحي فحييت الموجودات، والقيوم ققامت به الأرض والسماوات، ومن فيهن من عوالم البقاء والاستحالات، فعنت لحياته الوجوه، وسجدت لقيوميته الجباه، وأقنعت لعظمته الرؤوس، وتحركت بذكره الشفاه، وحبنا سيدنا هذا بفنون المعارف والأسرار، ومنحه جزيل العوارف في مطالع الأنوار، فأداره مع الأفلاك، وأسرى به مع الأملاك، فوقف على الآثار الفلكية، وتحقق بأسرار اللطائف الملكية، وخاطب كل روحانية بلغتها، فعرفته بمكان حكمتها، فلما حل في أوج العلا، نزل في خط الاستواء، خوفاً أن ينحرف إلى أحد الميادين فتذهب بعض معارفه، ويستحيل إلى الكثافة بعض لطائفه، وعلم

(١) أرين مثل خط الاستواء، وفي اصطلاح الصوفية هو محل الاعتدال في الأشياء.

ما يكون في طمو البحور، فأودع الحكيم في الصخور، ثم عاد إلى مرقاه الأوسط، وحل منه في الوسط، وهو مقامكم الذي أنتم به قاطنون، وعنه عند انقضاء كلامنا وأحلون، ثم لما وصل محفوظ الجوانب، ملحوظ المآرب، نكح المهابة^(١)، وأمهرها الحياة، فسرت منه في زوايا وجود الكون، وتخللت مسالك كل عين، وقام ميزان العدل، في قبة الفضل، وزالت البغضاء، وارتفعت الشحنة، وظهر سلطانه في القلوب، باختصاصات الغيوب، لا زال مجده سنياً، ومكانه عالياً، ثم نزل، فقلت: يا أبا العلاء (أي إدريس عليه السلام) لما اختصت بالقلب، فقال: لكونه الحضرة التي وسعت جلال الرب، الموضوع على صورة القلب، قلت: فلم اختص القوي بها سر المهابة، فقال: لكونه معدن الحياة، وسيبدولك في روحانية كل سماء، ما يقابله منك من القوى والأعضاء، فقلت له: أريد أن توقفي مشاهدة عين، على تأثيراتك في قلوب العارفين، والعلماء والمريدين من عالم الكون، وما تعطيه أملاكك، وما تهبه أملاكك، فأشار إلى بعض جلسائه، وأكرم خدماته، وقال: اخترق به الدور المربع، وأشرف به على الكون المسبح، فإذا حصل مفاتيح الخزائن، وموازين المعادن، رده إلي، وأحضره بين يدي، فاخترق بي تسعين فلكاً، فرأيت مع كل فللك ملكاً، يرجع أمر هؤلاء الأملاك إلى ثلاثة أملاك: الملك الواحد موكل بالتحليل، والملك الآخر موكل بالموت، والملك الآخر موكل بالأنفاس، ومدة تدبيرهم في العالم ثلاثة وثلاثون ألف سنة، وتدبيراتهم شريفة حسنة، بين أيديهم سبعة أملاك على صورة المردان، كأنهم قضبان خيزران، لهم انشاء وانعطف، وبركات وألطف، لا نبات يعوارضهم، ولا تأخر عندهم في أداء فرائضهم، أعرفهم طيبة الروائح، بأيديهم الطوالع والمفاتيح، قد شمروا أذيالهم، وقصروا أرادتهم، وثبتوا مكانهم، علامون بما يراد منهم، مُحْكَمُونَ لما يصدر عنهم، منهم خمسة لهم حركة واحدة، واثنان لهم حركتان، واثنان منهم بين يدي ملك التحليل، واثنان منهم بين يدي ملك الأنفاس، وواحد منهم بين يدي ملك الموت، ما عندهم علم بغير ما هو سلطانهم عليه، وأما الاثنان، فالواحد منهم له علم التحليل والموت، والآخر له علم

(١) المهابة الشمس، وهي في الاعتبار الروح، والتكاح هنا نفخ الروح في الجسد المسوي، فسرت في جميع أجزائه الحياة، فشبهه بإضاءة الكون بطلوع الشمس.

الأنفاس والموت، فملك الموت تصريفها معاً، وملك التحليل تصريف الواحد منهما، وملك الأنفاس تصريف الآخر، وهم على درجات معشدة متساوية، في العدد والقوة وإحكام الفعل، غير أن الاثنين أعلم من الخمسة لتحصيلهم العالمين.

فلما عاينت هذه المراتب، وسلكت هذه المذاهب، أشرف بي على الكون المسبح، وهو العرش الأكمل المعظم المكرم الأرفع، فعاينت ما أحدث الله في قلوب العباد، وعلى مراتبهم في حركات تلك الأفلاك، وتوجهات أولئك الأملاك، وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات الفلكية، والتوجهات الملكية، يجمع بين الأنوار والأسرار في موقف السواء، على دقيقة من الحقيقة، في العالم المعقول والمحسوس، وسوي بين حقائق النفوس، ويظهر معارف التأسيس، ويكسو الأرواح أنفاس النور، ويذهب كل باطل وزور، ويحل على العلماء بالله وبالأحكام المسائل المعقدة، في العلوم المقيدة وغير المقيدة، يوضح المبهيات، ويشرح المشكلات، ويفتح معالم الصنائع في قلوب الصنائع، ويحسن مواقع النغمات في الأسماع، وتسيل أودية المعارف في قلوب العارفين، وتنفجر عيون العلوم في نفوس العالمين، وتعظم أنهار الأسرار والحكم في قلوب الحكماء المحققين، وترادف التنزلات الغيبية، وترتفع الأسرار الرحموتية، إلى أعلى فروع سدرة الانتهات، وتفتح على الشيوخ المربين علوم العلل والأدوية، ومعرفة اعتدالات الأهوية النفسانية، المردية وغير المردية، وتبدو لأهل المجاهدات نتائج المجاهدات، وتعطي ما فيها بالقوة من الكائنات المستحسنات، فطائفة منهم تنعم بالمجاهدات اللوقية، وطائفة منهم تنعم بمشاهدات الأنفاس والروائح العطرية، وفي الخضر تجتمع هذه المقامات، وعليه تبدو هذه البركات، وفي هذه التوجهات والحركات، تنفخ أرواح المعاني في قلوب أهل البدايات، وترضع أطفال المرئيين ندى أوائل التجليات، وينشر عالم الصعود، وتتغلب أحوال البقاء، وتشوف هم العارفين إلى الوصال، ويتسابق العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، ويفنى ما يضاد البقاء، ويموت ما يقابل الحياة، ويمحي ما يناقض الإثبات.

فهذا ذكر بعض ما عاينت في الكون، من تأثير النمط الأول من هذا الدور، ثم ردي إلى النمط الثاني من هذا الدور، فقطع بي تسعين فلماً، أبصرت أيضاً مع كل فلك ملكاً،

يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك، الملك الواحد موكل بالحياة، والملك الآخر موكل بالتركيب، والملك الآخر موكل بالفناء، ومدة تديبرهم في العالم أربع وعشرون ألف سنة، بين أيديهم سبعة أملاك مقبلوا الشباب، كأنهم أبناء خمس وعشرين سنة، معصومون في أغراضهم، أقوىاء في انتهاضهم، أشداء على التصريف، عليها بحدود التعديل والتحريف، وحالهم مع الثلاثة الأملاك، كحال السبعة الأملاك المتقدمين في الخدمة، وترتيب الحكمة، خمسة منهم عليها بقر واحد، اثنان لملك الحياة، وواحد لملك التركيب، واثنان لملك الفناء، والاثنان الباقيان، الواحد عالم بالحياة والتركيب، والآخر عالم بالفناء والتركيب، فلما عاينت منحايم، وتحققت مغزاهم، أشرف بي على الكون المحبوب، لأرى تأثيراتهم في القلوب بأنواع الغيوب، وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات الفلكية، والتوجيهات الملكية، يظهر عالم الأسرار على عالم الأنوار، ويكون العلم في المغرب أكثر منه في المشرق، ويقر العارف الرائي بالسبق الإلهي المحقق، ويتقوى سلطان الاصطلام، على أهل الأحوال والكرامات، ويتمكن العلم الثوري في قلوب أهل المقامات، وطلبت الأسرار عالمها، وسلطنت عاملها، واتحدت شوكتهم، واحتدت بركتهم، وقامت مملكتهم، واستحكم سلطان الشهوات على عالم النفوس، وبانت حقائق الحس والمحسوس، وظهر الضعف في العقول، وانقطعت موارد المعقولات، واستمرت مواد المقولات، واحترقت النفوس شوقاً إلى التجليات، واستحكم سلطان الحب في نفوس المحبين، حين ظهرت لهم اتصالات النهايات، ورفعت لهم أعلام الغايات، وتمعرت بحار المحسوسات بفنون الانفعالات، ورضع أطفال المرادين ندى الملقيات، وتجلت العظمة المعظمة لأسرار الأولياء، وتمكنت النشأة البشرية، بما أعطيت من الأسماء الإلهية، من تسخير الأرواح البرزخية، والأرواح التي أسرارها في أقدامها، والأرواح التي معارفها في جوانبها.

فهذا بعض ما عاينت في الكون، من تأثيرات النمط الثاني من هذا الدور، وقطعت كل نمط من هذا الدور بإقامتي فيه، خمسة عشر يوماً ونصف يوم وست ساعات، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف من أيام الدنيا.

ثم ردتني إلى النمط الثالث من هذا الدور، فجيت تسعين فلحاً، قد وكل الله مع كل فلك

ملكاً، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك، الملك الواحد موكل بالأنفاس، والآخر موكل بالأرواح، والثالث موكل بالنيران، ومدة تدبيرهم في العالم خمسة عشر ألف سنة، يتصرف بين أيديهم سبعة أملاك كهول، قد كملت قواهم، وتمكمت عقولهم، وحسن تدبيرهم، وهم في التخصيم على حكم الخدماء المتقدمين في الدرجات والتساوي، فلما اطلعت على سرهم، وكشفت ما خفي على الناس من أمرهم، نزلت إلى الكون، لأرى تأثيرهم المودع في ذلك الدور، وذلك بأن الله تعالى ساوى في الدققة، بين عالم الأسرار وبين عالم الأنوار، وسكن قلب المشتاق، وخذت نيران الاشتياق، وطرات على القلوب التخيرات، وقلت المعارف وتوقفت التنزلات، واحتجبت المقامات المتخيلات، وانقطعت موارد علوم العلى والشفا، وذهبت أسرار الأقدام فكان أصحابها على شفا، ورجع العارفون علمين بسر الانتفاص وحكمة المناص، وتوفرت دواعي الإخلاص، وحصل الواقفون في موقف السلب، وتجلى الاسم الحفيظ، وسمع في الملأ الأعلى من انضغاطهم كظيظ، وانتقلت المحبة من المحبوب إلى المحب المطلوب، ووقعت العصمة على الخواطر والقلوب، وانطردت الأبالس والوساوس، ولم يكن لعالم الأرواح قوة التصرف إلا في الحسائس، وظهرت أسرار الأكوان، وما تضمنه الملوان، واستوى الخفيف والثقيل، والبعيد والقريب.

فهذا بعض ما عاينت في الكون، من هذا النمط الثالث من هذا الدور، وقطعته في خمسة عشر يوماً ونصف يوم وست ساعات، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف يوم من أيام الدنيا.

ثم ردت إلى النمط الرابع من هذا الدور، فدرت مع تسعين فلکاً، قد رتب الله بكل فلک ملكاً، يرجع أمرهم أيضاً إلى ثلاثة أملاك، الملك الواحد موكل بالمحو، والملك الآخر موكل بالرجاء، والملك الثالث موكل بالعلم، ومدة تدبيرهم ستة آلاف سنة، بين أيديهم سبعة أشياخ هرم لهم قوة الشباب، يتصرفون في كل ما يؤمرون، وحكمهم حكم من تقدم من إخوانهم، في التسخير والانفراد والاشترك والمساواة وغير ذلك، فلما فككت رمزهم، واستخرجت لغزهم، اطلعت على الكون، لأرى ما ظهر عن سلطان هذا الدور، في قلوب أهل النور والحرور، والعدل والنجور، وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات العلويات،

والتوجهات الأفقيات، أظهر عالم الأنوار على عالم الأسرار، ووقعت النجوم، وكثرت التنزلات من الحي القيوم، وكورت الشمس، وطمس الحس، وسيرت الجبال، ونسفت الرمال، وعطلت العشار الظاهرة، وحشرت الوحوش المتنافرة، ووقع الطوفان، وزفر البركان، وزوجت النفوس، وتعشق بالمحسوس، ونشرت الصحائف، وتبينت المعارف، وظهرت اللطائف، وأني بجميع الطرائف، واتصل جبل التلاق، وكثر بين المحبين اللثم والعناق، وثلَّ عرش القراق، ونثرت الكيان نجوم أسرارها، وأطلعت البرازخ لوامع أنوارها، وخطَّ البرزخ من سكانه، وتعشق التاجر بدكانه، وضجر أهل السلوك، وتنعم سُمراء الملوك، ونبت الريحان في النيران، وظهرت يواقيت الذهب في العيان، وعمرت المعادن كلها بروح التكوين، وجاء الرب في ظلل من الغمام، والملائكة في لحف الظلام، وكثرت مناجاة السعد والوعيد، وتقصفت جوانح المحبين، وذابت أبدان العارفين، وسكنت النفوس بالأفها ومألوفاتها، وحنّت لعرافها ومعروفاتها.

فهذا بعض ما عاينت في الكون، من تأثير هذا النمط الرابع من هذا الدور، وقطعته في قدر المدة التي قطعت فيها النمط الذي قبله.

فلما وقفت على هذه المعارف، وحصلت فنون هذه الأسرار واللطائف، رددت إلى السيد الإمام إدریس، صاحب التأسيس، فقال لي: إياك والنسيان، فإنه سبب الحرمان، ثم قال لي: أركب جوادك، واشحذ فؤادك، وسر إلى حضرة أبيك، وحافظ على ما يحصل لك في تجليك، وأعرف أسرار التوحيد، وهناك يتبين لك الفرق بين المراد والمريد، جعلنا الله وإياكم ممن عرف نفسه، وشاهد شمس، بمنه وكرمه، لا رب غيره.

السهاء الأولى:

فلما دعئنا دواعي الاشتياق، إلى الكشف على ما أودع الله من الأسرار في هذه الطباق، رحلنا نريد حضرة المشاق، وهي حضرة أبي الأباء، وعنصر أجسام الأولياء والأعداء، أول بوطيقى تكوّن إكسبرها، وصار فضة بيضاء قزديرها، الجامعة للقبضتين، والحاكمة للحكمتين، واندفعنا في قلب الأفلاك، وقد حفت بركابنا أقاويل الأملاك، فما بقيت حقيقة مررنا بها في طريقنا، إلا تجلّت بأحسن زي، وقامت وخدمت، ولا روحانية إلا

سألت النزول عليها، فاحترمت وأكرمت، فأخبرتهم أن الحاجة الآن في رؤية الوالد، والغرض في مشاهدة الإنسان الواحد، فإذا انقضت المآرب، وتميزت المذاهب، وسالت المذائب، وافتترقت العواقب، واتحد الأول بالعاقب، وياتت الطالب، وتحصلت الرغائب، وعقلت تفاصيل المواهب، مع الإقرار بوحداية الواهب، والتحققت بالعدم والوجود الأكاذيب، أسرعنا إن شاء الله إليكم الكرة، ونزلنا عليكم عند ابتداء الدورة، فاستعدوا لخلولنا، وتأهبوا لنزولنا، ثم أخذنا نقطع دروب الدائرات، وقلوب الروحانيات، إلى أن نزلنا بفناء الوالد، والإنسان الواحد، الموصوف بالناجي والهالك، والمعروف بالباكي والضاحك، فأرسلت إليه رسول الهمة ينهي إليه إلمامي بحضرته، في القيام بمسرتة، فأدخلني عليه، وأحضرني بين يديه، فقبلت يمين بساط مقامه، وسجدت تعظيماً لمعالي أعلامه، وإذا به في بيت من اللجين، من أحسن ما نظرت إليه عين، قد فتح فيه خوختين، الواحدة عن يمينه ينظر منها إلى عليين، والأخرى عن شماله ينظر منها إلى سجين، بواب الخوخة اليمينية ببغاء مستندة إلى الباب، وبواب الخوخة الشمالية عُنَّاب، وعلى رأس الوالد تاج مرصع من الياقوت الأبيض، كأنه البرق إذا أومض، وعليه حلة دمشقية، وأمامه مجامير كافورية، تبرق من أسارير وجهه أنوار ظهيرية، في المجامير بخور المصطكى واللبنان، وبين يديه أطباق الياسمين والسوسن والجرجير والأقحوان، فإذا استنشق الأقحوان تيسم، وإذا استنشق الجرجير اهتم، فلا يزال باكياً ضاحكاً، مملوكاً مالكاً، والإنسان الواحد بين يديه قائم، يث إليه ما عنده من معالم العوالم، فقال لي: مرحباً بالابن السعيد، والطالب المستفيد، يا أيها الابن، ما الذي أوصلك إلينا؟ وما السبب الذي أنزلك علينا؟ فخدمت بساطه، واستغنمت انبساطه، وقلت: أدام الله أيام الوالد المعظم المقدم، وعدل قسطاسه، وأبرم أمрасه، لما علم العبد أنك صاحب العلمين والصورتين، وحامل سر الآيتين، أراد أن يقف عليها منك مواجهة، وأن يسمعها بحضرتك مشافهة، فقال: همة شريفة، وداعية سلطانية منيفة، ثم دعى بترجمانه، وصاحب لسانه، وقال: اصعد على منبر الاستوائين، واذكر بعض ما عندنا وعند حاجبنا من أسرار علوم الكونين والصورتين، فصعد الخطيب وتكلم، وقال بعد أن بسمل وصلّى ثم سلم: الحمد لله الذي جمع لأدم عبده وخليفته ورسوله بين يديه، وحباه بصورتيه، ومنحه سورتيه، وأودعه سريرتيه، وحصل فيه قبضتيه،

وهدهاء نجدية، وأنجب له سبيليه، وخاطبه بكلمتيه، وأمره على ملأيه، واستخلفه على كونه، وأصطفاه برساليته، واختصه بخلافتيه، وكرمه بمشاهدتيه، وخصه بجنتيه، ووهبه معرفتيه، وأنزله بين علميه، وأشهده مركزه وقاب قوسيه، وأسكنه في البرزخ بين كتابيه، لإظهار صفتيه، فقام عظيم الشأن، سلطاناً على الأعيان، واستوزر له الزبقران، الذي هو نظير الرثة في الإنسان، فيعلو فينمو فيفضل، ويدنو فينحل فيذبل، فوزيره مثله وعلى صورته وسورته، له وجهان وطريقان، وسران وتجليان، ومحقان وإبداران، ومحق وإبدار في كل أوان، عند العالمين بيا في الصنعة العلوية من الإحكام والترتيب والإتقان، واعتدال الأوزان، وله محق واحد وإبدار واحد عند العامة، فله الضدان، وسرعة التأثير في الأكوان، وهو شبيه بالإنسان، من جميع الوجوه القباح والحسان، وله التقابلان، وإليه ينظر الثقلان، وفيه كسران، وبدائتان وضائتان، ونقصانان وكمالان، وسران، وأمران، وتأثيران، وحكمان، وله يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، وثديان، وعلوان وسفطان، ويمينان وشمالان، وفوقان وتحتان، وخلفان وأمامان، ومخاطبتان، وقلبان، ولسانان، ومشرقان ومغربان، وأثران، وعرشان وكرسیان، وروحانيتان، وتبيضتان وتحميرتان، وتسويدتان وتكليسبان، وحياتان وموتتان، واعتدالان وانحرافان، وعقدتان، وفيه من كل شيء اثنان، فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الإتقان، إنه ولي الامتنان، والصلاة والسلام على الحقيقة المحمدية صاحبة الإمامة المطلقة، والخلافة المحققة^(١) ما اتصلت الأرواح بالأرواح، والأبدان بالأبدان.

ثم نزل وتكلم الأب فقال: اعلم يا بني - شرح الله صدرك، ورفع في ذروة التوحيد قدرك - أن الله تعالى لما كان على الحقيقتين، وأبان عنهما بالقبضتين في الوطنين، وأنبا عنهما في عالم العبارات بالحرفين، وجعلهما على السواء في الفطرتين والنعيمين والعذابين، والطاعتين والمعصيتين، باعتدال الكفتين، وجعل الآخرة ذات دارين، لتحيط بالعالمين، وفيها يقع الميزين الفريقين، كما وقع في أوان القبضتين، قبل أخذ الميثاقين، وجعل الدنيا ذات برزخين، فأظهر الكاسر في صورة المؤمن، والمؤمن في صورة الكافر لذي عينين،

(١) هذا يرد كل ما جاء في فتاوى الإمام ابن تيمية عن الشيخ الأكبر.

وجعلها محل تمحيص ويلوى للطائفتين، فوجه إليهم على لسان واحد منهم حكيمين، فأمر ونهى لتمييز الكلمتين، فمن وُحِدَ حَيِي بنار وجنتين، ومن أشرك جوزي بجنة ونارين^١.

واعلم يا بني أن الله خلق الإنسان بين ستة أعلام، الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام، فالفوق والتحت اختص بهما رب العزة من طريق المثل والمثال، والحقيقة والخيال، فالسوق للرؤية والتحت للحجاب، فكانت الجنة ثمانية أبواب للرؤية الإلهية، وكانت النار سبعة أبواب للحجب النفسانية، ولو كان الحجاب باباً مغلقاً لفتح يوماً ما، وانقلبت الحقائق واستوى البصير والأعمى، وأما بقية الأعلام اليمين والشمال والخلف والأمام، فهي مرتبة على مراتب الجنة والنار، ومنها يأتي المَلَك بالطاعة المُحَلَّة دار القرار، وإبليس بالمعصية الموصلة إلى دار البوار، قال تعالى ﴿ثُمَّ لَاتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أخبر بذلك عن إبليس، وفي مقابلته مَلَك التقديس، وهذه قسمة مدينة الإنسان، وهو مخاطب من ثلاث جهات: روح ونفس وجثمان، في كل عَلم من هذه الأعلام الأربعة، ولهذا كانت مدينته مربعة، ولِلشيطان في كل علم سبع مردة، وللملك في كل علم سبعة وزعة، ملكان للروح ومريدان، وملكان للجسم ومريدان، وملك واحد للنفس ومريد، وملك واحد سادس بين الروح والنفس، ويقابله مريد عنيد، وملك سابغ بين النفس والجسم ويقابله مريد عنيد، وهكذا في كل عَلم من الأعلام، مردة للوساوس وملائكة للإلهام، فمتى أتى الملك بلمته وهنته، أتى إبليس بلمته وعزمته، ومن ارتقى عن الملك والشيطان، بدت لعينه إصبعاً الرحمن، ولما كانت أعلام الإنسان أربعة، والجنة أربعة، والنار أربعة، كانت المنازل في الكتيب والحجاب أربعة، فالمنزل الواحد في الكتيب والحجاب منابري، والمنزل الثاني أسرة، والمنزل الثالث كراسي، والمنزل الرابع مراتب، وقد يدخلها كسر كما دخل في الأعيال، وفي عدم تسميم الأحوال، قال عليه السلام: يقبل من الصلاة عشرها تسعها ثمنها، هكذا إلى نصفها؛ فقد جاء بالمعد

(١) يعني أن الموحد حبي بنار الدنيا التي هي سجن المؤمن، وجنتين وهما الجنة المحسوسة والجنة المعنوية في الآخرة، ومن أشرك جوزي بجنة الدنيا التي هي جنة الكافر، وجوزي بنارين: نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة والنار التي تحرق الجلود في الآخرة.

المكسور، مع كونها حضرة النور، فإذا رأيت في هذه المراتب كسراً، فهو على هذا الحد، لنقص كان في أداء العهد، ولقد نبه عليه السلام في قتل جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة على ما ذكرناه، فأخبر أن في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن أسرة أصحابه، وكذا شهدناه، فإن عبد الله بن رواحة توقف قليلاً في غزواته عن القتال كما روينا.

ولما كان المصطفون ثلاثة: الروح والنفس والجسم في حق الموحدين، وكان المبعثون ثلاثة: الروح والنفس والجسم في حق المشركين، فافهم ما قررناه لديك، وأبرزناه إليك، فالروح خليفة، والنفس وزيره، والجسم مبلغ يتشرف به سريره، ولكل واحد من هؤلاء الثلاثة، منبر وسرير وكرسي ومرتبة، من شكله وعلى مثله، وقد قال عليه الصلاة والسلام في سر التثليث: لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى آخرها والمهدي وسطها، فانهض الطرفان والوسط، وانضم الملك وارتبط، فأتى بالثلاثة على حكم النشأة وتقابل الهيئة، فارفع رأسك وانظر إلى الصور، الذي هو قرن من نور، وانظر إلى اتساعه في عليين، وما أعطى الله فيه من الدرجات لأصحاب اليمين، وانظر أيضاً إلى ضيقه في سجين في أسفل سافلين، وما أودع الله فيه من الدرجات للمحجوبين، فنظرت فرأيت الأمر على ما قاله، وأن كل إنسان لا بد له من إحدى الدارين لا محالة.

فلما عاينت هذه المشاهد المتقابلة، وعرفت سبب ضحك الأب في المنازل العالية، وبكائه في المنازل السافلة، قلت له: يا أبت إنني أريد أن تخبرني بما علمت من الأسماء، وهل كانت لك خلافة في السماء؟ فقال: يا بني إن القدم الواحدة مخصوصة بالسماء، والخلافة ذات قدمين، فلا يصح فيها وجود الخلقاء، وأما ما سألت عنه من معالم الأسماء، فإن الله عرض عليّ الحقائق قبل تأليفها وعرفني بأسمائها، وأسماء من يتألف منها، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها، ثم عرض على الملائكة تلك الحقائق، وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق، لما تقدم منهم في حقي من التجريح، كما رأيت في النبأ الصحيح، فقال ﴿أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ وأشار إليهم لكونهم حاضرين، ولو أراد الأسماء خاصة، لقال: عرضها، وفي قوله ﴿عرضهم﴾ حجة واضحة، يعرفها من فرضها، فعلمت الملائكة

أسماء الحقائق في حال افتراقها، حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها، فقالوا ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ قال الله جل ثناؤه ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾، فألفت الحقائق بطريق ما، وقلت: هذا فرس، وألفتها بطريق آخر، وقلت: هذا إنسان، فأنبئهم بأسمائهم، فظهرت حجة الله على خلقه، وقام لهم برهان حقه، فبمثل هذه الأسماء اختصصت، وهي التي على الملائكة نصصت، وإلا فليس في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح، لأنها على مجرد الاصطلاح، ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها، ولم تختلف المعاني التي بها قام قوام وجودها، ولهذا قالت العرب: هذا فرس، وهو جواد وهو طرف، وقالت الإفرنج فيه (كباله)، وقالت الروم فيه (ألوغ)، وقالت الترك (أط)، وقالت الأرمن فيه (سي) وقالت العجم فيه (أسب)، فالنفس تعقل معانيها، وإن اختلفت أساميها في مبانيها، فقلت له: هذه الأسماء الكيانية، فهل اختصصت أيضاً بالأسماء الإلهية؟ فقال: عليها فطرت الصورة الإنسانية، انظرها، فهي مصرفتك، وتحققها، فهي معرفتك، وبمعرفتها تفاضلت أشخاص هذا الجنس، وبمشاهدتها تقدس العقل وزكت النفس، فقلت له: كذلك وجدتها، ولهذا عبديتها وما عبديتها، ثم قلت له: يابيت: أنت جامع القبضتين، وصاحب الحكمتين، وحامل الصورتين، فأخبرني عن السر الذي يرد المعادن إلى معدنين، وأوقفني على الكنزتين الأحرين والأبيضين، وعن سر كل وصفين، كالجلال والجمال، والانفصال والاتصال، والتركيب والتحليل، والتجميل والتفصيل، والفناء والبقاء، والإثبات والمحو، والسكر والصحو، والرب والعبد، والحر والبرد، وما أشبه ذلك، فإما أن تخبرني بحقيقة تجمع لي هذه المعاني، وإما بتفصيل هذه المباني، فقال: أما التفصيل فيطول، وإيضاح الحقيقة الجامعة أولى بالوقت، فأقول: إن الأشياء المنفصلة، إنما تنبعث من فاعلها على حقيقة وجوده في الأعيان، ولهذا لم يبق أبدع من هذا العالم في الإمكان، وأبين ما يكون ذلك في الإنسان، إذ له الجود المطلق، والفيض المحقق، فإن تفتنت فقد أبنت لك عن درج التحقيق، وألقيتك على الطريق، فادرج عليه، حتى تعين أسرار التفصيل لديه - وأما بحثك عن سر الكنزين، والأمر الذي يرد المعادن إلى معدنين، فاعلم أن هذا الأمر على مرتبتين: المرتبة الواحدة في الشاهد، تسمى خرق العوائد، وهي تصريف المحسوس، على حكم همم النفوس، وهي

مختصة بأرياب المهتم، ومعادن الحكم، فقوتهم تسري في الأرواح، بقلب صفات أعيان الأشباح، فهذه صناعة علمية، وسورة حكيمية، ألأمها روحانية، ومواردها سماوية، إكسيريها مقرون بسعادة الأبد، وفعله مشاهدة الأحد، يتصرف في العقلاء، تصرف الأفعال بالأساء، وأما المرتبة الأخرى فهي صناعة عملية، موقوفة على عناية أزلية، تورث الجنان، ومجاورة الرحمن، ولهذا قال في الكتاب المبين ﴿تنبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفيه فليتنافس المتنافسون، فمن أراد أن يقف عليها، ويصل إليها، فإنها الكثر الذي لا يهدُّ جداره، والزند الذي لا يظهر أواره، وهي حكمة لا يودعها الله إلا الأتقاء من عباده، والمتأهلين بحضرة إشهداه، فإذا أراد الشيخ أن يظهر في المريد ريوبيته، يخفي عنه شيبته، ويضرب له ميقاته، ثم يحجب عنه أوقاته، ويأمره بالقصد إلى خط الاستواء، حيث يكون الليل والنهار والحر والبرد فيه على السواء، واعمد فيه إلى أنجيل الشاهق في السماء، فستجده جبلاً عالي الذرى، صعب المرتقى، فيه أنواع من الحيوان، وكهوف وغيران، يعمره بيض وسودان، جُرْدُته أكثر من خضرته، تخترقه الرياح، وتعمره الثرية والنورية من الأرواح، لهم سلطان عظيم يسكن في قبته، ووزعته حافون بقتته، له أجناد وأمراء، وحكام وحكاماء، فقام بنفس الملك خاطر السعادة، والتوجه إلى طريق الاستفادة، بخرق العادة، والبحث عن الأمر الذي به دوام الملك الذي بيده، إلى أبده، فاستعمل الفكر المحرق، لما قام به من الشوق المقلق، فأنتج له أن هذا الأمر موقوف على معرفة الحكمة، وأنها موضوعة بين النور والظلمة، موقوفة على المعدن والنبات، محكوم عليها بعدد شهود الزنات، ولكن قصر به الفكر عن تعيين ذاته، وعن الإدراك لجميع صفاته، فقال له بعض حكمائه، وأخص علمائه: أيها الملك مطلبك في قدرتي، وحساجتسك تحت قوتي، ولكن قد لا تعرف قدرها، فيحرمك الله خيرها، فأنا أنبهك أولاً على كيفية إيجادها، وحسن استعدادها، فإنها من الله بمكان، وكانها مشاركة للقدر في إيجاد الأعيان، فهي حكمة علوية، مدرجة في صناعة عملية، لتعلم أيها الملك أن الله هو الحكيم الخبير، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قبل كل شيء، وأنه أوجد الأشياء لا من شيء، ولكن مع اتصافه بهذه القدرة المحققة، النافذة المطلقة، لم توجد هذه المعادن ابتداء، حتى خلق الله سبحانه وتعالى الأفلاك العلوية، والروحانيات السماوية،

واللصحات الأفقية، وأودع كل فلك روحانية كوكبية، تحتوي على خاصية، وعند وجودها خلق الأرض والماء والهواء والأثير، ثم أوجد فيها منها دائرة الزمهرير، ثم أجرى الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، وخص كل متكون من هذه الأجزاء بسر من مكنون سره، فظهرت المعادن في أعيانها، وتخلصت بمرور أزمانها، فإذا كان الله تعالى مع قدرته، ونفوذ إرادته، وقوة علمه، لم يوجد شيئاً من هذه المعادن إلا بعد خلق هذه الأدوات، وأجرام هذه المسخرات، فكيف تطمع أنت أيها الملك أن تكون فعالاً لهذه الحكمة مع عدم هذه الأدوات، وتحصيل هذه الآلات؟ فإن قدرتك قاصرة، وصفقتك إن لم تحصل هذه الأدوات خاسرة، وما فعل الله شيئاً من هذه الأدوات، وقدم لهذه المقدمات آلات، مع غناه عنها، إلا لحكمة علمها من علمها، وجهلها من جهلها - فقال الملك: فكيف السبيل إلى تحصيل هذه الأدوات، وتركيب هذه المقدمات؟ فقال الحكيم: أيها الملك ألسنت ساكنة تحت خط الاستواء، وأنت من أهل السواء؟ فقال الملك: بلى؛ فقال الحكيم: من أراد أن يعرف أصل نشأة العالم وترتيب هيئته، من خط الاستواء يعرفه، فقال الملك: فكيف أصنع، فإنني لا أجد في نفسي قوة تصور هذه الأسباب والمقدمات، وإيجاد هذه التآليفات والتركيبات؟ فقال الحكيم: إن الله سبحانه وتعالى قد منحني القوة على بناء ما يبتليها، وإقامة ما يشاكلها، ووهبني أسرار كيميائتها، وكمياتها وحركاتها، ولي أصحاب من الحكماء، أهل الفطنة والذكاء، أشد بهم أزرى، وأحكم بمشاورتهم ورأيهم أمري، لينقضي غرض المولى، وتقوم له هذه الروحانيات العُلا؛ فسر الملك بما قاله الحكيم، وزال عنه ما كان أحاط به من الهموم، وقام الحكيم، فاخترق بخاريق هذا الجبل العظيم، ينظر فيه أين نقطة دائرة المركز التي تقوم عليه النشأة، ويترتب عليه نظام الهيئة، فرأى الرياح والبخارات التي تتخلل من مسام ذلك الجبل، فتصير كالدائرة تتحرك في موضعها، ولا يتعدى إلى غير مهيبتها، فأعمل الحيلة، حتى روض ذاته، فالتحق بالأطيار، وسوى جناحيه وطار، واخترق معظم تلك الرياح مخلقاً في جوها، يتزل بتزولها، ويسمو بسموها، إلى أن انتهى إلى موضع لا يتعدى النازل فيه على الصاعد، ولا الصاعد على النازل، فقال الحكيم: الله أكبر، قام الملك وظهر، فإذا بذلك المركز المعقول، أرض ذات أشجار ويقول، فأدار عليها الماء فدار، وأدار عليها الهواء فصفق النسربجناحيه فيه وطار، وأدار به دائرة الزمهرير، وحلق به الفلك

الآثير، فلما أكمل هذه الأركان، لإنشاء ما يريد من المعادن والنبات والحيوان، لم يفعل منها، ما أراد عنها، لأنها أشباح بلا أرواح، وإناث بلا ذكور، فاحتاج إلى إقامة النجوم الثابتة، والبروج الحاكمة، والكواكب السيارة وحركات أفلاكها، وفتح مسالك أملاكها، فأقامها، فكانت الآباء العلويات، وهذه الأمهات السفليات، فتناكحت بالحفائق الروحانيات، والرفائق السماويات، فتولد بينهما بنات الحكم المعدنية والنباتيات والحيوانات، ولم تبلغ قوة هذا الحكيم فوق الحد، ولكنه وثق بالقصد.

فلما استوت هذه البنية، على حسب ما أعطته الروية وحسن النية، وجرت الأفلاك وأعطت قواها الروحانيات، وظهرت التكوينات والانفعالات، وأشرف الملك الكريم، على ما فعله الحكيم، وعابن تكوين هذه الحكمة في هذه الأجزاء، وعرف أن الأمر لا يقوم إلا بوجود الأرض والسماء، وأعجبه ما رأى من حسن الرأى، فلدركه الطيش والتوله، فخاف عليه الحكيم التآله، فأعمل الخيلة والنظر، حتى بدا له ما أراد، وظهر، وشرع في إنشاء بستان، ذي أفنان، فيه من كل وليد وقهرمان، ومن الجواري الحسان، والنخيل والأعشاب والرمسان، ضروب والسوان، تنساب فيه الجداول انسياب الشعابيين، بين تلك الأزهار والبساتين، وابتنى فيها قصوراً من الذهب والفضة البيضاء، وأسكنها من كل جارية غصاء، وفرشها بالحزير من السندس والإستبرق، والعبقري المرقق، وجعل حصاها الياقوت والمرجان والزمرد والجوهر، وتراها فتيت المسك وآكامها العنبر، ثم شرع في إنشاء دار أخرى ذات لب وسعير، وسرد وزمهرير، وقيود وأغلال، وسلاسل وسراويل من القطران، وأفاعي كأنها البخت، وأساود عظيمة الشخث، وعقارب مكونة من السمحت، وبيوت مظلمة، ومسالك ضيقة، وكروب وغموم، ومصائب وهموم، ثم أشرف الملك على الدارين، وقال: انظر ما بين المنزليين، فراعهم ما رآه، وسأله: ما السبب الذي دعاه؟ فقال الحكيم: جعلت لك هذه الدار دار الرضا، تتعم بها من أطاعك ووالاك، وجعلت لك هذه الأخرى دار الغضب، تعذب بها من عصاك وعاداك، واعلم أن الله تعالى ما أسكنك في هذه الدار، إلا لتجعلها دار اعتبار، فتفكر وتعتبر، وتذكر وتزدجر، وتعتظم من سراك فعدلك، وصورك فجملك، وولاك ومملكك، وعلمك وحككك، فإن كنت مطيعاً لربك

عادلاً في رعيته، فتصير إلى النعيم عند الله، كما تُصيرُ أنت من أطاعك إلى هذا النعيم، وإن كنت عاصياً جائراً في حكمك ظالماً، فتصير إلى ضيق وعذاب وجحيم، كما تُصيرُ أنت من عصاك وناواك إلى عذاب اليم، فحُف ريك وذنُبك، وأصلح مع الله قلبك، وأندِر قومك، وظهر ثوبك، ولا يصحبك سلطان عادتك، عن تحصيل أسباب سعادتك، فإن الدنيا لمحة بارق، وخيال طارق، وكم من ملك مثلك قد ملكها، ثم رحل عنها وتركها، ولا يد لك من الرحلة عنها إلى الآخرة، فإما أن تعمّر درجها، وإما أن تعمّر دركها.

واعلم أن الله تعالى ما جعلك ملكاً على خلقه، وأقامك بين الحق والباطل في مقام حقه، لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدييره، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره، وإنما ضرب لك بك مثلاً في عالم الفناء، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء، ولهذا جعل هذه الدار الدنيا ظلاً زائلاً، وعرضاً مائلاً، وجعلك عنها راحلاً، فهي جسر منصوب على بحر الهلاك، وميدان موضوع لمصارع الهلاك، كم أبادت من القرون الماضية، والأمم الخالية، والجبايرة المتألمين العطاغية، والفضلاء والحكماء، والأدباء والعقلاء، والأولياء والأنبياء، فهل ترى لهم من باقية؟ وأنت أيها الملك على قارعة مذهبهم، وعن قريب تلحق بهم، فإما إلى نعيم في دار الخلود بجوار الصمد، وإما إلى عذاب الأبد، فاجهد في تحصيل أدوات البقاء والنجاة، فإن الدنيا متاع قليل، والآخرة خير لمن اتقى، والعارية مردودة، وأعمالك بين يديك موجودة غير مفقودة، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا علانية ولا سريرة، وهذا الذي تعين عليّ من نصحك إن كنتم تعلمون، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون، فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية، والقيام بالحدود الوضعية.

فقال الملك: جزاك الله خيراً، لقد وعظت فأبلغت، وقذفت بالحق على الباطل فأدمغت، وأقبل الملك معتبراً في تلك الانفعالات الدورية، والأحكام الكورية، ولاحت لعينه نشأة الحكمة التي أرقته، وشوقته فأقلقت، فاعتزبها سلطانها، وتقوت بوجودها أركانها. فإن دخلت هذا الجبل، وشرح لك الملك استقصاء مسالكه، مع من يعرفه من ممالكه، فستقف على تكوينها، وقوة تمكثها بعد تلونها، وفي هذا الجبل العزيز، يتكون الحجر

الرموز، وليس بكامل في ذاته، ولا متمم في صفاته، فأدر سهاواتك، واستنزل روحانياتك، عسى ينجلي عنك غمامها، ويبدو لك بدر غمامها، وكذلك إن لقيت روحانية متجسدة، ذات همة متعبدة، فستبين لك عينه، وتريك عينه، وتجوّد عليك بتبام تدبيره، وتعرفك بكيفية تسخيره، فإن التقديس بالاتصال، لا يزال في استفال، فإن الحقائق الروحانية والرفائق السماوية، تتأذى مما تتأذى منه الإنسانية، فالخدر الخدر، من صفة الغرر، وأطلب الشيء من معدنه، ودبره في موطنه، فإنه من تولد من الحقائق الطينية الممزوجة بالاثقال، لا بد لمن أراد أن يكمل ذاته من مباشرة الأزيال، فإنه عنها تكون، وبها تحقق وجوده وتعين، ولا يفرنك التحاق الأسافل بالأعالي، والتحام الأبعاد بالأداني، فإن للمعادن موطناً، ولكل ساكن مسكناً، فمن حال بينها وبين معدنها، ودبرها في غير موطنها، سقط في يديه، وعاد وباله عليه، وكانت صفته خاسرة، وتجارته باثرة، فإن كنت إلى تدبير هذه الصنعة وإيجاد هذه الحكمة بالأشواق، فانزل على هذه الطباق، وسل عن الجبل المعروف، فستجد مطلبك في الحروف.

فنزلت في طلب ما عنه سألت، فوقفت لي روحانية متجسدة في محرابها متعبدة، تقطع الليل ساجدة وقائمة، ولباب ربه لازمة، فلما سلمت من صلاتها، وفرغت من دعائها، كوشفت بغرضي، فأخذت في إزالة مرضي، وقالت: أنا على علم ما سلب العقول فقده، وعسر على أهل الطلب والذكاء وجدته، وعشقتهم في هذا الأمر حيرهم فيه، فصرههم عنه وأعماههم، فلو ضحوا وأثروا الزهد فيه، لحصل لهم بوقوفهم على ما هم فيه، وأنا أريد أن أودعك إياه، وأنزهك في حياه، وأعرفك بمعناه، وأتحفك بسر معناه، وأفرق لك بين حكمته في مماته وحكمته في حياه، فانهض معي بلا حول ولا قوة إلا بالله، فرحل بي إلى خط الاستواء، فإذا الجبل المذكور معانق السماء، فنزل إليه شخص من سراة الأرياح، في نسيم الأرياح، لطيف الإشارة، فصيح العبارة، فقال: مرحباً وأهلاً، وسعةً وسهلاً، فقال الشيخ: هذا الغلام قد أنزلته عليك، وسلمته إليك، له همة في طلب الحكمة، وتشوق إلى معدن الرحمة، فسلمني إليه ووقف، وقبلي الآخر ولم يتوقف، وسرت معه وانصرف، إلى أن أدخلني على الملك، فقبّلت يمين بساطه، واتبسط فسرت بانيساطه، وعرف مقصدي،

فأخذ فيه بيدي، وأشار إلى بعض وزعته، وقال: سر به في ملكي، ثم مكته من حاجته، فأخذني المملوك وكان من أحسن المالكين، فاخترق بي جميع المسالك، فرأيت ملكاً عظيماً، وسلطناً جسيماً، بديع الترتيب والتنظم، رفيع الكيف وموزون الكم، ما من مسلك فيه إلا وعليه حافظ، ولا مجلس إلا وفيه واعظ، فمما رأيت فيه، نهراً عظيماً يجري منه وينتهي فيه، ينبعث من صهريج محكم البناء، يخرج منه ترع لمزارعهم، وجداول لسقي أشجارهم وبساتينهم، فإذا كثرت الأمطار عليهم، وترادفت السيول، وعظمت الترغ والجداول، وسالت الجعافر والمذايب، خافوا على أنفسهم الدمار، لترادف تلك السيول وتوالي الأمطار، ولهذا الأنهار سدود مدبرة محكمة، لا يقوى كل أحد على فتحها إلا العالمون بذلك، وإلى جانب ذلك الجبل قرية، فيها عالم حكيم صانع، اسمه مالك، قد ورث فتح تلك الأسداد، عن الآباء والأجداد، فيفتح منها بصنعة معلومة، ما يخاف منه، فينشر على الأرض، فيغضب الماء وتقلع السماء، فتصلح الأحوال، بوجود الاعتدال، فإن النقص والتطيق سبب البوار، ودليل الدمار.

فأخبرني صاحب أن ذلك الماء، لما أخرجه الحكيم في ذلك الجبل وأجره، وأقام مجراه، سواء بالأرصاد، وأوقف منفعته على الاقتصاد، وضرب لابنداء جريته ميقاتاً، وربط لإيجاد ما يعطيه أوقاتاً، فمن عرف ما أودع في تديره الحكيم من العلوم، دبر منه حكمته بصنعة قيومية تنظر إليها روحانيات النجوم، ومما رأيت في ذلك الجبل، صهريجاً معلقاً في الهواء، عليه قبة عظيمة محكمة البناء، يسقط من تلك القبة حجارة رخوة - بصنعة هندسية روحانية - في ذلك الصهريج، وفيه سرب ينتهي إلى صهريج آخر معلق في الهواء، فترسب تلك الحجارة فيه فيثقل، وعندهم نهر يسمى النهر الغريب، يجري في أوقات مدبرة في سرب، حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج، فإذا امتلأ طافت الحجارة على وجه الماء، وذلك الصهريج مصنوع من الكبريت، فيعود ذلك الماء حمياً، فتطبخ تلك الحجارة، فتكون منها الحكمة، وهي التي تسمى الكيمياء، وما نزل عن روحانياتها صار تفلأ وماء، فلا يزال هكذا أبداً، ورأيت في ذلك الجبل رجلاً على صورة الإنسان، له سريان صغير وكبير يسمى البركان، يخرج منه نار محرقة، وقد وكل الحكيم به شخصاً مدبراً، مجوفاً شبه الرويان،

يلتقف منه حرارة تلك النار، له باب فتح إلى الهواء، فتخرج الحرارة على باب ذلك السرداب، ولولا ذلك لانهد ذلك الجبل، واحترق من فيه من ساكنيه.

ثم نهض بي إلى قصر الملك، فرأيت قريباً منه بستاناً من الورد الأحمر، ورأيت فيه سردابين عظيمين، قد أودع الحكيم فيه طلسمين: الطلسم الواحد يعطي هبوب الرياح الزعازع، والطلسم الآخر يعطي نسيم الحياة، وله حكم في الغارب والطلح، في ذلك البيت عشر جماعات، وقد رتبهم الحكيم لأعمال بعض الصناعات، وقد قام فيهم شخص عريض، لين الشائل معتدل القدر أبيض^(١)، يدعى تاج الأقاليم، ومعتمد الأوائيل، له قدم في اختراق الهواء، وبناع متسع في علوم الأرض والسماء، يحمل من عالم الغيب والشهادة، ما ترويه في مستقر العادة، ويختص بسر ذلك العلم المحققون من أهل الإرادة، فغمزني صاحبي وقال لي: انظر إلى أوسط الجماعة، وتحققهم فإنهم مطلوب أرباب الصناعة، فمن حصل منهم واحداً فقد استغنى، وحصل على المعنى، وتمنى ولم يتعن، فطوى لمن أخرجهم من أماكنهم، وغربهم عن مواطنهم.

وشاهدت في هذا الجبل من المعجائب والأرواح المسخرة والسيماء الصحيحة، والانفعالات الثابتة الفائقة الكاملة، والانبعثات المحققة الشاملة الفاعلة، ما تضيق به هذه العجالة عن شرح أمره، وإيداع سره، فلما طالعت هذه الأعلام المنصوبة، وعانيت الغاية المطلوبة، أخذت في الإسراء، والرجوع إلى سماء معلم الأسماء، فقلت للوالد: أريد أن أعرف ما للإنسان الواحد، من التصرف في أهل الإرادة، السالكين طريق السعادة؟ فقال: شأنك وإياه، ولا تغفل طرفة عين عن الله؛ فناديت: يا هلال، يا قمر، يا بدر؛ فما أجاب، وقال: خسر من دعاني هنا بهذه الأسماء وخاب، فناديت يا سلطان الأنوار والظلم؛ فضحك وأجاب وقال: لا أجيب من ناداني في سمائي، بغير أخص أسمائي، وأما من ناداني في غير سمائي، فكل اسم يتناديني به فهو من جملة أسمائي، فقلت له: أريد أن تحبني بها لك من التصرفات، في أهل الأحوال والمقامات، وما تعطهم من التزلات والتجليات والكرامات، فقال: إن الله قدر لي المنازل، في الأعالي والأسافل، فلي في كل يوم منزلة، وأحوالنا في هذه

(١) ذو نفس متسعة طيبة.

المنازل مختلفة، فإذا نزلت بالتطوح والبطين والجبهة والحرتين والصرقة والتعائم والبلدة، أعطيت من الأعمال المجاهدات، ومن التنزلات الإشارات، ومن التجليات الاصطلاحات، ومن الكرامات المشي على البحور الزاخرات، وإذا نزلت بالثريا والدبران والهقعة والعمى والسيك والذابح وبلغ، أعطيت من الأعمال الرياضات والتجليات، ومن التنزلات برد الأنامل الحاملات لجميع العلوم الكائنات، ومن التجليات ما يختص بالتنزل في السموات، ومن الكرامات قطع ما بُعد من المسافات بيسير الخطوات، وإذا نزلت بالهقعة والذراع والغفر والزبانة والسمود والأخبية والمقدم، أعطيت من الأعمال ما يكثر فيه الحركات، ويسرع فيه تغير الحالات، ومن التنزلات ما تحمله المعصرات، ومن التجليات ما يظهر في المواطن البرزخيات، ومن الكرامات اختراق الهواء كالطير والذاريات، وإذا نزلت بالثيرة والطرقة والإكليل والقلب والشسولة والمؤخر والرشا، أعطيت من الأعمال الوصال في الهجرات، ومن التنزلات ما يختص بسريان الحياة في الحيوانات، ومن التجليات ما يأتي على أيدي المرسلات، ومن الكرامات إحياء الموات - فهذا يأخا الإجلال، ذكر حالتي معكم على طريق الإجمال.

وأقمت في هذه الساء في تحصيل هذه الأنباء يومين، كل يوم منها على قدر أربعة عشر يوماً من أيام الدنيا، جعلنا الله وإياكم ممن عقل معناه، وأكرم مثواه، وير أباه، وحفظه وتولاه، وقدس في كل موطن معناه، وأبين له طريق هداه، ونزه في كل وجهة وجهه ومحيّاه، وأكرمه مولاه في عماته ومحيّاه، وحيّاه عند اللقاء الأنزه بالتحيات الطيبات المباركات وبيّاه، فالقائز والله من زكى روحه، والخائب من دسائه.

الساء الخامسة :

ثم أنشأ لي جواداً من المرة الصفراء، والتحفّت بالبردة الحمراء، وسرت أريد ساء الخلافة النبوية، والإمامة البشرية، فلما وصلت الفلك الخامس، إذا بالخليفة جالس، مرتدياً برداء العزة والسلطان، عديم النظراء والأقران، فسلمت فرحب وأهل، ووسع ومهّل، وأمر بذيبح ما حضر من الحيوان، وتسعير النيران، فحُمرت القدور الراسيات، وأحضرت جفان كالجسائيات، وجيء بالكوامل المستديرات، عليهما من الخبز المرقق،

واللحم المدقق، ما تسري برؤيته الحياة في الأشباح، وتنعم بمشاهدته لطائف الأرواح،
 ناهيك من طعام صدر عن سر الحرفين، ونزل من كرسي القدمين، فلما عملنا من الطعام،
 وحمدنا الله على ما منحنا من سوابغ الإنعام، أظهر الخليفة عزة نفسه، وقوة بأسه، ويده
 قضيب من الذكور البياني، رقيق الأشفار، ماضي الغرار، فقلت حذار من أسد العرين
 حذار، وبين يديه جماعة الأنجاد الأجواد، قد امتطوا متون الصافنات الجياد، عليهم الدروع
 المحكمة السرد، وبأيديهم رماح الخطي وقواضب الهند، وهم عازمون على إيقاع البلايا
 والمحن، وإظهار الحروب والفتن، وإهلاك الأعداء من النحل والملل، والفتك فيهم بحد
 القواضب والأسل، وقد ظهر سلطان الغضب المقلق، وارتفع لنار الحمية اللهب المحرق،
 وبان الطريقان، وامتاز الفريقان، وكل فريق يذب عن نفسه، ويحمي ذمار سنته، فقلت:
 ياسوء المكر الذي يحيق بعالم الخفض، وبابؤساً لأهل الأرض؛ وقام وزير الخليفة خطيباً في
 ذلك الملأ الأعلى عن إذن الخليفة المولى، ويده عصا من الحديد، يلحق بها القريب والبعيد،
 متوجاً بعمامة حمراء، مرتدياً برداء أحمر، عليه فظاظة تكبر ومنكر، فعندما أراد الشروع في
 خطبته العمياء، والتحريض على إمضاء فتنته الداھية الدهياء، أقام المؤذن صلاة العشاء،
 فبادرت إلى الصف الأول خلف الإمام، فبينما أنا أحضر نية الإحرام، إذ سنع بخاطري
 رسول الإلهام، بأبيات سنائية، في أسرار صلاة عشائية، وهي هذه الأبيات:

مع المحبوب حين أتى العشاء	دعاني للمسامرة المتسادي
إليه ولم ينهني ^(١) اللقاء	فأسبغت الوضوء وجئت قصداً
فما رُفِعَ الحجابُ ولا اللواء	فكسرنا نشير بأن أتينا
فقال الستر وارتفع الغطاء	فأتينا بحمديه جميعاً
وصح لك السن ثم السناء	وقال أصبت خيراً باسميري
وللمعنى على القرب استواء	تسامرنى بلفظك من بعيد
وليس لها الأمام ولا السوراء	فلا شرق ولا غرب لذاتي
وليس لها الكفاح ولا الإزاء	وليس لها الأسافل والأصالي

(١) تنبهه عن الشيء: كفه وزجره فكف.

لنا الظلمات والأنوار حجب على الأبصار ثم لنا العماء
فإن أكن ابتيت على وجودي لتسلميم فأنت له لخاله
فياقوم اسمعوا ما قال ربي وما أعطى التعبد والحياه
ولما أن صفا الود الحمدنا^(١) فكان المرتدي وأنا الرداء^(٢)

فلما أحرمتنا بدت ظلمات العمى ، فلما افتتحنا المخاطبة أجبنا من غير أرض ولا سما ،
فلما جهرتنا ، قال : من أنتم ومن أنا؟ فلما أسررنا وقعنا في العنا ، فلما كبرنا في الركوع هيمننا
في الهوى ، فلما رفعتنا ظهر سلطان الخيرة ، فلما سجدنا أسدل حجاب الغيرة ، فلما استوتينا
جالسين رأينا المستوي على السرير غيره ، فلما سلمنا سلينا المعرفة ، وومي بنا في بحر الصفة ،
فلما فرغ الإمام من صلاته ، وأكمل جميع تسيحاته ودعوته ، أخذ الخطيب عصاه ، وقام إلى
ما كان قبل ذلك نواه ، فقال : الحمد لله واضع الملل ، وشارع النحل ، تارة بالوحي وتارة
بالإلهام ، فوقتاً خلف حجاب الإشراق ووقتاً خلف حجاب الظلام ، فأضل وهدى ، وأنجا
وأردى ، وأقام أعلام الضلالة والهدى ، ففصل بها بين الأولياء والأعداء ، وجعل الهدى
لحزب السعادة سُلماً ، ونصب الضلالة لحزب الشقاوة عُلماً ، وأوقع بينها الفتن والحرب ، في
عالم الشهادة والغيب ، وثبتت في صدورهم الشحناء ، وبدت بينهم العداوة والبغضاء ،
فسفكت الدماء ، وأتبعت الأهواء ، فالسعيد من ناضل عن شرعه المؤيد بالآيات ، وقاتل
عن وضعه المقرر بالمعجزات ، والشقي من احتفى بحمى الضلالات ، ودافع بمجرد
الحميات ، وأعمى نفسه عن ملاحظة الصواب ، فيها وقع من الخطاب ، فبادروا إلى نصره
الدين المكّي ، وقاتلوا بما ثبت في نفوسكم وقلوبكم من اليقين اليقيني ، وقد خاب من طلب
أثراً بعد عين ، ورجع بعد معرفته بعلوم مرتبة الصديق إلى المين ، جعلنا الله وإياكم ممن ذب
عن شرعه المعصوم ، وناضل عن دينه المعلوم ، وأنا أيضا الأشراف الأماول ،
والرئانيون الأوائل ، روح المقام الحمدي ، ومعطيه سيف منزل الاستخلاف الكلي ، لنا

(١) راجع معنى الاتحاد عند الشيخ الأكبر في كتابنا الرد على ابن تيمية ص ٩٩ - ١٠٧ - طبعة
أولى - ص ١٠٤ طبعة ثانية .

(٢) راجع كتابنا الإنسان الكامل ص ١٥ طبعة أولى ص ١٦ طبعة ثانية .

الحياة والنمو، والاعتدال والسمو، ومعالي الدرجات، وبلوغ الغايات، والترقي إلى المعالي، والتلقي من المقام الأنزه العالي، وتحليل الجامد، والترجيح بالمقاصد، والعز القاهر، والسلطان الظاهر، والنضال عن الدين، وسفك دماء الملحددين، ونصرة الغزاة الموحدين، ونيل الأغراض، وسرعة الانتهاض إلى إزالة الأمراض، فله الشكر سبحانه على ما أولى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

السماء الثانية :

فلما فرغ خطيب الفلك الخامس من خطبته، وفرغ الأسبغ بموعظته، وأثنى على نفسه بعلو درجته، خرجنا نريد السياحة في فلولات المعاني، والسياسة في الفلك الثاني، فسحت في مساحات الأكوار والأدوار، وسبحت في ساحات الأسرار والأنوار، فتلفتني النفخة الروحية، المنبعثة من القوة اللوحية بالأشعة اليوحية، المكونة في الأرحام من غير التحام، فقلت: سلام على الكلمة والروح الإلهي، والمنزه عن الاستكاف الرباني، فقال: وعليك السلام أيها الطالب علو المراتب، والذاهب في أقصى المذاهب، فقلت: الحمد لله على شهادة اعتصامية، حاكمة من نبوة خاتمية، فناداني بالحبيب المضاف إليه، ودعا لي بالثبوت المعمول عليه، وسألني هل وقفت على حقائقه، وميزت بين لطائف رقائقه؟ فإن موارد لطاف أرواح القدس، إنما تكون بعد تقدم معرفة النفس، فأنشدته:

إن القلوب بذكر الله والهمة	والسر في مشهد المذكور مشغول
والنفس في السبرخ الكوني قابلة	والروح في الفلك العلوي مقبول
والعقل بين أميينه جليسهما	والحسن في الفلك السفلي مغلول

فقال: أبدعت في تفصيلك، ونعم ما أودعت في تجميلك، فهل بان لك نور الخلق والإبداع، فتعشق اليقاع بك واليقاع؟ فأنشدته:

النور نور المبدعات السوّه	في أوجه الأعلى التنزيه الأنبه
يسدي الذي تخفيه في ملكوته	من ملكه الأدنى القريب الأنوه
فانظر إلى روح تجسد في الثرى	وانظر إلى جسم تروحن أنزه

تبصير عجايب في منازل خلقها بمُشَبِّهٍ فيها وغير مشبهه
فألروح يشبه جسمه إن جاءه والجسم ليس كذلك عند توله

فقال: وهل سلكت أول طريق السعادة، وهو الإيمان بالغيب والشهادة، فمرفت منزل صاحبه، وأين يبلغ جواده الكريم الشامخ براكيه؟ فأنشدته:

قل للذي يؤمن بالله أنست على نور من الله
أنت الإمام المصطفى والذي يأتي من الله إلى الله
أنت الذي دان لك المستوى وعز سلطانتك بالله
فافتخر فإن الفخر لا يتبني إلا لمن يعتز بالله
لولا الذي عندك من صدقه ما كنت في ظل من الله
واحذر فإن الله مستدرج نفس السذي يفتر بالله
واحسب على نفسك أنفاسها واهرب من الله إلى الله

فقال: هذا الإيمان قد حصل، فهل ألم بك الإسلام ونزل، فأعطاك فائدته، وأجرى فيك عائدته؟ فأنشدته:

إذا أسلم العبد واستسلى وكان لأمر الهدى محكماً
يُنَادِي به في طباق العلى ألا قَرَّبُوا السَّيِّدَ الِهْمَّهْمَا^(١)
فيسأى إليه براق الهدى يكون له للعلى سُلماً
فيعلو عليه بأذكساره فينزله المحضر المُعَلِّماً
وينزله في ذرى أوجهه فيسمع في حينه من وما
وأنت الذي جئت بي قاصداً إليك وخاطبت كمي أفههما
فهت السذي همت فيه وما يُقْبِدُ الفؤَادَ إِذَا سَلِمَا

فقال: هذا قد شهد لك الإسلام بالتمام، فهل للإحسان بساحتك إمام، فإنه يعطيك أسرار الكمال، وتصريفات الجلال والجمال؟ فأنشدته:

(١) نسخة - اللهما - والهمهما كأنهما السيد الشجاع السخي -

وكوني مشهوداً فيما لي إحسان	إذا كان إحساني شهودي خالقي
ورأي في عين المشاهد إنسان	فإن وجودي من وجود مشاهدي
وجسودك يا جسودي فإنك محسان	لئن كنت قد ساءت ظنوني برؤيتي
كثيباً، ومسروراً إذا جاء نيسان	تراني إذا جاء الشنء بمنزلي
نلك لها عاذٌ بذلر ومساسانُ	وما ذاك إلا أن في الصديق ثلعة

فقال: هذا الإحسان قد ظهرت منك أعلامه، وانتشرت فيك أحكامه، فهل انتقلت عنه إلى سر السرى، فعلمت أنه لا يُعلم ولا يُرى؟ فأنشدته:

ولا تُكَيِّفْ فإن الكيف تضليل	سري بسر السرى للسرموصول
يعطيك برهانه فالعجز تحصيل	إذا حجزت عن إدراك الإله بما
ولا تُجَمِّلْ ففي الإجمال تفصيل	فلا تُفَصِّلْ ففي التفصيل جملة
لكنَّ مشهده للعقل معقول	العلم بالله نفي العلم في خلدي
أتى بذلك معقول ومنقول	إذا شهدت الفنا فيه شهدت فقد
ما الله في العقل للبرهان مدلول	العلم بالله ذوق لا دليل له

فقال: هذا شرك ظاهر، وشرك به قاهر، فهل أوقفك على سر الأيام المقدرات، الموجودة عن الأيام المسخرات؟ وهل أشهدك سر الأبدية في يوم الاستحالات، وكيف جمع المحالات؟ فأنشدته:

ولا كون وكان له التسام	لقد كان الوجود بلا زمان
وكان الخلق قيده الأمام	فلما أن أراد وجود عيني
كما المأموم ميزه الإمام	فما يُنْزَى السجود بغير ضد
وصح له الإقامة والدوام	فأول ما بدا روح تعالي
وأربعة بها قام السنظام	فيوم ثم يوم لا يجارى
فليس له وجود والسلام	وأيام الإله مقدرات
وقسدها التصرف والمقام	فمنسا متة ظهرت وسانت
له القدم الصحيحة والمقام	وواحدتها عزيز سرمدني

وذاك السبت رفعتنه نهار بأقوام وشقوته ظلام
إلى الأبد الذي ما فيه وقف وفيه كان للنفس القوام

فقال: نَعَمْ ما به أتيت، وصحيح يا حبيبي كل ما رأيت، لقد جمع لك بين مشاهدة العين، ومكاشفة الكون، فأنت الإمام الذي لا يجارى والعلامة الذي لا يُبارى.
ثم أقيمت في عالم المثال، صورة الدجال، فقتله في عالم المعاني بحيث أرى، وألحقه بالثرى، ثم جيء بكساء من صوف من النور الأصفر، فانتزع من عرضه قدر أربع أصابع ليس أكثر، ولم يكن لطول ذلك الكساء، ابتداء ولا انتهاء، فقال: هذا كفنك، وفيه مسكنك، ثم أمرني بالزهد، والسعاية والجد، وأحضرت بين أيدينا مائدة الابتلاء، فأكلنا معترفين بالمنعم والنعماء، ثم منحني عوارف اللطائف، وفنون المعارف، وترتيب المواقف، ومنازل العلوم، وأسرار ما تحمله في سباحتها النجوم، وميز لي بين الخواطر، وأوقفني على المراتب والكراسي والأسرة والمنابر، وأدخلني في حضرة الإلهام والوحي، وحذرتني من موارد القياس والرأي، ورفع لي عن منازل المبشرات، وكشف لي عن معادن النبوات، ونصب لي موازين الفكر، وعرض عليّ مقادير النظم والثر، وخاطبني بفرائب السجع والشعر، وأبان لي عن سر الصعود بالتحليل، وفرق لي بين التحقيق والتخييل، وأوقفني على غلطات الأذهان، والتفرس في الأعيان، وسر المشي على الماء، وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى، وكشف لي عن خواص المعادن والأحجار، وقال: ليس أقبل للسر من الفرار، ولقد تطاول إليه الحيوان، وما حواه نبات المعارف في كل جنان، ثم قال لي: ع ما أسمعك، وخذ ما أودعتك، وانزل فيه به في الآن، فسترى آثاره في أعيان الأكوان، وهذا وقت صلاة العصر قد حان، فصل معنا وانصرف حيث ما شئت، من الطريق الذي عليه جئت، فأقيمت الصلاة وتقدم الإمام، واستوت الجماعات، وترتبت الصفوف، وطال الوقوف، فخطر في النفس أن أقرع الأسماع بأبيات من الشعر، في أسرار صلاة العصر، وهي:

دعائي إلهي كي أناجيه في سري
فممت فأسبغت الوضوء ولم أزل
فكان لنا نوراً على نورنا الذي
فنادى المنادي قد أتى مشهد العصر
بعلمي به عمري على أسبغ الظهر
أتينا به من قبل في مشهد الظهر

فقال حبيدي قلت لبيك سيدي
وأن لي التحريك في كل حالة
قال لي اشرع في الصلوة فإني
وأعظيك علم الالتحام بصورتي
فتلثم منها الثغر في روضة المنى
وتحص منه ريق علم ولا ترى
تعاتقها الليل الطويل بحضرتي
فلا شيء أحلا من تكاح بلا مهر
لأن طهور المهد برهان نقصه
أسدري بأني واهب النفع والضر
وأن لي التسكين قلت له أدري
أنساجيك فيها بالبشارة في السر
وكونك مبي في الوجود على قدر
قُبُورِكَ مِنْ لُثْمٍ وَبُورِكَ مِنْ ثَغْرِ
تشبهه بالسلسيل وساخمر
وتنكحها بالوهب من غير ما مهر
ولا شيء أصلا من صلاة بلا طهر
فما أحسن اللغز الذي سقت في شعري

فلما كَبُرَ الإمام، صح الإمام، فلما افتتحنا التحفنا، فلما ركعنا امتطينا، فلما رفعنا
اعتنقنا، فلما سجدنا اضطجعنا، فلما جلسنا استوتينا، فلما سلمنا علمنا، بآنا وهما فيما
هنا وما فهمنا .

ثم قمت بعد أن فرغنا من الصلاة، أسمع الحاضرين تعظيم الأرواح والكلمات،
فقلت: الحمد لله الذي اختص هذه الحضرة بالعلمين، ونزه إمامنا هذا عن الشهوتين،
وأعطاه لواء الختمين، وأضافه إلى كلمته، وسبَّحَ به في ليج حِكْمِهِ، انتسب إليه قَعْبِدُ،
وامتوى عليه فقصد، اختص بخصائص الفهم، ووهب غرائب العلم، وتطق في المهدي،
بالإقرار والحمد، فقال ﴿إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما
كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾ فعرف ما له قبل فطامه، وحكم على نفسه
بالاستقامة قبل استحكامه، وشهد لنفسه بقبول الوصية الإلهية بالصلاة النورية، والزكاة
الرهبانية، وسلم على نفسه في الثلاثة الأحوال، ثم نزه نفسه تعالى عما قاله أهل الضلالة
من الضلال، فقال ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون، ما كان لله أن يتخذ
من ولد سبحانه، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وإن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا
صراط مستقيم، فاختلف الأحزاب من بينهم، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾
فبادروا أيها الحاضرون إلى هذا النبي الكريم، بالتوقير والتعظيم، تفوزوا بالمقام الجسيم،

عند الرؤوف الرحيم، جعلنا الله وإياكم من رحم الصغير، وعرف شرف الكبير، فلنا المقام الخطير.

السياء السادسة :

ثم رحلنا نبتغي سماء الكلام، لنقف على وريثنا من موسى عليه السلام، فلما دخلنا عليه، وحضرنا بين يديه، سلمنا وخدمنا، فأكرمنا واحترمنا، وجمع لنا بين إقبال الأبوة والأخوة، إثباتاً لشرف مقام النبي سيدنا محمد ﷺ ووفاء بمقام النبوة، فقلنا له: هاتِ حظنا منك، لنخبر به عنك، وأوقنفسنا على ما لديك، وما صرف الرحمن فيك من النظر إليك، فшал الحجاب، وانفتح الباب، من خلفه جتان ذواتا أفنان، فيها عينان تجريان، فيها من كل فاكهة زوجان، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان، وكأنهن الياقوت والمرجان، فقال: هذا لمن حُرِمَ في دنياه الأمان؛ ثم شال عن يساره الحجاب، فانفتح الباب، من خلفه جتان، مدهامتان، فيها عينان نضاختان، فيها فاكهة ونخل وزمان، فيهن خيرات حسان، حور مقصورات في الخيام لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان، متكئين على رفرف خضر وعقبري حسان، فقال: هذا لمن عاش بالأمان.

وبقيت الأعيان تطلب العيان بالعيان، فشهدتنا ما أمرنا الله به في السورة التي يذكر فيها الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، غير أن جنى الجنتين ليس بدان، فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها، سألت ما السبب الذي قصر بنا عنها؟ فقال: يا ولي تناولها موقوف على التركيب الثاني، إن قمت بتعظيم معرفة المثاني، وأنت في التركيب الأول، فاصبر حتى تتحول، فإذا سترت روحانيتك جسمك^(١)، ووسمت وسمك، وعرفت سعادتك وإعادتك واسمك، وصرت في الصور الحَوْل القلب، تذهب فيها كل مذهب، حيثل تناول ما يسق من أشجارها، وتستشق ما شئت من روائح أزهارها، وتقف على سر حجرها وأحجارها، فهنالك يبدو لك شرف الاعتدال، وصورة التمام والكمال، وسر الثوب الذي مال، وروح الضياء والظلال، والتحاق النساء بالرجال، وشفوفهن عليهم في جنات

(١) فإن نشأة الآخرة على عكس نشأة الدنيا، فيها تسيطر الروح على الجسم في التحول في الصور، وفي الدنيا الجسم له السيطرة على الصور في الأجسام بالثبات.

الأحوال، ويظهر لعينيك استواء المنحرف الميال، ويبقى العلم ويذهب الخيال، وتتضح المعاني ويوزل الإشكال، وينحفظ الترتيب، باعتدال التركيب، وتبرز حقيقة الأبد، ويدوم البقاء بالديمومة الإلهية من غير أمد، وتلوح كيفية التولد، وماهية التعبد، وأسرار الصلوات والصدقات، وسبب الأولياء والشهود في النكاح والصدقات، ومعالم الوقوف بعرفات، وسفك دماء القرابين بمعنى لا يتغناه القربان، ومقام الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، المقرون بذكر الآباء والأمهات، وانتظام الشمل بالحبايب، والتحاق الأجنب بالأقارب، وتنوع المراتب باختلاف المذاهب، وسرور الروح والنفس، بتحصيل الجمال والأنس، وتقف على سر إجابة دعوة المضطر وإن كان كافراً، وهدى الطالب وإن كان حائراً، وتعلم أن الله لا تضره معصية عاص ولا تنفعه طاعة طائع، ولم تسمى بالمنع والجواد ليس يباع.

ثم قال: ناد ياحنان يا منان، يارؤوف يا قديم الإحسان، يامن جعل معدن النبوة أشرف المعادن، وموطن الأحكام أرفع المواطن، أنت الذي سويت فعدلت، وفي أي صورة ما شئت ركبت ما سويت، يا واهب إذ لا واهب، ويا مانح الثوبات أهل المكاسب، أنت الذي وهبت التوفيق، وأخذت بناصية عبدك ومشيت به على الطريق، وخلقت فيه الأعمال المرضية، والأقوال الزكية، وأنطقته بالتوحيد والشهادة، ويسرت له أسباب السعادة، ثم أدخلته دارك، ومنحته جوارك، وقلت له: هذا لمملك بعلمك، ولك ما انتهى إليه خاطر أملك.

فناديته كما أمرني فأجاب، وقرعت بابه بهذه الكلمات ففتح ورفع الحجاب، فلما بجلى ذلك الجبل الراسي، وخررت على راسي، فانصرف الإدراك إلى القلب فأبصر، وقال: أين هذا من مقام الله أكبر، وهو الله أكبر، فلما أفقت بعد الصعق، وأبدرت بعد المحق، نطقت بالتنزيه، الذي يوهم التشبيه، والتحققت بأول إيمان الأولياء الأبرار، بأنه لا تدركه الأبصار، إلا في غير هذه الدار، وأخلصت المتاب، فمن الله وتاب، فقلت لموسى عليه السلام: هذا ميراث مشهدك، وأسنى مقعدك، صدق خاتم الأنبياء في إبانته عن مرتبة العلماء، بأنهم ورثة الأنبياء، فالحمد لله الذي أورثنا، ثم أماتنا وبعثنا، فقال موسى: هل رأيت مقعد النورين، ومحل السرورين؟ فقلت: وأين ذلك؟ فقال: في صلاة الظهر، نور في نور، وسرور

في سرور، فقلت: لو حان وقتها صليتها في حضرتك، ووقفت عليها من مرتبتك، فإنك الأخ من تمنيك الأنفس، والسيد من المقام النبوي الأقدس، فقال: أما ترى الشمس في مدرجة السلوك، قد شرعت في الدلوك؟ فأقم الصلاة وأحرم، وحلل كل ما يأتيك فيها ولا تحرم حتى تسلم، فإذا سلمت حرمت عليك الأشياء، وحكمت عليك الأنباء، فوقع في نفسي من أسرار صلاة الظهر أشياء ضمنتها آياتاً من الشعر، فاسمعتها الإمام قبل أن يشرع في القيام، وهي هذه الآيات:

وقال لنا التكلم والكلام	دعاني للمناجاة السلام
إلهي يؤيده التمام	فأسبغت الوضوء على حضور
وكررتنا فكررتنا الأنام	فأحرمنا فحرمنا المعاني
على كتب وقد رفع القرام	تناجيننا طويلاً بالمفاني
يراجعني ليثبت لي المقام	ولما تحننا بالتحميد كما
ومنه إلي معنى والسلام	فمسي اللفظ والمعنى إليه
على كوني إذا اشتد اللزام	فيظهرني به فيما لديه
فأظهره فيستره الغمام	ويظهر لي فأكتمه فيخفي
بأن الكشف في الدنيا حرام	ويأتي الأمر منه إلي حتماً
لدى السترين آيات جسام	فأستره فيسترني فتبدو
وعندي منه أهوال عظام	فأرجع للأنام معي كلام
ومنها الانزعاج والاصطلام	فمنها العين والتحكيم فيها
ويمطر عند رؤيتها الجهام	أكاسير ترد الميت حياً
على تمظيمه وأنا الإمام ^(١)	وكسان الحق مأموراً ورائي
غزالتها فصح لنا المقام	وذلك في الظهيرة حين زالت
رايت الحق حقاً ياغلام	فهذا اللغز إن فكرت فيه

(١) يعني يقول العبد والحمد لله رب العالمين، فيقول الرب «حمدني عبدي».

فلما أحرمتنا أحللتنا، فلما افتتحنا مُنحنا، فلما ركعنا أسمعنا، فلما رفعنا رُفَعنا، فلما سجدنا وجدنا، فلما جلسنا أنسنا، فلما سلّمنا سلّمنا، فلما فرغ الإمام من جزيل الثنويات، واستعاذ من وييل العقوبات، صعدت منبر النور، وفي يدي عصا من البلور، وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي ألحق العلماء بأنبيائه، وأسكن أرواحهم مع ملائكته في سائه، وجعلها طيارة في فسحات الأفلاك، سيارة في روحانيات الأملاك، أفاض عليها من نور تجليه ما أداها إلى الصعق، وأبان لها من مقامات القرب ما حكم عليها به سلطان المحق، دعته نغمات إيقاع السماع في الأسماع إلى الاستماع، فاشتاقت إلى خطاب الأحباب، بمدارك لب لباب الألباب، من غير حجاب ولا حُجَاب، فوقعت المحاورة والمخاطبة، والمجالسة والمؤانسة والمعاتبة، وزالت المراسلة والمكاتبة، فسطعت أنوار أسرار نور ذاتها، وتبليت بلائيل سرها بكلماتها، فقالت وقال، وأطالت وأطال، ثم منحها الوصيات القدسيات، والتدبيرات الإلهيات، وأطلعها على أسرار النيات، في المناجات لأسرار المتجليات، بالنيران المتخيلات، وقيل لها: إِنَّ جُلَّ الخَيْرِ، فِي السَّمِيِّ عَلَى الْغَيْرِ، فمن أراد مني قضاء مآربه، فليقض حاجة صاحبه، وإن لم يستند فيها إلى جانبه، ولو ذهب في غير مذاهبه، يَأْتِيهَا الأرواح الطاهرة، والأنفس الزكية المتظاهرة، ها أنا أقرب إليكم منكم، ولكن لا تغفروا، فكما أنا لكم أنا عليكم، وقد أبنت لكم في مقام المعرفة، أنه لا تقيدني صفة، فالزموا مواطن العدل، وانعموا بسوايغ الفضل، فإني الشهيد الذي لا يقبل الرشاش، والبصير الذي لا يقوم ببصره عشا، فلا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا ولا تهاجروا ولا تباغضوا ولا تنافروا وكونوا عباد الله إخوانا، تناولوا بذلك رفعة وأمانا، فأنتم السابقون المقربون، وأنتم الرسل المقربون، وأنتم المرشدون الأعلون، فلا ينجو بكم الغير وتشقون، فاحفظوا وصيتي ولا تنسون.

فرجعت الأرواح بالوبة رسالاتها منشورة، ونصبت كل لواء بازاء كل صاحب سورة، وخاطبت النهى، ومنحت اللهم^(١)، جعلنا الله وإياكم ممن تميز في صدر الجلال والبهى، وتعزز بالسمو على سدره المنتهى، آمين بعزته.

(١) اللهم العطايا مفردا هرة.

السياء الثالثة :

ثم نزلنا من سماء النظام، إلى سماء التصور التام، بحسن الانتظام، لناخذ ورثنا من يوسف عليه السلام، فوجدناه على سرير قدسه، فاستنزلنا روحانية نفسه، فنزل في حسنه البديع، موافقاً حركة زمان الربيع، فأبصرنا وجهاً كأنه بذر التيم، أو الشمس اتجلى عنها الغيم، فتصدعت القلوب، وتيمت النفوس، وهيمت الأرواح، وتقيدت العقول، وتوقفت الحواس، وانكسف البسال، وتغير الحال، ولبلى بلبل الوجد بين الجوانح، وتقصفت الأعضاء وخدرت الجوارح، ودعا داعي الأشواق، وقام بالقلب الاصطلام والاحترق، وتمكن الأرق، واشتد القلق، واستوى سلطان الذبول بجيش النحول، وسالت سماء الدموع، على أرض الخضوع، فقلنا له: هذا فعلك على النصف^(١)، فكيف لو اجتمع الموصوف والوصف، وبين يديه صورة ينشئها، ونية يبنيها، قد زينها أحسن تزيين، وأسرى في مسالكها أحوال التلون، وأرسلها في الكون، محبوبة إلى كل عين، تسحر الناظر، وتقيد الخاطر، وتعطي اللذة قبل النيل، وتجير السمع في ترجيع القول، إن غنّت عنّت، وإن نظرت سحرت، وإن لمست أنست، وإن ملكت فتكت، وإن لعبت أتعبت، وإن لمت وكنت، وإن أعرفت أرعفت، على رأسها تاج من الغيام، وعلى جبينها إكليل من الدر التمام، وفي إصبعها خاتم الحيام^(٢)، إن هجرت أقبرت، وإن وصلت أقبلت، إلا أن لها سياسة مدنية، ورياسة إنسانية، تتواضع فتهتك السرائر، وترافع فتتعب البصائر، الهية منوطة بذاتها، والجلال من جملة صفاتها، فبينا أنا أنظر في جمالها، وأهيم بين دها ودلالها، إذ أقيمت صلاة المغرب، فقالت: قم لمشاهدة الأمر المغرب، فقمتم وقد رويت آياتاً من الشعر، في أنزه ما يكون في المغرب من الأمر، في غيابات السر، وهي:

أقلت شمسنا بمغرب ذاتي	فدعاني إلى الصلاة الشهيد
فتوضأت ثم جئت إليه	من قريب وإنه ليسيّد
قلت ربي فقال ليبيك عبدي	أين حمدي؟ فقلت أنت الحميد

(١) النصف هو أن يوسف عليه السلام حاز شطر الحسن.

(٢) الحيام: قضاء الموت وقدره.

فأستتحسنا به فرَدَ علينا	مثله واكتفى وكسان المزيد
وتسدانى فكان منى كاني	ثم ولّى فقلت أين تريد
قال نمضي فإن قومك جاؤوا	ومقامي مع الكيان شديد
قم فحيهم فقلت سلاماً	ويقلبي من الفساق وقود
ما ألد الخلو بالله ليلاً	لو يصح المقصود صح الوجود
فاستمع رمز ما أغار عليه	ياحبيبي، وإني لكتود
يشبه المسجد الكريم وجودي	وهو شخص الوجود منه الورود
لو أرى عالماً به لا بداني	لتوالي عليّ منه الشهود
فأنا عالم به وبداني	فوصالٌ وقتاً ووقتاً صدود

فلما كبرنا كبرنا، فلما قرأنا أنبئنا، فلما ركعنا رفعنا، فلما رفعنا وضعنا، فلما سجدنا شهدنا، فلما جلسنا يشنا، فلما سلمنا حكمنا، فلما فرغت الصلاة، وأجيت الدعوات، فمت إلى منبر من الياقوت الأكهب^(١)، بخطبة ذهب فيها أحسن مذهب، وقلت: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه المكين، فلما أقامه في أحسن تقويم رده إلى أسفل سافلين، فلما أناطه بالمركز، ليقيم به دولة العز، أعطاه سر التدبير والتفصيل، ووجهه في كل ما علمه قوة التحصيل، فما بقي روح مجرد إلا سجد، ولا ربح معبد إلا شهد، ولو تكبر وجحد، ولا صامت إلا تكلم، ولا ميت إلا حيّ وسلّم، فإنه النور الأعلى، والقطعة المثلّ، ولولا ما هو من ذلك المقام، ما انتادت لسلطانه الروحانيات الجسم، فشقت هذه السدفة الترابية أنواره، وتخللت مسالكها أسرارها، ونفذت إلى حضرة توحيد مُوجدها، وعينت كريم مَشهدها، من غير أن تؤثر فيها هذه الظلمة، لما هي عليه من نفوذ الهمة، فأقرت الأرواح المجردة بعلو منصبها، واعترفت بسمو مذهبها، وأن لها أرفع المناصب^(٢)، وأشرف المناسب، ثم اختصت دونها بالكاسب، فعظمت لديها المواهب، فكم روح مجرد تكلم فيها بما لا يعلم^(٣)، قبل أن يعلم منها ما علم،

(١) الأكهب الأغر المشرب بسواد.

(٢) هو قوله تعالى ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

(٣) يعني قول الملائكة ﴿أنجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾.

ثم أقر لها بعد ذلك بكمال المقام، وأن الروح المجد له الكمال والتمام، وحسن التقويم والنظام، ثم صبغها في الجمال العرضي، حجاباً للتعشق الغرضي، فعشقت نفسها بنفسها، حتى لا تتعلق بغير جنسها، فتدعن لغير الجنس، فكان يذهب عنها ما كان لها من العز بالأمس، ويظهر التيه عليها ممن نقص عن مقامها، وتقاصر عن تمامها، فبقيت بذلك عزتها عليها موقوفة، وهمم غير جنسها إليها بالخدمة مصروقة، وهي بذاتها في ذاتها معشوقة مشغوفة، وجعل لها هذا الشغف الغرضي، في الجمال العرضي، حجاباً على الجمال المطلق، والحسن البديع الفائق المحقق، القائم بذات الحق، الذي لا يتقيد بالوقت، ولا يدرك بالنتع، ومن مراتب الكمال، قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال، ومن غوامض السر المكنون، قوله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فمن انحجب عن هذه الأرواح المجدسة بهذا الحجاب عن هذا الجمال، لم يزل في سفال العوال، ومن لم ينحجب به صبح له المقام العال، وسجدت له الظلال بالغدو والأصال، ومن انحجب عنها بهله الأرواح المبعدة عن هذا الحجاب لم يزل في سفال السفال، جعلنا الله وإياكم ممن تعشق بره - وإن لم يُر به^(١) - آمين.

السَّاءُ السَّابِعَةُ :

ثم جاءت الروحانيات المشرحة الإنسانية، بأيديهم الرايات السود الخراسانية، ومعهم براق أدهم، كأنه قطعة ليل مظلم، فامتطيته عشاء، واندفعت طالياً اعتلاء، إلى أن وصلت إلى سماء الخليل، فاستأذن الرسول، فإذا بإبراهيم عليه السلام قد غشيت الأنوار الليلية، والنضياءات الإلئية، فعندما أبصرت هذا الأب الشاني، سويت المشاني، واندفعت أقول:

ألا من مبلغ عني مقاماً ووقت عليه يابث السلاما
وملتزم دعوت به إلهي لقلبي والتزمت به التزاما

(١) يعني طلب السر عن حكم المشق في ظاهره.

وقبّلت اليمين يمين ربي
وكسّنت قبلة قبّلت لكسوبي
فخاطبني اليمين فزاد وجدني
وراعيت المسودة واللماسا
أردت بها التقدم والأماسا
وهيمني فأورثني السقاما

وقد استند إلى البيت المعمور، المغطى باستار النور، يدخله كما قال عليه الصلاة والسلام في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبداً، فهفا إليه الروح وتأخرت التربة، وهاجت بها الأشواق إلى الطواف بالكعبة، وانبعث الحس من زاوية تربته، مخبراً بما استقر عنده من الشوق إلى كعبته.

إني إلى الكعبة الغراء مشتاق
فيها لعاشقتها في السر أعلق
إذا تذكرت أسراري ومشهدا
فيها يجركني للبين أشواق
الله يعلم أني لست أذكرها
إلا وعندني لذاك الذكر إحراق
فالروح نائمة والنفس والهنة
والقلب محترق والدمع مهراق

فلما سمع بذلك الوالد الإسلامي، والسيد النجدي التهامي، قال: يا بني أبعد الوصول إلى البيت المعمور، ووقوفك في مشهد النور، نحن إلى البيت الذي يبور، القائم بالتراب والصخور؟ فقلت: يا أيها السيد الإمليد^(١) لا حرج على من حن إلى جنسه، فإنه اشتاق إلى نفسه، ألا ترى الذي سرى؟ كيف هفا إلى البيت المعمور، وهم بالخروج من حبه، وهو يتزعج ويمسكه الأجل المسمى، فهو كمقعدٍ يحمله أعمى، فلو تخلص من ناشئة ليته وشدة وطنتها، تحرر من ثقل الكلمة التي ألقيت عليه وعظم سلطوتها، فلو وهب السراح راح، ولو منّخ المفتاح استراح، يأبى كيف لا اشتاق إلى تلك المناسك والأعلام، وأنت الذي أسستها لعالم الأجسام، وأعليتها للمتأقلين عن النهوض إلى هذه المشاهد الكرام^(٢) ١٩ فقال: ظننت أن شرك انحجب بترته، ولهذا حن إلى كعبته، ثم قال: يا أبا رزين^(٣)، وبأيها العاشق المسكين، المشغوف بالحجارة والطين، كيف تركت شرك بالكعبة

(١) الناعم اللطيف.

(٢) الرجل الوقور.

حبيساً، وصرت في العالم العلوي رئيساً؟ فتنفس أبو رزين الصعداء، وقال: واشوقاه إلى
أعلام الهدى، وعظم هيجانه واشتد، ورق آتینه وأنشد، يقول:

قل لبيت الحبيب رفقاً قليلاً	بقلبي أمسى عليلاً ذليلاً
لست أنسى بلائلاً بفؤادي	يوم نودي بنا رحيلاً رحيلاً
ليت أني يوم النوى والتداني	لوداع أبسى لديه قتيلاً
لست أنسى بسطن مكة يوماً	قوله لي: بالله صبراً جميلاً
إن بي مثل ما بكم فلتكن بي	طيب النفس للسرور وصولاً
لم أزل حين بنت عنهم وقاموا	اشتكي الوجد والجوى والغليلاً
وأنسادي في كل فحج فؤادي	وأقاسي منه عذاباً ويلاً

فرَّق له المولى، وقال النزول إلى الكعبة بهذا المسكين الواله أولى، فقلت: يابيت إذا
مشينا بأخينا هذا أبداً إلى مغناه، متى يلتذ السر بمعناه؟ فقال: يابني إذا سريت بفكرك في
عالم المعاني، انحجب حسك عن الالتداذ بالمغاني، فإذا سري حسك في عالم المغنى، لم
ينحجب سرك عن مشاهدة المعنى، فالبقاء مع الحسن أولى، في الأخرة والأولى، وسيبدو
لك شرفه عند الرؤية، في جنة النية، فقلت: يابيت فما تراني صانعاً؟ قال: انزل به الآن إلى
البيت بعمره قبل أن يبدو الفجر طالعاً، فنزلت بهمة مهمة، فوقع في بيداء مدلهمة، ليس
فيها نبات سوى السمرات، ولا سكان إلا الأفاعي والحيات، وقد كُرست طرقها، فتاه
طارقها، عديمة الأنس، لم يسكنها جن ولا إنس، وحشية الطبع، كريمة الوضع، فقطعتها
بجهد وعناء، ومقاسات وبلاء، إلى أن أشرفت على الأعلام، فليت بعمره إذا الجلال
والإكرام، فلما عاينت البيت هاج القلق، وعظّم الحرق، وبادرت إلى الحجر الأسود فقبلته،
وشرعت في الطواف وأكملتته، واستجرت بالمستجار، والتزمت المدرم، ثم ركعت في
المقام، وشربت من ماء زمزم، ثم سعت وأحلتت، ثم نهضت إلى السماء ورحلت، فلما
رأني الخليل، قال: مرحباً بالابن الجليل، هذا الفجر قد بدت دلائله، وطلعت منازلها،
وبدت أعلام الفتح، من أجل صلاة الصبح، فتوضأ يابني من السلسيل، فإنه موقوف على
أبناء السبيل، فغسلت يدي ولم يكن بها أذى، فقال أمين النهر: من ذا، ثم تمضمضت

فأفرغت، ثم استنشقت فعمقت، ثم استنثرت فأوترت، ثم غسلت وجهي فأريت، ثم غسلت يدي إلى المرفقين فسُورت^(١)، ثم مسحت رأسي فتوجت، ثم مسحت أذني فكلمت، ثم غسلت رجلي فدملجت^(٢)، ثم أقيمت الصلاة فأقمت، فلما أحرمتنا أحرمتنا، فلما كبرنا كبرنا، فلما افتتحنا سرحنا، فلما ركعنا نزعنا، فلما رفعنا دفعنا، فلما سجدنا عبدنا، فلما جلسنا رأستنا، فلما سلمنا حكمتنا، فرقيت في منبر من السيج^(٣)، وقمت فيهم خطيباً في سابع درج، ثم أنشدت:

ولما بدا الفجر الذي لاح من قلبي	دعاني ودادي للحديث مع الرب
فظهرت أنوابي وظهرت بقعي	وظهرت أعضائي وناديت بالحب
حببي تراني عند باب جلالكم	فهل لي إليكم من سبيل ومن قرب
تريد جفوني أن ترى نور وجهكم	فتشهدكم عيني ويرعاكم قلبي
ترفق بمن أضحي قتيلاً بحبكم	وبالكلف ^(٤) المشتاق والواله الصب
أتاكم من الكون الغريب لترفعوا	بفضلكم عنه مشاهدة الحجب
يناجي الذي في قلبه من وجودكم	بما جاء منكم في الصحائف والكتب
فمنوا عليه بالسوصال فإنه	أسير هواء الجوى إن كان ذا سحب
فوالله ما لي راحة دون وجهكم	وما لي شفيع أرتضيه سوى حي
فأطلع شمس الدات في القلب فاتضى	وجودي ولم يثبت سوى عالم القرب
فسلمت من تلك الصلاة مقدماً	على عالمي كوني وعدت إلى صحبي

الحمد لله الذي جعل الهوى حراماً، تحج إليه قلوب الأدبا، وكعبة تطوف بها أسرار
الباب الظرفا، وجعل الفراق أمر كاس تذاق، وجعل التلاق عذب الجنى طيب المذاق،
تحلى اسمه الجميل سبحانه فألهمي الألباب، فلما غرقت في بحار حبه، أغلق دونها الباب،

(١) أي ألبست السوار.

(٢) الدملج: المعضد.

(٣) السيج: الخرز الأسود.

(٤) المولع.

وأمر أجناد الهوى، أن يضربوها بسيوف النوى، فلما طاشت العقول، وقيدها الثقل، ودعاها داعي الاشتياق، وحركتها دواعي الأشواق، رامت الخروج إليه عشقاً، فلم تستطع فذابت في أساكنها الضيقة ومسالكها الوعرة وجداً وشوقاً، فاشتد أُنيتها، وطال حزنها وحنينها، ولم يبق إلا النفس الخافت، والإنسان الباهت، ورثى لها العدو والشامت، وأذابها الأرق، وأتلفها القلق، وأنضجتها لواعج الحرق، وقتك فيها الفراق بحسامه، وجرعها مضاضة كأس مدامه، واستولى عليها سلطان اليبس، فمحق الأثر والعين، ونزلت بقناتها عساكر الأسف، وجردت عليها سيوف التلف، وأيقنت بالهلاك، وعابنت مصارع الهلاك، وما خافت ألم الموت، وإنما خافت حسرة القوت، فنادت: يا جميل يا محسان، يا من قال ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾، يا من تيمني بحبه، وهيمني بين بعلده وقربه، تجليت فأبليت، وعُشقت فأرقت، وأعرضت فأمرضت، فياليتك مرضت، وأفرطت فقتطت، وقربت فدنوت، وبعدت فأبعدت، وأجلست فأنست، وأسمنت فأطمعت، وكلمت فأكلمت^(١)، وخاطبت فأتعبت، وملكمت فهتكمت، وأملكمت فأهلكمت، وأتهمت^(٢) ففرحت، وأنجدت فأترحت، ونوهت فوهت، وزينت فأفنتت، وألمت فتيهت، وفوهت فتوهت، وغلظت فنشطت، وعززت فعمجرت، وأسليت فأغفلت، وأمسكت فنسكت، ووسعت فجمعت، وضيقت ففرقت، وأحرمت فأحللت، وأحللت فحرمت، وهذا كله سهل إذا ما أنت أقبليت، فياليتني لم أخلق، وإذا خلقت لم أتحقق، وإذا تحققت لم أعشق، وإذا عشقت لم أهجر، وإذا هجرت لم أقبر، وإذا قبرت لم أنشر، وإذا نشرت لم أحشر، وإذا حشرت لم أعتب، وإذا عوتبت لم أزجر، وإذا زجرت لم أطرد، وإذا طردت لم تسهر بي النار التي فيها علي الحجب أن أنظر.

فلما سمع ندائي، وتقلبي في أنواع بلائي، بادر الحُجاب، إلى رفع الحجاب، وتجلي المراد، فنعمت العين والقواد.

جعلنا الله وإياكم ممن عشق فلحق، وصبر فظفر.

(١) من الكلم وهو الجرح.

(٢) نزلت وقربت.

ثم رددت وجهي إلى المقاتل، المشغوف بالمقابل، فقلت: يا صاحب الغين والوين، إلى كم تنتهي حقائقك التي أعطاك الله في تدبير الكون؟ فقال: إلى مائتي ألف حقيقة واثنين وستين ألف حقيقة وثمانمائة، ثم نزلت إلى المشتري، فسألت عن كمية حقائقه، التي أودعها الله في تدبير خلقاته، فقال: مائة ألف حقيقة وخمسة آلاف ومائة وعشرين، ثم نزلت إلى المريخ، فرأيت له ثمانية آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين رقيقة، ثم نزلت إلى الشمس، فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وستاً وستين رقيقة، ثم نزلت إلى الزهرة، فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وخمسة وستين رقيقة، وكذلك عطارد مثل الزهرة، ونزلت إلى القمر، فرأيت له ستائة واثنين وسبعين رقيقة، ثم نزلت عليّ بعض الرقائق الشمسية في الصور الدخبية، إلى أن استويت على الأرض المدحية، وقد عرفت ترتيب حركات الأفلاك، ووقفت على مراتب الأملاك، وتحققت ما في القوى الروحانيات، من الانفعالات الكونية، فسرحت في ميدان معارف النسب، وفزت بمدارك وضعية السبب، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب، وحصره في تحليل وتركيب، وحكم عليه بالبقاء فلا يتفد، وعلى عالمه بالسعادة والشقاء فلا يبعد.

أسعدنا الله وإياكم بما أسعد به أوليائه وأحبابه.

تمثل الجنة والنار للشيخ في عالم المثال في العروج الثاني:

هذا ما قيل لي في حضرة التمثيل (وهو تمثل الجنة والنار في صورة دائرة) وقد تمثل لي في وقت آخر في صورة أخرى، كما قد مثلت النار لابن قسي في صورة حية، ومثلت لابن بركان في صورة جاموس، ومثلت لنا في صورة دار لها طبقات علواً وسفلاً، فنقل في بيان ما مثل في هذه الدائرة:

إن الدائرة العليا صورة الكتيب الذي يجتمع الناس فيه على أربع مراتب. ربيع منه ينصب لهم فيه منابر، وهي للرسل والورثة من الأئمة المهديين، وهم فيها بين كامل وهو جامع المقامات والصفات، وأهل جلال، وأهل جمال، وما ثم طبقة رابعة في كل مرتبة، وفي مقابلتهم في النار في منزل الحجاب منها خاصة، وهو منزل فيها يقابل الكتيب من الجنة،

وهو للأئمة المضلين، الذين شرعوا ما لم يأذن به الله، وقالوا لأتباعهم: هذا من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

والمرتبة الثانية: ينصب لهم أسرة، هي للأنبياء الذين هم على شرع من ربهم في أنفسهم ما أرسلوا، ومن جرى مجراهم ممن له إخبار إلهي من نبي، ما هو على شرع خاص، وحالهم كحال الرسل، أعني ثلاثة أحوال: كامل، وذو جلال، وذو جمال، وفي مقابله في النار، الدجاجلة وأصحاب الخيالات الفاسدة، الذين ضلوا في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

والمرتبة الثالثة: أصحاب الكراسي، وهي للأولياء والصالحين الذين تولاهم الله، فالله وليهم وهم أولياؤه، وهم فيها على ثلاثة أحوال: كامل، وذو جلال، وذو جمال، ويقابلهم في النار أهل الكراسي، وهم أولياء الشيطان ووليهم الطاغوت.

والمرتبة الرابعة: أهل المراتب، وهم المؤمنون بالله وما جاء من عند الله، وهم أيضاً على ثلاثة أحوال: كامل وذو جلال وذو جمال، ويقابلهم في النار، أهل مراتب، وهم المؤمنون بالباطل قال الله تعالى ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾.

وإنما سميناهم محجوبين عما يراه أهل السعادة من الله، وأما هؤلاء فيرون ما اعتقدوا، وهو المتولي تعذيبهم، فيودون أنهم لم يروه لما يصيبهم منه.

وأما الشجرة فلها فروع لأهل الجنان عالية، ولها فروع لأهل النار مسفلة، هي التي تسمى في الشجرة عروقاً وأصولاً، ففروعها العالية لأهل الجنة تسمى سدره، وعروقها في أصل النار تسمى شجرة الزقوم، فيها من المرارة في الطعم، على قدر ما في ثمرتها من الحلاوة في الطعم لأهل السعادة.

ويقوم في كل مرتبة خطيب من أفضلهم، وهو الكامل من هؤلاء ومن هؤلاء، فيخطب بهم ويذكرهم بما تذكره في الخطب، بعد هذا يقام خطيب في السعداء وخطيب في الأشقياء، ويجمعون حوله، فإذا فرغ الخطيب السعيد من خطبته، شكرهم وشكروه، ودعى لهم ودعوا له، فإذا فرغ خطيب الأشقياء من خطبته، لعنهم ولعنوه، ودعى عليهم ودعوا عليه، فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، وماوهم النار وما لهم من

ناصرين، وذلك في الوقت الذي يكون السعداء فيه في الجنة بهذه الحالة، يكون الأشقياء في جهنم بهذه الحالة، ومنزلهم جهنم خاصة، فإن غاية القرب الكتيب، وغاية البعد جهنم. واعلم أن للسعداء في كل مرتبة درجات، وللأشقياء درجات، فلاهل المناير ثلاثة آلاف ومائتان وإحدى وعشرون، ولأهل الأسرة ثلاثة آلاف وتسعة وتسعون، ولأهل الكراسي ألفان وسبعمئة وثمانية، ولأهل المراتب أربعة آلاف ومائة وسبعة وأربعون. واعلم أنه إذا تميز فريق في الجنة دار الثواب والنعمة، وفريق في السعير دار العذاب والنقمة، أذن الرحمن لأئمة السعداء أن يقوموا خطباء في أتباعهم، وأذن الجبار لأئمة الشقاء أن يقوموا خطباء في أشياعهم.

أهل المناير:

خطيب السعداء:

صعد الخليفة الناطق منبره، وقام بين يديه خدماؤه الكرام البررة، وقال: الحمد لله من غير تقييد بنعت، كما قيده سادات أهل الوقت، المقدس الحميد، ذي العرش المجيد، الذي تردى برداء الكبرياء والعز، وأودع معرفته في القصور والعجز، جاعل الملائكة رسلاً، ومعرف العقول إليه سبلاً، نصب المناير وأقعد عليها أرساله، وأشهدهم جماله وجلاله، وأنطقهم بأوضح ما تكلم به أوقاله، تعالى في ذاته عن إدراك المدركين، وتسامى في قدسه أن تحيط به غايات السالكين، حارت الأسرار في مشاهدته عظمته، وعبدت الظلم أنوار كلمته، واحتجب بسبحات عزة وحدانيته في أزليته وأبديته، نزل في علوه، وعلا في نزوله^(١)، وقصّل في إجماله، وأجل في تفصيله، اصطفاكم أيها الحاضرون بالنعمة والرؤية، وأوصلكم إلى منازل القرية والبيضة، وأحلّكم الجوار الأحمى، وحى سلطانه بغير المنفى^(٢)، فانعموا بالمعارف الصمدية، وجولوا في ميادين الحقائق المحمدية، وامتلوا متون العتاق الدرية، وانفسحوا في فسحات التوحيد، وترأسوا بخصائص المشاهدة على كل موجود،

(١) يشير هنا إلى نزول الحق في وصف نفسه بما وصف به خلقه، من جوع وعطش ومرض وضحك وتبشيش.

(٢) إلا إن حى الله معارمه، فالمنفى هنا يريد به الحدود والحرام، وهو واضح جلي.

فطوى لكم وحسن مأب، وهنيئاً لكم بما طعمتموه من لباب معارف الألياب، غضضتم
الأيصار للموافقة والمساعدة، ففرت أعيُنكم بالمعينة في المشاهدة، لم أزل في دنياكم أرغبكم
في هذه المشاهدة المقدسة، وأشوقكم إلى هذه المناصب المؤسدة، وأحرضكم على تحصيل
المقام المحمدي، والتجلي الأحدي.

فيقولون صدقت، جزاك الله عنا خير ما جازى به مرشد حق، وأقعدك عنده
مقعد صدق.

خطيب الأشقياء:

صعد الخليفة الناطق منكوس الرأس، وقام خدماؤه بين يديه أهل الرب واللبس،
وقال: الحمد لله الذي لا أحكم عليه بوصف، ولا أقيده بنعت، فإني في موطن وقف،
احتجبت عن أبصار المعطلين، وأهل الإصرار والذين أشركوا من الأدميين، والذين تملكوا
فسألهم في ذلك الرسول الأخصى، فقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فأهلكتهم
عاداتهم، ولم تنفعهم عباداتهم، ولم تغن عنهم من الله شيئاً آلهتهم، ونيراً منهم عند
اضطرارهم أئمتهم، فلم تنفع البراءة أولئك الأئمة، وضوعف لهم العذاب خلف حجاب
الظلمة، فكانوا هم وأتباعهم عن سعادتهم بمعزل، وأنزلوا من هذه الدار التي أنتم فيها
ماكتون بشر منزل، أيها الحاضرون، والجماعة السوء الخاسرون، هذا مقام الأسف الذي لا
ينجي حين لم يساعد الجسد، وهذا موطن الاعتراف الذي لا يرد حين لا ينفع الجسد، أنا
شر متبوع وأنتم شر أتباع، وأنا أخسر من شيع فيه وأنتم أخسر أشياع، أوردتكم المهالك،
وأحللتكم ساحة مالك، أخذت بنواصيبيكم إلى معاصيكم، وأنزلتكم إلى الشرك من معقل
فطركم وصياصيكم، زوّرت لكم الأقاويل المنزخرقة، وأوضحت لكم المناهج المهلكة
المتلفة، ونصبت لصيد عقولكم حبال الجهالة والخداع، فوقعتم فيها شر وقوع لا يرام منه
انفكاك ولا استطاع، وقلت لكم: لو كان ثمّ إله لحمى سبيله، وعصم من أيدي أعدائه
رسله، وجعلت عندكم فيمن تخلص منهم إنسا تخلص بضراره، وعدم قراره، وأتباعه
الأراذل، وأشياعه الأسافل، وألحقت المعجزات بالسحر والخيالات، وقلت: إننا جعلناها كما
فعلت أنا لصيد العقول القاصرة حبالا، فركبت بكم جادة الكفر والضلالات، وخضت

بكم لجج الغمرات، وأنزلتكم منازل الحشرات، ونصصت لكم أن في الأخذ بما دلتكم عليه سبيل نجاحكم، وتحصيل درجاتكم، وارتقاء عقولكم عن حضيض حبسها، ومعراج أرواحكم عن خصائص نفسها، وعظفت على بعضكم بأنه ما تم إلا هذا الدولاب الدائر، وهذه التكوينات عن هذه العناصر، ولا يزال هذا الدولاب راجعاً وسائرراً، وأنه المعبر عنه بالإله، وما شاهدناه فعلاً قبيحاً يشبهه سواه، وأن التناسخ صحيح، والقاتل بغير هذا ينجب في مهامه الجهالة قبيح، وكذبت بيوم الدين، فحرمت شفاعة الشافعين، وقلت باستحالة حشر الأجساد، لكون الآخرة ليست بدار كون ولا فساد، وأن النبوة سياسة حكمية، ليس لها أصول أصلية، وأن الميزان عبارة عن إقامة العدل في ذاتكم، وأن الصراط عبارة عن أخذكم في تطهير خلقتكم وصفاتكم، وأن الحوض في الحكم، عبارة عن العلم، وكون آنيته عدد النجوم، إشارة إلى قنون العلوم، جعلتها عندكم رموزاً فلسفية، وإشارات تمهيدية، وليس وراءها غير ما ذكرناه، ولا يوجد فيها سوى ما قررناه، وسخرت بالشرعة، وتابعت سلطان الطبيعة، وكذبت الرسل، وأعميت السبل، فياسوه مذهبي، وياشؤم من اغتربي، وياشر منقلبي.

فيقولون: لعنك الله من مضل، كذلك فعلت، جازاك الله عنا شر ما جازى به ملحداً، وجعل لك في أسوأ المنازل مقعداً، فيلعن بعضهم بعضاً، وماوهم النار وما لهم من ناصرين.

أهل الأسرة:

خطيب السعداء:

استوى الخطيب الناطق على سريرته باسميه، وقام وزراؤه الأدباء بين يديه، وقال: الحمد لله الذي استوى على العرش اسمه الرحمن، عند استواء الألسنة على عرش الإنسان، فقال: ما وسمعتي أرضي ولا سمائي ووسعتي القلب الموصوف بالإيمان؛ فأقام علم البيان، مقام العيان، حتى عجزت عن درك هذا الضرب من العلم حقائق الكيان، أفاض على الأكوان عامة أنوار رحمانيته، وحكم فيها أسماؤه ربانيتها، ونظم اثني عشر نقيباً في سلكه، وأقامهم سائسين في ملكه، وجعل لكل نقيب أمداً ينتهي إليه

حكمه، وخذاً يقف عنده علمه، وجعلهم على أربعة مذاهب، لاتحاد الرسالة والنبوة
 والولاية والإيمان بالمنابر والأسرة والكراسي والمراتب، فمنهم من وصلت مادته إلى الفلك
 الأثير واستقرت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات النارية واستمرت، ومدتهم أربعة
 وعشرون ألف سنة، ومنهم من وصلت مادته إلى فلك الهواء ولبثت، فتكونت المعادن
 والنباتات والحيوانات الهوائية وثبتت، ومدتهم ثمانية عشر ألف سنة، ومنهم من بلغت مادته
 إلى فلك الماء وسكنت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات المائية وتمكنت، ومدتهم خمسة
 عشر ألف سنة، ومنهم من بلغت مادته إلى الأرض فتكون الإنسان والمعادن والنباتات
 والحيوانات الترابية، ومدتهم إحدى وعشرون ألف سنة، وقال تعالى يخاطب هؤلاء النقباء،
 والسادات النجباء، الذين اختصهم بالاستواء المعبود، والظل المدود ﴿إني معكم لئن أقمتم
 الصلاة وآتيتم الزكاة وآمتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ فأقاموا صلواتهم،
 فضاعف صلواتهم، وأدوا زكاتهم، فقدس ذواتهم، وآمنوا بالرسول، فأوضح لهم السبيل،
 وعزروهم، فعزوا، وأقرضوا الله قرضاً حسناً، فوفاهم سرّاً وعلناً، من كونه محسناً، فلما
 استوى على سرير ملكه فأنزله، وكان الإمام المكبر، نظرت العقول في آياته، وما أودع الرحمن
 من التكوينات في حركاته، وأنتم أيها الحاضرون المصطفون الأخيار، والمقربون المحبتون
 الأبرار، أتذكرون إذ أبنت لكم في الدار الدنيا عن استواء الرحمن، أنه ليس كاستواء
 الأكوان، وأنه لو جلس عليه جلوساً كما يدعيه المشبهة لحدّه المقدار، وقام به الافتقار إلى
 مخصص مختار، لا تحيط به الجهات والأقطار، والافتقار على الله محال. فالاستقرار بمعنى
 الجلوس عليه محال، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال، وما بقي لكم فيه سوى أمرين،
 مرسطين بحقيقتين: الأمر الواحد أن نصرف لفظ هذا الاستواء إلى الاستيلاء، والأمر
 الآخر أن نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تكييف، ونصرف العلم بها إليه، فإنه أسلم
 بالمؤمنين عند قدومهم عليه، ولهذا يجتم المنزه تأويله بقوله «والله أعلم»، لمعرفة أن التنزيه
 قائم بذاته، ولكن صرف هذه الآية إلى هذا الحكم خاصة لا يلزم، وعرفتكم أن أسماء الله
 لها حقائق ورسائق، وأن بامتداد تلك الرسائق المعنوية المنزهة الأقدسية، يظهر فيكم
 سلطانها، ويضلكم ويهديكم إغياضها وتبينها، وقلت لكم: تحفظوا من مكر الله في التأويل

واستدراجه، واسألوه الثبات والاستقامة على متباجه، وطهروا قلوبكم بياه التقديس والتنزيه، من التجسيم والتشبيه، فإنه ليس كمثلته شيء، وهو السميع البصير، ويستوي ويحيى وينزل، وهو في السماء وفي الأرض كما قاله، وعلى المعنى الذي أراه، من غير تشبيه ولا تكيف، وهو العليم القدير، على هذا دللتكم، وإليه دعوتكم، فأوصلكم استعمالكم ذلك إلى ما أنتم فيه الآن، من النعيم المقيم في دار القرار، واختصكم بلذة الجوار، فانعموا بخير جار، في خير دار.

فيقولون: صدقت، الحمد لله الذي صدقتنا وعده، ورضي الله عنك رضا لا مسخط بعده، وجازاك عنا أفضل ما جازى به ناصحاً، وجعلك لكل باب مقفل من التجليات الإلهية فاتحاً.

خطيب الأشقياء:

استوى الخطيب الناطق على سريره ذليل النفس، وقام وزراؤه بين يديه في أضيق حبس، وقال: الحمد لله المنزه في علوه، المقدس في سموه، الذي لا يحده مكان، ولا يحويه زمان، ولا يقيدته آن، ولا تختلف عليه الحالات، ولا يتعذر عليه حل الأمور المشكلات، تنزه عن الحد والمقدار، واتصف بالإرادة والاختيار، وتقدس عن الحركة والانتقال، وتعالى عن الأشكال والأمثال، ليس كمثلته شيء في ذاته، ولا يشبهه مخلوق في صفاته، أيها الحاضرون الخاسرون سمعاً، أنتم الذين ضل سعيكم في الحياة الدنيا وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعاً، أنا الذي سلكت بكم مسالك الغي والضلال، وقررت في نفوسكم كل ما هو على الله محال، وزينت لكم سوء أعمالكم، وأعميت عليكم ضرر أحوالكم، فبئس المعلم كنت فيكم، وبئس ما قبلتموه، فبئس المورد الذي قد أوردتموه، شبهتم معبودكم سبحانه وتعالى ببدواتكم، وجعلتم كلامه ككلامكم، في حروفكم وتقطيع أصواتكم، تكتبون المصحف بآلات موضوعة، وأدوات مصنوعة، تلك الحروف صنعتموها بالقلم، ثم تصفونها بالقدم، وتدعون أنكم في ذلك على الطريق الأمم، وأنكم قد فضلتم بهذا الاعتقاد على سائر الأمم، ثم عمدتم إلى خالفكم وعلامكم، فجعلتم له جسماً كأجسامكم، وجوارح كجوارحكم، وصورة كصوراتكم، وبشياً كشبيشكم، وقدماً كقدمكم، وفرحاً

كفرحكم، واستواء كاستوائكم، وضحكاً كضحككم، وأصل ضلالكم في هذا كله من
إضلائي، ومن زور قولي لَكُمْ وعالي، فلعنكم الله من أتباع.
فيقولون: لعنك الله من متبوع غوي، أورثنا اتباعه عذاباً لا يستطيع.

أهل الكراسي:

خطيب السعداء:

قعد الخطيب الناطق على كرسية الأسي، وقام وزراؤه بين يديه على قاب قوسين أو
أدنى، وقال: الحمد لله الذي وسع كرسية السموات والأرض، ووضع فيه ميزان الرفع
والخفض، ودلى إليه قدمي النهي والأمر، وصيره طريق روحانيات التدبير في السر والجهر،
رتب لهم فيها المنازل، ليحل فيها النازل، فأما الروحانية الأدمية فتزل منزلاً كل ليلة،
وتشهد في كل منزل من ربها كرامته ونيله، فإنها سريعة الحركة، كثيرة البركة، وأما أخواتها
وإن اجتمعوا معها في سرعة السير، فإنه يبطيء بهم عنها حكم الدور، فإن عتاق أفلاكهم،
تسري بهم وبحقائق أملاكهم، أيها الحاضرون السعداء، هل تسمعون؟ أتذكرون حين
أريتكم نزول الحق في الليل إلى السماء الدنيا من أجل الخلق، وينصب له في كل سماء كرسي
يقعد عليه، والملائكة بين يديه؟ فتفيت التشبيه، وقلت: إن صح هذا الخبر، فقد عُرِفَ
المراد، والباري على وصفه من التنزيه، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: كان الله ولا
شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فنزهه عن المكان، بوجود الأكوان، لكن الرسول
عليه الصلاة والسلام أُمِرَ أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويبين لهم على قدر طاقة
تحصيلهم، وقد قبل إيمان السوءاء، في إشارتها إلى السماء، مع علمنا أن الله تبارك وتعالى
في عياء، تعالى عن إدراك العلماء، ثم أثبت لكم أن الرب هو النازل، ومعلوم أنه الثابت
غير الزائل، فهذا حظ السر بالعلم من نزول هذا الاسم، ففضى الحاجات، وقبل
السمایات، وتاب على التائبين، وغفر للمستغفرين، وأعطى السائلين، وأجاب الداعين،
وشملت رحمته المهجدين والنائمين، فأنزل من كرسية كلمته، وأرسلها على قبضته،
فتميزت بالأخذ والترك، وانفصلت بالتوحيد والشرك، فانقلب أهل الشرك والترك إلى
دركاتهم، وانقلب أهل التوحيد والأخذ إلى درجاتهم، وهم أنتم، طاب مسكنكم ونعمتم،

فأعطى الكرسي بالقوة حقيقته، وأبرم في العالم رقيقته، يأيها الحاضرون، ألم أكن فيكم نعم الداعي والحافظ؟

فيقولون: صدقت، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، ورضي الله عنك فلقد كنت نعم الواعظ، جزاك الله عنا أفضل ما جازى به داعياً، وجعل لك في كل مقام من مقامات الجمع المقدس نادياً.

خطيب الأشقياء:

قعد الخطيب الناطق على كرسية في النار، وقام بين يديه وزرؤه الفجار، وقال: الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم، وكتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة عما علم، وجعل الكرسي موضع قدم القدم، المنزه وجوده أن يكون مسبوقةً بعدم، فحقت الكلمات في اللوح علينا أهل الخسران، وعلى أهل الروح والريحان، إذ جعلنا كرسية علمه لا غير، وكذبنا نبيه فشاط بنا الضير، وأحرمنا الخير، دلتكم أيها الحاضرون الضالون المكذبون على ما فيه شقاؤكم، وحرضتكم على ما يُسلط به عليكم بلاؤكم، وخاطبت كل طائفة منكم على قدر نقصان عقلها، وقهرها تحت سلطان وهمها، فمن غلبت منكم روحانيته على خسة جسمانيته، جعلت له هذه العبارات الحسية، إشارات إلى أمور معنوية، وكل من ألحقها بالمحسوس، فنظره معكوس، وحشره منكوس، وقلت في قوله تعالى، ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ إنه أراد الرجال، وقلت في ذلك: إنه محال، وإعطائه لسليمان تسخير الرياح، إنما أراد به الأرواح، وكون مريم حين تمثل الروح بشراً إليها، أن خيالها حكم عليها، وكذبت بالملك والشیطان والمس، وقلت: إن هذا كله من المخاطبات التمثيلية لإيقاع اللبس، وأن ذلك عبارة عن أخلاط فاسدة تمهدت من أغذية ردية، وأن الملائكة عبارة عن قوى في النفس روحانية وخواطر نفسانية، وأنه ما في الأفلاك سوى نجومها، وأن الملائكة عبارة عن قوى سلطان علومها، وأمثال هذا الهديان، الذي لا يقوم عليه برهان، وأما من غلبت منكم جسمانيته على روحانيته، فخاطبته على ما علمت من قصور فهمه، وعدم علمه، وقلت له: إذا لم يكن كلام ربك بحروف وصوت، فماذا تسمع؟ وأنزلت له الصفات المقدسة المعنوية على مثال ما يصححه أول عقله، فقبل ولم يدفع، فلحق بأهل التشبيه والتجسيم، ووصف

القديم بصفات الحدوث فَأَلْحِقَ بِالْجَحِيمِ ، فلعنكم الله من أتباع لقصور أفهامكم وعقولكم ،
وعدم نظركم في معاني منقولكم .

فيقولون : صدقت لعنك الله من مفسد مضل ، وأبسك ثياب الهون والذل .

أهل المراتب :

خطيب السعداء

ظهر الخطيب الناطق في مرتبته ، وقام وزداؤه بين يديه قائلين بحرمته ، وقال : الحمد
لله رب العالمين ، ونعمت العاقبة للمتقين ، هذا الحمد هو آخر دعواكم معاشر السعداء ،
ويرجع الأمر على الابتداء ، وهكذا تكون الدرجات في الجنان ، والأحوال على ترتيب ما كان
عليه الإنسان ، فالحمد لله تملأ الميزان ، وهي آخر موضوع ، ولا إله إلا الله تثبت الإيمان ،
وهي أول مسموع ، فتعموا رحمكم الله بين طرفين شريفين ، وحقيقتين عظيمتين : توحيد
وثناء ، وسناً وثناء ، فالتوحيد للسنا والثناء للثناء ، فقد جمع لكم بين الرفعة والضياء ،
فالحمد لله الذي أعلمتكم بهذه الأمور ، ونهجت بكم مناهج النور .

فيقولون : صدقت ، الحمد لله رب العالمين ، رضي الله عنك ، جازاك الله عنا أحسن
ما جازى به داع ، ومنحك لذة الاستماع في السماع عند الإيقاع .

خطيب الأشقياء :

قعد الخطيب الناطق على مرتبته من الفضاء ، وقام وزداؤه بين يديه في لظى ، وقال :
الحمد لله ولا أدري كيف ، لأنني في موضع العطب والخوف ، لم أزل في رتبة التقليد مغلولاً ،
ويقيد الشرك مقيداً مكبولاً ، لا أدري ما المعبود ، فيكون مني الإقرار أو الجحود ، فلما قَبِلْتُمْ
يدي لعنكم الله وعظمتوني ، وجعلتموني إماماً وقدمتموني ، فرحت نفسي الخسيسة ، بتلك
الرياسة المحسوسة ، ولم تأخذوا في تعظيم حالي ، إلا رغبة في جاهي وطمعاً في مالي ، ولم يكن
عندي علم ألقبه إليكم ، ولا معرفة أسردعا عليكم ، ومنعني الكبر أن أسأل العلماء العمال ،
ورأيت العلماء السوء منكم يخدمون باهي ، ويلازمون ركابي ، رغبة فيما عندي من الأموال ،
فإن قلت قولاً باطلاً صححوه ، وإن زورت كذباً حققوه وشرحوه ، وقالوا : هذا هو الحق
الذي لا يُورَدُ ، والعلم الأقدس الذي لا يُجَدُّ ، لقد أُعْطِيتَ أيها السيد من الذكاء واللفظة

وجودة القرينة ما لم يعطه أحد، واغتر الجاهلون بهم في ذلك، فجزوا على مذهبهم فأوردتهم المهالك، فقالطني نفسي، واحتجبت عن تصريف عقلي برثاسة حسي، فصرت أخترع الأكاذب، وأشرع المسذاهب، وفتحت بيوت الأموال، وتملكت بها العلماء السفال، واتبعتوني على كل باطل فكنتم قوماً بوراً، فلا تدعو اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً، تخيلتم أن ربوبيتي دائمة، وأن ملكتي لا تزال قائمة، واغتررتم بوعدتي، فأجهدتم نفوسكم في شكري وحمدي، فاليوم أقول لكم ما قاله الشيطان الرجيم، حين قضي الأمر في سواء الجحيم ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، ما أنا بمصرخكم ولا أنتم بمصرخي، إني كفرت بما أشركتموني من قبل، إن الظالمون لهم عذاب أليم﴾ زادكم الله إلى عذابكم عذاباً، وفتح لكم إلى كل شر باباً.

فيقولون: صدقت وأنت الكذوب، لعنك الله وأخرأك، وأهانك وأرداك، جازاك الله عنا أسوأ ما جازى به مفسداً ملحداً، وجعل لك في كل منهل من الشور مورداً.

(كتاب التنزلات الموصلية/ الباب السادس)

معراج ثالث:

اعلم أنه لما وصلت إلى منزل القواصم في وقت معراجي، الذي عرج بي ليريني من آياته سبحانه ما شاء، ومعني الملك، قرعت بابه، فسمعت من خلف الباب قائلاً: من الذي يقرع باب هذا المنزل المجهول، الذي لا يعرف إلا بتعريف الله؟ فقال الملك: عبد الحضرة، عبدك محمد بن نور، ففتح، فدخلت فيه، فعرفتي الحق جميع ما فيه، ولكن بعد سنين من شهودي إياه، فكان ذلك شهوداً صورياً من غير تعريف، ثم بعد ذلك وقع التعريف به، ولما عرفني بأنه منزل مجهول قصم ظهري، ولما وقع التعريف به رأته كله قواصم، إلا أن يحصم الله مما رأيت، فخفت، فسكن الله روعي بما جئ لي، فرأيت في هذا المنزل تحول الصور الحسية في الصور الجسمية، كما يتشكل الروحانيون في الصور، فتخيلت أن تلك الصور الأولى ذهبت، فحققت النظر فيها، فلم أدركها حتى أعطيت القوة، عليها، فتحولت فأدركت المطلوب، فإذا هو على نوعين في التحول: النوع الواحد، أن تعطى قوة

تؤثر بها في عين الرائي ما شئته من الصور، التي تحب أن تظهر له فيها، فلا يراك إلا عليها، وأنت في نفسك على صورتك ما تغيرت، لا في جوهرك ولا في صورتك، إلا أنه لا بد أن تحضر تلك الصورة - التي تريد أن تظهر للرائي فيها - في خيالك فيدركها بصر الرائي في خيالك كما تخيلتها، ويحجبه ذلك النظر في الوقت عن إدراك صورتك المعهودة، هذا طريق، وطريقة أخرى يتضمنها هذا المنزل، وذلك أن الصورة التي أنت عليها عرض في جوهرك، فيزيل الله ذلك العرض، ويلبسك ما أردت أن تظهر به من صور الأعراض، من حية أو أسد أو شخص آخر إنساني، وجوهرك باق، وروحك المدبر جوهرك على ما هو عليه من العقل وجميع القوى، فالصورة صورة حيوان أو نبات أو جاد، والعقل عقل إنسان، وهو متمكن من النطق والكلام، فإن شاء تكلم، وإن شاء لم يتكلم، بأي لسان شاء الحق أن ينطقه به، فحكمه حكم عين الصورة في المعهود.

ومن هذا الباب يعرف نطق الجهادات والنبات والحيوان، وهي على صورها، وتسمعها كنطق الإنسان، كما أن الروح إذا تجسد في صورة البشر، تكلم بكلام البشر لحكم الصورة عليه، وليس في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام غير الصورة التي يظهر فيها، بخلاف الإنسان وهو في غير صورة الإنسان.

وطريقة أخرى، وهي أن يشكل الهواء الخاف به على أي صورة شاء، ويكون الشخص باطن تلك الصورة، فيقع الإدراك على تلك الصورة الهوائية، المشكلة في الصورة التي أراد أن يظهر فيها، ولكن إن وقع من تلك الصورة نطق، فلا يقع إلا بلسانه المعروف عند الرائي، فيسمع النغمة فيعرفها، ويرى الصورة فينكرها، لا يتمكن لمن هذه حالته أن يزول عن نعمته، وهذه قوة الجن لمن يعرفهم، فإنهم يظهرون فيما شاؤوه من الصور، والنغمة منهم نغمة جن، لا يقدر على أكثر من ذلك، فمن عرف النغمت، لم تلبس عليه صورة أصلاً، وقليل من يعرف ذلك، وطريقة أخرى في التحول في الصورة، وهي أن تبقى صورة هذا الشخص على ما كانت عليه، ويلبس نفسه صورة روحاني تجسد ذلك الروحاني، في أي صورة شاء هذا الشخص أن يظهر للرائي فيها، ويغيب هذا الشخص في تلك الصورة، وهي عليه كالهواء الخاف به، فتقع في عين الرائي على تلك الصورة، كل ذلك بتقدير العزيز العليم. (ف ح ٢ / ٦٢٠)

عروج رابع :

ذكر الشيخ ما حصله من علوم في هذا العروج فليراجع - حضرة الجمع - في كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٠٧، طبعة أولى - ١٠٦ طبعة ثانية (ف ح ٢ / ٥٨٣)

عروج خامس :

ذكر الشيخ رضي الله تعالى عنه عروجاً خامساً، هو كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى^(١)، وكله من باب الإشارة والرمز واللغز^(٢)، مما دعا تلميذه إسماعيل بن سودكين رضي الله عنه، أن يطلب من الشيخ قدس الله سره العزيز شرح مشكله، فأملاه عليه في كتاب سماه إسماعيل «النجاة عن حجب الاشتباه» وفي نهاية شرحه يقول ما نصه «وقد انتهى الأصل بكياله وشرح مشكله، إلا قليلاً منه في مناجاة أسرار مبادي السور إلى مناجاة السمسة» ولذلك أشار في هذه المناجاة فقال «وقد أشرت لك إلى معانيه، وما يعقلها إلا العالمون» ثم نبه على حكم هذه الحضرة فقال «عبدني هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه، الأعداد حجب على عينك أيها الإنسان، وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الرحمن، تلوح لمن سبقت له المشيئة بوقوفه عليها، حتى تودعه ما لديها، فاستعمل المجاهدة وتحمل بالموافقة والمساعدة، عساك تلتذ بهذه المشاهدة».

لذلك قد يجد القارئ غموضاً في العروج الثاني، وهو من باب الاعتبار والرمز واللغز لأهله، ولكن جُل ما في العروج من علوم وتوحيد وعقائد ومعاني ووضوحات، يستفيد منها القارئ العادي، ليميز بين الحق والباطل.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) مطبوع ضمن رسائل ابن عربي.

(٢) راجع الإشارة والرمز واللغز في كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٩٠ طبعة أولى ١٨٧ طبعة ثانية.

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
تعريف البرزخ	٧
علم البرزخ	٨
الحقائق	٨
الحقيقة الكونية	٩
المعلومات	١٠
حقيقة الخيال المطلق	١١
حضرة الخيال هو عالم الجبروت ومجمع البحرين	١٢
الخيال له الحكم في جميع الحضرات الوجودية	١٥
توجه الاسم الإلهي القوي على إيجاد الخيال	١٨
خلق الخيال	
عالم الخيال المنفصل - أرض الحقيقة - مسرح عيون العارفين	٢٠
الخيال أحق الموجودات باسم الإنسان الكامل	٢٢
تجلي الحق في الحضرة الخيالية	٢٣
الخيال هو الواسع الضيق	٢٦
الأجسام والأجساد	
أثر الخيال في العلم	٣١
إدراك الخيال بعين الحس وعين الخيال	٣٤

الصفحة	الموضوع
٣٨	علاقة القوى الإنسانية بالخيال
٣٩	الحس
٣٩	القوة المصورة
٤٠	القوة الحافظة
٤٠	القوة الذاكرة
٤٠	الفكر
٤١	العقل
٤٢	الوهم
٤٤	القوة المتخيلة
	تأثير الخيال في الحس
٤٦	الاحتلام
٤٧	الوهم
٤٩	ولد الرؤيا
٤٩	إيراد الكبير على الصغير
٥٠	تمكن الشيطان من حضرة الخيال
٥٢	الحروف والسيما
٥٢	السحر - الفرق بين عصا موسى وعصي السحرة
٥٥	الخيال المتصل والخيال المنفصل
٥٨	أثر الحب في الخيال
٦١	النوم
	الدخول إلى عالم الخيال
٦٤	الرياضة والمجاهدة
٦٥	السلوك العقلي والسلوك الشرعي

الصفحة	الموضوع
٦٨	الإسراء والعروج
٧٠	الإسراء بالأولياء وورثة الرسل
٧٣	الفرق بين عروج صاحب النظر وعروج صاحب الشريعة
٧٩	المعراج المعنوي
٨١	التلبس في هذه الحضرة
٨٤	إسراء الشيخ الأكبر رضي الله عنه
٨٥	السياء الأولى
٨٦	السياء الثانية
٨٨	السياء الثالثة
٩٠	السياء الرابعة
٩٢	السياء الخامسة
٩٢	السياء السادسة
٩٤	السياء السابعة
٩٥	البيت المعمور - سكرة المنتهى
١٠٣	العروج الثاني
١٠٣	السياء الرابعة
١١٠	السياء الأولى
١٢٣	السياء الخامسة
١٢٦	السياء الثانية
١٣١	السياء السادسة
١٣٥	السياء الثالثة
١٣٧	السياء السابعة
١٤٢	تمثل الجنة والنار في عالم المثال
١٤٢	المراتب الأربعة

الصفحة	الموضوع
١٤٤	أهل المنابر
١٤٤	خطيب السعداء
١٤٥	خطيب الأشقياء
١٤٦	أهل الأسرة
١٤٦	خطيب السعداء
١٤٨	خطيب الأشقياء
١٤٩	أهل الكراسي
١٤٩	خطيب السعداء
١٥٠	خطيب الأشقياء
١٥١	أهل المراتب
١٥١	خطيب السعداء
١٥١	خطيب الأشقياء
١٥٢	معراج ثالث
١٥٤	عروج رابع
١٥٤	عروج خامس

اشرف على التصحيح والتدقيق كل من السادة:
 محمد ماجد الحناوي - سعيد الناشي - أحمد العاقل

الرُّؤْيَا وَالْمُبَشِّرَاتِ

من كلام الشيخ الأكبر

محيي الدين ابن العربي

جَمَعُ وَتَأَلَّفُ

محمود محمود الغراب

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

مطبعة نضر
١٠٠٠ (ن)

الطبعة الثانية
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الرؤيا

الواقعة^(١) :

الواقعة هي ما يرد على القلب من العالم العلوي بأي طريق كان ، من خطاب أو مثال أو غير ذلك ، على يد الغوث ، فهي المبشرات التي أبقي الله لنا من آثار النبوة ، التي سد بابها وقطع أسبابها ، فالوقائع للأولياء ، والوحي للأنبياء ، وهي الرؤيا الصادقة ، ما هي بأضغاث أحلام ، وهي جزء من أجزاء النبوة . (فح ٢ / ١٣٠ ، ٣٢ - ح ٤ / ٣٩٥ - ح ٣ / ١٠٣) وقد يكون التنبيه الإلهي من واقعة ، وهو أتم العليل ، لأن الوقائع هي المبشرات ، وهي أوائل الوحي الإلهي من داخل ، فإنها من ذات الإنسان ، فمن الناس من يراها في حال النوم ، ومنهم من يراها في حال فناء ، ومنهم من يراها في حال يقظة ، ولا تحجبه عن مدركات حواسه في ذلك الوقت . (فح ٢ / ٤٩١)

ذكر الرؤيا في القرآن الكريم :

قال تعالى في سورة الأنفال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً، ولو أراكم كثيراً لفشتنم ولتنازعتنم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور﴾ .
وقال تعالى في سورة الإسراء ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ .
وقال تعالى في سورة الفتح ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد

(١) لا أعرف ولم أجد أصلاً لهذه التسمية التي هي من اصطلاح القوم ، ويغلب على الظن أنها مأخوذة من قوله تعالى ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ فوقوعها أمر محقق ، وهكذا كشف الأولياء في النوم أو اليقظة ، أو تكون مأخوذة من قوله ﷺ في الرؤيا : إنها معلقة برجل طائر ، فإذا أولت وقعت .

الحرام إن شاء الله آمين، مخلقين رؤوسكم ومقصرين. لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً».

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إنني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً، إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ثم قال تعالى في تمام القصة ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً، وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ ففي قصة يوسف عليه السلام مثال على سلطان الخيال، وكونه محل العمل في التلطيف والتكثيف، مثل الحق ليوسف عليه السلام عين إخوته وأبويه، فأنشأ الخيال صورة الإخوة كواكب، وصور الأبوين شمساً وقمرأ، وكلهم لحم ودم وعروق وأعصاب، فانظر هذه النقلة من عالم السفلى إلى عالم الأفلاك، ومن ظلمة الهيكل إلى نور هذه الكواكب، فقد لطف الكثيف، ثم عمد الخيال إلى مرتبة التقدم وعلو المنزلة والمعاني المجردة، فكساها صور السجود المحسوس، فكثف لطيفها، والرؤيا واحدة، فلولا قوة هذه الحضرة ما جرى ما جرى، ولولا أنها واسطة ما حكمت على الطرفين، فإن الوسط حاكم على الطرفين، لأنه حدُّ لهما. (فح ١ / ٣٩٦ - ح ٣ / ٤٥١)

وقال تعالى في نفس قصة يوسف عليه السلام ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنني أراي أعصر خراً، وقال الآخر إنني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ فقال يوسف عليه السلام لهما في تعبير رؤيائهما ﴿ياصاحبي السجن أما أحذكما فيسقي ربه خراً، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

وفي نفس السورة يقص علينا الحق رؤيا عزيز مصر فيقول تعالى ﴿وقال الملك إنني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، يأبها الملاء أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فيؤولها يوسف عليه السلام فيقول ﴿تزرعون سبع سنين دأباً، فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع

شداد يأكلن ما قلعتم لمن إلا قليلاً مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفي يعصرون» .

وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا هو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم﴾ .

وقال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ . قيل إن هذا الوحي كانت رؤيا رأتها في المنام .

أما عن الحديث الشريف، فقد أخرج أبو داود ومالك، أن الأذان للصلاة كان رؤيا أراها الله تعالى عبد الله بن زيد الأنصاري، فأقرها رسول الله ﷺ، وذكر أبو داود مثله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد ورد في الصحاح كثير من المراثي فليراجعها من شاء .

ما ورد عن الرؤيا في الحديث الشريف :

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ : «من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتخيل بي، والرؤيا الحسنة من الرجل الصالح - وفي رواية رؤيا المؤمن - جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» .

أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» .

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة لا يكذب» .

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا : وما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة» .

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن أبي قتادة الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضره».

أخرج البخاري عن أبي قتادة الأنصاري قال قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينبث عن شماله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره، وإن الشيطان لا يتزايا بي - وفي رواية - وليتحول من شقه الذي كان نائماً حين الرؤيا إلى شقة أخرى، فلو لم يكن للرؤيا أثر فيمن رؤيت له أو رآها لنفسه، ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلاً، وتحول صاحب الرؤيا من جنب إلى جنب تتحول الرؤيا بتحوله، ويرمى شرها عنم اتخذها معاذاً. (ف ح ٢ / ٣٧٧ - ح ٣ / ٣١٣)

وأخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من تحلم يحلم لم يره كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل».

وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من كذب في رؤياه كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل».

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تريا».

هذا يدل على عظيم مكانة الرؤيا وعظم حرمتها، لأنها جزء من النبوة ووحى من الله تعالى، فمن كذب فيها فقد كذب على الله تعالى، فيكلفه الله تعالى يوم القيامة ما لا يطاق، فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله، فإنه جاء في كذبه بتأليف ما لا يصح تأليفه، فلم ياتلف في نفس الأمر، وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبداً، ولذلك نسب الحلم إلى الشيطان، ولم تسمى رؤيا، فإن الحلم هو إفساد الصورة، يقال حلم الأديم وحلم اللبن إذا تغيرت صورته، والتغير فساد الصورة الأصلية، ولما كانت الرؤيا في الخيال، ومن حقيقة الخيال إفساد الصور بتغييرها، قال ﷺ: «الحلم من الشيطان»، للمناسبة في المعنى من

الفساد، فإن تغيير الصورة من الشيطان في الخيال، يقصد بها الكذب على الله، وقال رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله» للأدب في اللفظ، لأنها حق من عند حق، مع ما يقع فيها من تغيير الصور.

رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام:

حديث أنس بن مالك وفيه قال قال النبي ﷺ: «من رأى فقد رأى».
أخرج البخاري عن أبي قتادة قال قال النبي ﷺ: «من رأى فقد رأى الحق».
أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «من رأى فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكلمني».
أخرج البخاري عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول: من رأى في المنام، فسيراى في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان به».

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من أشد أمي لي حباً، ناس يكونون بعدي، يود أهدهم لورآي بأهله وماله».
وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «إن أناساً من أمي يأتون بعدي، يود أهدهم لو اشتري رؤيتي بأهله وماله».

فمن كان من الصالحين، ممن كان له حديث مع النبي ﷺ في كشفه، وصحبه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه، حشر معه يوم القيامة، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن وعلى أسنى حالة، ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم، ولا يسمى صاحباً ولورآه في كل منام، حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً، يخاطبه ويأخذ عنه، ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها.
(فح ٣ / ٥٠)

الرؤيا:

اعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة، وما هي بأضغاث أحلام، وهي لا تكون إلا في حال النوم، قالت عائشة في الحديث الصحيح: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من

الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وسبب ذلك صدقه ﷺ، فإنه ثبت عنه أنه قال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» فكان لا يحدث أحداً ﷺ يحدث عن تزوير يزوره في نفسه، بل يتحدث بما يدركه بإحدى قواه الحسية أو بكلها، ما كان يحدث بالعرض، ولا يقول ما لم يكن، ولا ينطق في اليقظة عن شيء يصوره في خياله، مما لم ير لتلك الصورة بجملتها حيناً في الحس، فهذا صدق رؤياه، وإنما بدى الوحي بالرؤيا دون الحس، لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس، لأن الحس طرف أدنى، والمعنى طرف أعلى وألطف، والخيال بينهما، والوحي معنى، فكان بدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية، المقلبة في حضرة الخيال، في نوم كان أو يقظة، وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس، فإذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس، فلا بد أن يعبر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس، والخيال من حقيقته أن يصور كل ما حصل عنده في صورة المحسوس، لا بد من ذلك، فإن كان وجود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا، وإن كان في حال اليقظة سمي تخيلاً أي خيال إليه، فلهذا بدى الوحي بالخيال، ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج، فكان يتمثل له الملك رجلاً، أو شخصاً من الأشخاص المدركة بالحس، فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بإدراك هذا الملك، وقد يدركه الحاضرون معه، فيلقي على سمعه حديث ربه وهو الوحي، وتارة ينزل على قلبه ﷺ، فتأخذه البرحاء، وهو المعبر عنه بالحال، فإن الطبع لا يناسبه، وانفرد الأنبياء في ذلك بالشرع، فقد يكون الوحي بشيراً ونذيراً، ولكن لا يكون مشرعاً، فإن الرسالة والنبوة بالشرع قد انقطعت، فلا رسول بعده ولا نبي، أي لا شرع ولا شريعة، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي، فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات» فقالوا «يا رسول الله وما المبشرات؟» فقال: «رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة» هذا حديث حسن صحيح من حديث أنس بن مالك، وعن أبي هريرة وحليفة وابن عباس وأم كرز، أنه ﷺ أخبر «أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة» فقد بقي للناس من النبوة هذا وغيره، ومع هذا لا يطلق اسم النبوة والنبي إلا على المشرع خاصة، فحجر هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوة،

وما حجر النبوة التي ليس فيها هذا الوصف الخاص، وإن كان حجر هذا الاسم، تتأدب
وتقف حيث وقف ﷺ، بعد علمنا بما قال وما أطلق وما حجر، فنكون على بينة من أمرنا.
(ف ح ٢ / ٣٧٥ - ح ٣ / ١٠٣ - ح ٢ / ٣٧٥، ٨٥، ٣٧٥)

وإذا علمت هذا، فلنقل: إن الرؤيا ثلاث، منها بشرى، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه
في اليقظة فيرتقم في خياله، فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك، لأنه تصويره في يقظته بقي
مرتسماً في خياله، فإذا نام وانصرفت الحواس إلى خزانة الخيال، أبصرت ذلك، والرؤيا
الثالثة من الشيطان، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا
المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً
من النبوة، والرؤيا ثلاث، فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى، ورؤيا من تحزين الشيطان،
ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه، وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به
الناس» - الحديث - وفي حديث أبي قتادة عن رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم شيئاً
يكرهه، فلينبث عن يساره ثلاث مرات، وليستعد بالله من شرها فإنها لا تضره» وهو حديث
حسن صحيح، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «إن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم
يحدث بها، فإذا حدث بها وقعت». (ف ح ٢ / ٣٧٦).

واعلم أن لله ملكاً موكلًا بالرؤيا يسمى الروح، وهو دون السماء الدنيا، ويده صور
الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره، وصور ما يحدث من تلك الصور من الأكوان،
فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة أو فناء، أو قوة إدراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته،
عن إدراك ما بيد هذا الملك من الصور، فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته، ما يدركه
النائم في نومه، وذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها، من حضرة المحسوسات إلى
حضرة الخيال المتصل بها، الذي محله مقدم الدماغ، فيفيض عليها ذلك الروح الموكل
بالصور من الخيال المنفصل - عن الإذن الإلهي - ما يشاء الحق أن يريه هذا النائم أو الغائب
أو الفاني أو القوي، من المعاني المتجسدة في الصور التي بيد هذا الملك، فمنها ما يتعلق بالله
وما يوصف به من الأسماء، فيدرك الحق في صورة، أو القرآن أو العلم، أو الرسول الذي
هو على شرعه، فهنا يحدث للرائي ثلاث مراتب أو إحداهن، المرتبة الواحدة أن تكون

الصورة المتركة راجعة للمرثي ، بالنظر إلى منزلة ما من منازلها وصفاته التي ترجع إليه ، فتلك رؤيا الأمر على ما هو عليه بما يرجع إليه ، والمرتبة الثانية أن تكون الصورة المرثية راجعة إلى حال الرائي في نفسه ، والمرتبة الثالثة أن تكون الصورة المرثية راجعة إلى الحق المشروع والناموس الموضوع ، أي ناموس كان ، في تلك البقعة التي ترى تلك الصورة فيها ، في ولاية أمر ذلك الإقليم القائم بناموسه ، وما ثم مرتبة رابعة سوى ما ذكرناه ، فالأولى وهي رجوع الصورة إلى عين المرثي ، فهي حسنة كاملة ولا بد لا تصف بشيء من القبح والنقص ، والمربتان الباقيتان ، قد تظهر الصورة فيها بحسب الأحوال ، من الحسن والقبح والنقص والكمال ، فليُنظر إن كان من تلك الصورة خطاب ، فبحسب ما يكون الخطاب يكون حاله ، ويقدر ما يفهم منه في رؤياه ، ولا يعول على التعبير في ذلك بعد الرجوع إلى عالم الحس ، إلا إن كان عالماً بالتعبير ، أو يسأل عالماً بذلك ، وليُنظر أيضاً حركته - أعني حركة الرائي - مع تلك الصورة من الأدب والاحترام أو غير ذلك ، فإن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته لتلك الصورة ، فإنها صورة حق بكل وجه ، وقد يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة ، وقد لا يشاهده ، وما عدا هذه الصورة فليست إلا من الشيطان ، إن كان فيه تحزين ، أو مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته ، فلا يعول على ما يرى من ذلك ، ومع هذا وكونها لا يعول عليها ، إذا عبّرت كان لها حكم ولا بد ، يحدث لها ذلك من قوة التعبير لا من نفسها ، وهو أن الذي يُعبّر بها لا يعبرها حتى يصورها في خياله من المتكلم ، فقد انتقلت تلك الصورة من المحل ، الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان ، إلى خيال العابر لها ، وما هي له حديث نفس ، فيحكم على صورة محققة ارتسمت في ذاته ، فيظهر لها حكم أحدثه حصول تلك الصورة في نفس العابر ، كما جاء في قصة يوسف مع الرجلين ، وكانا قد كلبا فيها صوراه ، فكان مما حدثا به أنفسهما ، فتخيلاه من غير رؤيا ، وهو أبعد في الأمر ، إذ لو كان رؤيا لكان أدخل في باب التعبير ، فلما قصاه على يوسف ، حصل في خيال يوسف عليه السلام صورة من ذلك ، لم يكن يوسف حُدث بذلك نفسه ، فصارت حقاً في حق يوسف ، وكأنه هو الرائي الذي رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل ، وقاما له مقام المَلَك الذي بيده صور الرؤيا ، فلما عبّر لها رؤياها ، قال له : أردنا اختبارك وما رأينا شيئاً ، فقال يوسف : ﴿ قضي الأمر الذي فيه تستخيان ﴾ فخرج الأمر في الحس كما عبر .

ثم إن الله تعالى إذا رأى أحد رؤيا، فإن صاحبها له فيما رآه حظ من الخير والشر، بحسب ما تقتضي رؤياه، أو يكون الحظ في ناموس الوقت في ذلك الموضع، وأما في الصورة المرئية فلا، فيصور الله ذلك الحظ طائراً، وهو ملك في صورة طائر، كما يخلق من الأعمال صوراً ملكية روحانية جسدية برزخية، وإنما جعلها في صورة طائر، لأنه يقال: طار له سهمه بكذا، والطائر الحظ، ويجعل الرؤيا معلقة من رجل هذا الطائر وهو عين الطائر، ولما كان الطائر إذا اقتنص شيئاً من الصيد من الأرض إنما يأخذه برجله، لأنه لا يد له، وجناحه إلا يتمكن له الأخذ به، فلذلك علق الرؤيا برجله، فهي المعلقة، وهي عين الطائر، فإذا عبرت سقطت لما قيلت له، وعندما تسقط ينعدم بسقوطها، ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا، فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير، فتلك الحال إما عرض أو جوهر أو نسبة من ولاية أو غيرها، هي عين تلك الرؤيا وذلك الطائر، ومنه خلقت هذه الحالة ولا بد، سواء كانت جسماً أو عرضاً أو نسبة، أعني تلك الصورة، كما خلق آدم من تراب، ونحن من ماء مهين.

ثم إن تسمية النبي ﷺ للرؤيا بشرى وبشرة، لتأثيرها في بشرة الإنسان، فإن الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها من باطنها، مما تتخيله من صورة تبصرها، أو كلمة تسمعها، إما بحزن أو فرح، فيظهر لذلك أثر في البشرة، لا بد من ذلك، فإنه حكم طبيعي أودعه الله في الطبيعة، فلا يكون إلا هكذا. (ف ح ٢ / ٣٧٧)

واعلم أن للرؤيا مكاناً ومحللاً وحالاً، فحالتها النوم، وهو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة، الموجبة للراحة لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة، في حال اليقظة من الحركة وإن كان في هواها، وأما المحل، فهو هذه النشأة العنصرية، لا يكون للرؤيا محل غيرها، فليس للملك رؤيا، وإنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة، وأما المكان، فهو ما تحت مقعر فلك القمر خاصة، وفي الآخرة ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة، وذلك لأن النوم قد يكون في جهنم في أوقات، ولا سيما في المؤمنين من أهل الكبائر، ولهذا لا يبقى عذاب في النار بعد انقضاء مدته، إلا العذاب الممثل المتخيل في حضرة الخيال، لبقاء أحكام

الأسماء، فإنه ليس للاسم إلا ما تطلبه حقيقته من ظهور حكمه، وليس له تعيين حضرة ولا شخص، وما فوق فلك الكواكب فلا نوم، وأعني به النوم الكائن المعروف في العرف.

(لحج ٢ / ٣٧٨ - ح ٣ / ١١٩ - ح ٢ / ٣٧٨)

واعلم أن الإنسان إذا زهد في غرضه، ورجب عن نفسه وآثر ربه، أقام له الحق عوضاً من صورة نفسه، صورة هداية إلهية، حقاً من عند حق، حتى يرفل في خلائل النور، وهي شريعة نبيه ورسالة رسوله، فيلقى إليه من ربه ما يكون فيه سعادته، فمن الناس من يراها على صورة نبيه، ومنهم من يراها على صورة حاله، فإذا تجملت له في صورة نبيه، فليكن عين فهمه فيما تلقى إليه تلك الصورة لا غير، فإن الشيطان لا يتمثل على صورة نبي أصلاً، فذلك حقيقة ذلك النبي وروحه، أو صورة ملك مثله عالم من الله بشريعته، فما قال فهو ذلك، فمن صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ﷺ، فإن الله لا بد أن يخرج إليه رسوله ﷺ في مبشرة يراها أو كشف، بما يكون له عند الله من الخير، وإنما يخرج إليه رسوله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ لا يتصور على صورته غيره، فمن رآه رآه لا شك فيه. (فحج ٣ / ٧٠ - ح ٤ / ١٨٤)

فالمبشرات جزء من أجزاء النبوة، إما أن تكون من الله إلى العبد، أو من الله على يد بعض عباده إليه، وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له، فإن جاءته من الله في رؤياه على يد رسوله ﷺ، فإن كان حكماً تعسباً نفسه به ولا بسد، بشرط أن يرى الرسول ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنه، حتى إنه إن رأى رسول الله ﷺ يراه مكسور الثنية العليا، فإن لم يره بهذا الأثر فما هو ذلك، وإن تحقق أنه رسول الله ﷺ، ورآه شيخاً أو شاباً مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها، ورآه في حسن أزيد مما وصف له، أو قبح صورة، أو يرى الرائي إساءة أدب في نفسه معه، فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ما هو رسول الله، فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع، إما في البقعة التي يراه فيها عند ولادة أمور الناس، وإما أن يرجع ما يراه إلى حال الرائي، أو إلى المجموع، غير ذلك فلا يكون، فيكون تغير صورته ﷺ، عين إعلامة وخطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه، أو حق ولادة العصر بالموضع الذي يراه فيه، فإن جاءه بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به، إن اقتضى

ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به، وكل ما أتى به من العلوم والأسرار مما عدا التحليل والتحريم، فلا تحجير عليه فيما يأخذه منها، لا في العقائد ولا في غيرها، وذلك بخلاف حكمه لورآه ﷺ على صورته، فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غير ذلك، فإن الله يقول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، هذا هو الفرقان بين الأمرين، فقد يرى رسول الله ﷺ في الرؤيا أو في الكشف، فيصحح من الأخبار ما ضعف بالنقل، وقد ينفي من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل، كما ذكر مسلم في صدر كتابه، عن شخص أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فعرض عليه ألف حديث كان في حفظه، فأثبت ﷺ من الألف ستة أحاديث وأنكر ﷺ ما بقي، فمن رآه ﷺ في المنام فقد رآه في اليقظة، ما لم تتغير عليه الصورة، فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلاً، فهو معصوم الصورة حياً وميتاً، فمن رآه فقد رآه في أي صورة رآه. (فح ٤ / ٢٧)

فمن اعتبر الرؤيا يرى أمراً هائلاً، وتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح في أصحابه، سألهم: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ لأنها نبوة، فكان يجب أن يشهد بها في أمته، والناس اليوم في غاية الجهل بهذه المرتبة، التي كان رسول الله ﷺ يعنى بها، ويسأل كل يوم عنها، والجهلاء في هذا الزمان، إذا سمعوا بأمر وقع في النوم، لم يرفعوا به رأساً، وقالوا باللماتمات يريد أن يحكم، هذا خيال، وما هي إلا رؤيا؛ فيستهينوا بالرأى إذا اعتمد عليها، وهذا كله لجهل المعترض بمقامها، وجهله بأنه في يقظته وتصرفه في رؤيا، وفي منامه في رؤيا في رؤيا، فهو كمن يرى أنه استيقظ في نومه وهو في منامه، وهو قوله عليه السلام «الناس نيام» (فح ٢ / ٣٨٠)

تعبير الرؤيا:

اعلم أن كل متلفظ من الناس بحديث، فإنه لا يتلفظ به حتى يخيله في نفسه، ويقيمه صورة يعبر عنها، لا بد له من ذلك، ولما كان الخيال لا يراد لنفسه، وإنما يراد لبروذه إلى الوجود الحسي في عينه، أن يظهر حكمه في الحس، فإن المتخيل قد يكون مرتبة، وقد يكون ما يقبل الصورة الوجودية، كمن يتخيل أن يكون له ولد فيولد له ولد، فيظهر في عينه شخصاً قائماً مثله، وقد يتخيل أن يكون ملكاً وهي رتبة، فيكون ملكاً ولا عين للمملكة في

الوجود، وإنما هي نسبة، والتأويل عبارة عما يؤول إليه الذي حدث عنده في خياله، وما سمي الإخبار عن الأمور عبارة، ولا التعبير في الرؤيا تعبيراً، إلا لكون المخبر يُعبرُ بما يتكلم به - أي يجوزُ بما تكلم به - من حضرة نفسه إلى نفس السامع، فهو ينقله من خيال إلى خيال، لأن السامع يتخيله على قدر فهمه، فقد يطابق الخيال الخيال، خيال السامع مع خيال المتكلم، وقد لا يطابق، فإذا طابق سمي فهماً عنه، وإن لم يطابق فليس بفهم، ونقصد بهذه الإشارة إلى التنبيه على عظم رتبة الخيال، وأنه الحاكم المطلق في المعلومات، غير أن التعبير عن غير الرؤيا رباعي، والتعبير عن الرؤيا ثلاثي، أي في الرؤيا، وهما من طريق المعنى على السواء، وعين الفعل في الماضي في تعبير الرؤيا مفتوح، وفي المستقبل مضموم ومخفف ﴿إن كتم للرؤيا تعبرون﴾ وهو في غير الرؤيا مضاعف في الماضي والمستقبل، مفتوح العين في الماضي، وتكسر في مستقبله، وإنما كان التضعيف في غير الرؤيا للقوة في العبارة، لأنها أضعف في الخيال من الرؤيا، فإن المُعبرُ في غير الرؤيا، يعبر عن أمر متخيل في نفسه، استحضره ابتداءً وجعله كأنه يراه حساً، فضعف عن يعبر عن الخيال، من غير فكر ولا استحضار كصاحب الرؤيا، فإن الخيال هنالك أظهر له ما فيه، من غير استحضار من الرائي، والمتيقظ ليس كذلك، فهو ضعيف التخيل بسبب حجاب الحس فاحتاج إلى القوة، فضعف التعبير عنه فقيل عبر فلان عن كذا وكذا بكذا وكذا بتشديد عين الفعل، ألا ترى قولهم في عبور الوادي يقولون: عبرت النهر أعبره من غير تضعيف، لأن النهر هنا غير مستحضر بل هو حاضر في الحس، كما كان ذلك حاضراً في الخيال من غير استحضار، فاستعان بالتضعيف لما في الاستحضار من المشقة، والاستعانة تؤذن بالتضعيف أبداً حيث ظهرت، لأنه لا يطلب العون إلا من ليس في قوته مقاومة ذلك الأمر الذي يطلب العون عليه. (ف ح ٣ / ٤٥٣، ٤٥٤)

قال يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام ﴿بيحيبك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ وقال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن بعد تأويل رؤياهما ﴿ذلكما علمني رب﴾ وهو عليه السلام يلقي للتابع المحمدي في عروجه الروحاني ونزوله عليه، العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال، وإن كان المحمدي من الأئمة في علم التعبير، أحضر الله

بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم عليه السلام، وأحضر له سوق الجنة، وأحضر له أجساد الأرواح النورية والنارية والمعاني العلوية، وعرفه بموازينها ومقاديرها ونسبها ونسبها، فأراه السنين في صورة البقر، وأراه خصبها في سمنها، وأراه جذبها في عجافها، وأراه العلم في صورة اللبن، وأراه الثبات في الدين في صورة القيد، وما زال يعلمه تجسد المعاني والنسب في صور الحس والمحسوس، فإن كل رؤيا صادقة ولا تخطيء، فإذا أخطأت الرؤيا، فالرؤيا ما أخطأت، ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطيء، حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة، ألا تراه ﷺ ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور وأصبت بعضاً وأخطأت بعضاً وكذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم ضربت عنقه، فوق رأسه فجعل الرأس يتدهده وهو يكلمه، فذكر له رسول الله ﷺ أن الشيطان يلعب به، فعلم رسول الله ﷺ صورة ما رآه، وما قال له خيالك فاسد، فإنه رأى حقاً، ولكن أخطأ في التأويل، فأخبره ﷺ بحقيقة ما رآه ذلك النائم، فالعابر للرؤيا هو الذي له جزء من أجزاء النبوة، حيث علم ما أريد بتلك الصورة، فقد يكون الرائي هو الذي يراها لنفسه، وقد يراها له غيره، والعابر هو صاحب علم تعبير الرؤيا. (ف ح ٢ / ٢٧٥ - ح ١ / ٣٠٧، ١٦٥)

فلا يعلم مرتبة عالم الخيال إلا الله، ثم أهله من نبي أو ولي مختص، غير هذين فلا يعرف قدر هذه المرتبة، والعلم بها أول مقامات النبوة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وجلس مجلسه بين أصحابه، يقول لهم «هل فيكم من رأى رؤيا؟» وذلك ليرى ما أحدث الله البارحة في العالم، أو ما يحدثه في المستقبل، وقد أوحى به إلى هذا الرائي في منامه، إما صريح وحي، وإما وحي في صورة يعلمها الرائي، ولا يعلم ما أريد بها، فيعبرها رسول الله ﷺ لما أراد الله بها، فهذا كان من اعتنائه ﷺ بهذه المرتبة المجهولة عند العلماء.

(ف ح ٣ / ٥٠٧)

فالتجلي الصوري في حضرة الخيال محتاج إلى علم آخر، يدرك به الرائي ما أراد الله بتلك الصورة، قال إبراهيم عليه السلام لابنه «إني أرى في المنام أني أذبحك» والمنام حضرة الخيال، فلم يعبرها، وكان كبشاً ظهر في صورة ابن إبراهيم عليه السلام في المنام، فصُدق إبراهيم الرؤيا، ففداه ربه من إبراهيم عليه السلام بالذبيح العظيم، الذي هو تعبير

رؤية عند الله، وهو لا يشعر، ولذلك قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين ناداه ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ قَدْ صدقت الرؤيا﴾ وما قال له: صدقت في الرؤيا أنه ابنك؛ لأنه ما عبرها بل أخذ بظاهر ما رأى، والرؤيا تطلب التعبير، فلو صدق في الرؤيا للذبح ابنه، وإنما صدق الرؤيا في أن ذلك عين ولده، وما كان عند الله إلا الذبيح العظيم في صورة ولده، ففداه لما وقع في ذهن إبراهيم عليه السلام، ما هو فداء في نفس الأمر عند الله، فصوّر الحسّ اللبّيع، وصوّر الخيال ابن إبراهيم عليه السلام، فلورأى الكبش في الخيال لعبره بابنه أو بأمر آخر، فموطن الخيال يطلب التعبير، وقد غفل بقي بن مخلد - الإمام صاحب المسند - عن توفية الموطن حقه، وقد سمع في الخبر الذي ثبت عنده، أنه قال عليه السلام «من رأى في النوم فقد رأى في اليقظة، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي» فرآه بقي بن مخلد، وسقاه النبي ﷺ في هذه الرؤيا لبناً، فصدق بقي بن مخلد رؤياه، فاستقاه فقاه لبناً، ولو عبر رؤياه لكان ذلك اللبّن علماً، فحرمه الله علماً كثيراً على قدر ما استقاه، ألا ترى أن رسول الله ﷺ أتى في المنام بقدر لبن قال «فشربته حتى خرج الري من أظفري، ثم أعطيت فضلي عمره قيل «ما أولته يارسول الله؟» قال «العلم» وما تركه لبناً على صورة ما رآه، لعلمه بموطن الرؤيا وما يقتضي من التعبير، فمن تجسد له روح النبي ﷺ في المنام، بصورة جسده كما مات عليه، لا يخرج منه شيئاً، فهو محمد ﷺ الموثى من حيث روحه، في صورة جسدية تشبه المدفونة في المدينة، لا يمكن للشيطان أن يتصور بصورة جسده عليه السلام، عصمة من الله في حق الرائي، ولهذا من رآه بهذه الصورة، يأخذ عنه جميع ما يأمره أو ينهيه عنه أو يخبره، كما كان يأخذ عنه في الحياة الدنيا من الأحكام، على حسب ما يكون منه اللفظ الدال عليه، من نص أو ظاهر أو مجمل أو ما كان، فإن أعطاه شيئاً فإن ذلك الشيء هو الذي يدخله التعبير، فإن خرج في الحس كما كان في الخيال، فتلك الرؤيا لا تعبير لها، وهذا القدر وعليه اعتمد إبراهيم عليه السلام وبقي بن مخلد، ولما كان للرؤيا هذان الوجهان، وعلمنا الله - فيما فعل إبراهيم عليه السلام، وما قال له - الأدب لما يعطيه مقام النبوة ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ علمنا في رؤيتنا الحق تعالى في صورة يردها الدليل العقلي، أن تعبر تلك الصورة بالحق المشروع، إما في حق الرائي أو المكان الذي رآه فيه، أوهما معاً، فإن لم يردها الدليل العقلي أبقيناها على ما رأيناها، كما يرى الحق في الآخرة سواء. (فصوص الحكم/ فص حكمة إسحاقية)

وكان عندنا شاب صالح ، سأل أباه أن يتركه يمشي إلى خدمة أبي مدين ببجاية ، ونحن بإشبيلية ، فأبى والده ، وكان له أخ صغير ، فرأى النبي ﷺ وهو يقول لأبيه : دع محمداً يمشي حيث سأل ، فإني سأبشره بالساحل ، فقص عليه وعلى أبيه ، فدعا بولده السائل ، وخاله لوجهه ، فأخذ الولد يبكي ، فقلت له : ما أبكاك مع هذه البشارة ؟ فقال : أخاف من قوله تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ فقلت : لا جزاك الله عن نفسك خيراً ، ولا عن جهلك في تأويلك ، هو ما قلت ، وسافرنا ، فلتحق بأبي مدين ، فأكرمه مدة ، ثم هجره ، وطرده من عنده ، فلما كان بعد عشر سنين ، اجتمعت به بمنزله بأشبيلية ، وقد بدل الله حالة الموافقة منه بالمخالفة ، والطاعة بالمعصية ، والإيمان بالزندقة ، ففارقت ، وخرج ما عبر به رؤيا أخيه ، فنسأل الله العافية من كلمة تؤدي إلى الهلكة في دين أو دنيا . (مسامرات / ح ٢)

رأى بعض المكاشفين وهو نجم الدين ابن شاي الموصلي ، أن معروفاً الكرخي رضي الله عنه في وسط النار قاعد ، فهاله ذلك ، وما عرف معناه ، وما علم أنه يتنعم فيها نعيم الأبرار ، وتخيّل فيه أنه هالك ، مع ما عنده من تعظيمه بين القوم ، وتزنيه عما يستحق من اللوم ، فلما ذكره للشيخ الأكبر قدس الله سره ، قال له : تلك النار هي الحمى على منزله الذي رأته فيه قاعداً ، فمن أراد أن يتال ذلك المنزل الذي هو فيه ، فليقتحم إلى هذه النار والغمرات ، فهذه النار هي الشدائد والمجاهدات ، فكان معروف عين الجنة ، والنار التي رآها المكاشف عليه كالجنة ، وهي المجاهدات التي كان عليها في حياته .

(ف ح ٤ / ٣٨٥ - كتاب الأعلام)

مبشرات رآها الشيخ الأكبر

رضي الله عنه

أخذ أحكام من رسول الله ﷺ في الرؤيا

يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي قدس الله سره العزيز عن نفسه .

رفع اليدين في الصلاة :

أما أنا فرأيت رسول الله ﷺ في رؤيا مبشرة، فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع وعند الرفع من الركوع، ولا يقول بذلك أهل بلادنا جملة واحدة، وليس عندنا من يفعل ذلك ولا رأته، فلما عرضت على محمد بن علي بن الحاج - وكان من المحدثين - روى لي فيه حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ ذكره مسلم، ووقفت عليه بعد ذلك في صحيح مسلم لما طالعت الأخبار، ورأيت بعد ذلك أن فيه رواية عن مالك بن أنس رواها ابن وهب، وذكر أبو عيسى الترمذي هذا الحديث وقال: وبه يقول مالك والشافعي . (فح ١ / ٤٣٧ - ح ٤ / ٧٠)

الصلاة على الجنائز - الأكفان - الغسل من الجنابة - الجماع :

كنت أقول بالصلاة على الجنائز حيث كانت، في مسجد وغيره، حتى رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو ينهى عن دخول الجنائز المسجد وعن الصلاة عليها، فانتهيت، فما صليت بعد ذلك على جنازة في المسجد، فإني رأيت رسول الله ﷺ وهو يكره إدخال الجنائز في المسجد، ويكره أيضاً أن يستر الميت من الذكران، بثوب زائد على كفته، وأمر أن يسلب عنه ويترك على نعشه في كفته، وأن لا يستر في تابوت أصلاً، وأمرني إذا كان البرد أن أسخن الماء للغسل من الجنابة ولا أصبح على جنابة، ورأيت يشكر على الجماع، ويستحسن ذلك من فاعله، هذا كله رأيت في هذه الليلة، ورأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة، وذكرت له

أن رسول الله ﷺ أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة، فقال لي: هكذا ذكر البخاري أنه رأي النبي ﷺ في النوم فأمره بذلك، ورأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك، ورأى الفربري في النوم وعلمت أنه رأي في النوم، ورأيت أنا في نومه، فذكر لي أن البخاري ذكر له هذا، فعلمته أنا من قول الفربري وثبت عندي، وبها أنا في النوم قد قلته لك فاعمل عليه، واستيقظت، فأمرت أهلي أن يسخنوا لي ماء، واغتسلت مع الفجر.

(فح ١ / ٥٣٧ - ح ٢ / ٢٥٣)

الطواف والصلاة في جميع الأوقات في الحرم المكي:

ولقد رأيت وأنا بمكة في المنام رسول الله ﷺ، وقد استقبل الكعبة ويشير إليها بقول: يماكني أو قال يمالكي (الشك مني) هذا البيت، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت في أي وقت كان، من ليل أو نهار، أن يصلي في أي وقت شاء، من ليل أو نهار، فإن الله يخلق له من صلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة - وكنت قبل هذه الرؤيا عندي في إجازة الطواف بعد الصبح والعصر وقفة، فإن حديث النسائي الذي يشبهه حديثنا، رأيتهم قد توقفوا في الأخذ به، فلما رأيت هذه المبشرة ارتفع عني الإشكال، وثبت به عندي حديث النسائي وحديث أبي ذر الغفاري، والحمد لله. (فح ١ / ٥٩٩، ٧٠٦ - ح ٢ / ٢٥٤ - كتاب الميقات).

الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

سألت رسول الله ﷺ في الرؤيا، التي تعلمت منها دعاء ختم المجلس، سألته عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد، وهو أن يقول لها: أنت طالق ثلاثاً؛ فقال لي ﷺ: هي ثلاث كما قال، لا تحمل له حتى تنكح زوجاً غيره، فكنت أقول له: يا رسول الله فإن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طليقة واحدة، فقال ﷺ: هؤلاء حكموا بها وصل إليهم وأصابوا، ففهمت من هذا تقرير حكم كل مجتهد، وأن كل مجتهد مصيب، فكنت أقول له: يا رسول الله، فما أريد في هذه المسألة إلا ما تحكمم به أنت إذا استفتيت، وما لو وقع منك ما كنت تصنع؟ فقال: هي ثلاث كما قال، لا تحمل له حتى تنكح زوجاً غيره، فرأيت شخصاً قد قام في آخر الناس ورفع صوته، وقال بسوء أدب يخاطب الرسول ﷺ يقول: يا هذا - بهذا اللفظ - لا نحكمك بإمضاء الثلاث، ولا بتصويك حكم أولئك الذي ردوها إلى واحدة،

فأمر وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم، ورفع صوته بصيحج : هي ثلاث كما قال، لا تحمل له حتى تنكح زوجاً غيره، تستحلون الفروج، فما زال ﷺ يصيح بهذه الكلمات، حتى أسمع من كان في الطواف من الناس، وذلك المتكلم يذوب ويضمحل، حتى ما بقي منه على الأرض شيء، فكننت أسأل عنه: من هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله - واستيقظت. (ف ح ٤ / ٥٥٢ - كتاب المبشرات).

عدة المطلقة ومعنى القرء:

وكننت أراه ﷺ في هذه السنة - تسع وتسعين وخمسة - في النوم أيضاً، فكننت أقول له: يارسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والقرء عند العرب من الأضداد، يطلقونه ويريدون به الحيض، ويطلقونه ويريدون به الطهر، وأنت أعرف بما أنزل الله عليك، فما أراد الله به هنا؟ الحيض أو الطهر؟ فكان ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء واكلوا مما رزقكم الله، يكني، فكننت أقول: يارسول الله فإذاً هو الحيض، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء واكلوا مما رزقكم الله، ثلاث مرات، وكننت أفهم منه ذلك الوقت أنه يريد بقوله «إذا فرغ قرؤها» إذا انقطع عنها الدم «فأفرغوا عليها الماء» أي مروها بالغسل «واكلوا مما رزقكم الله» كناية عن الجماع واستيقظت. (ف ح ٤ / ٥٥٢) إيجاز البيان/ سورة البقرة آية رقم ٢٢٩

الاشتغال بتقييد الحديث والأخذ به وترك الرأي:

كان جملة أصحابنا - قبل أن أعرف العلم - قد رغبوا وقصدوني معرضين على قراءة كتب الرأي، وأنا لا علم لي بذلك ولا بالحديث، فرأيت نفسي في المنام وكأني في فضاء واسع، وجماعة بأيديهم السلاح يريدون قتلي، ولا ملجأ معي أوي إليه، فرأيت ربوة ورسول الله ﷺ عليها واقف، فلجأت إليه، فألقى ذراعه عليّ وضمني ضمّاً عظيماً، وقال لي: يا حبيبي استمسك بي لتسلم، فنظرت إلى هؤلاء الأعداء، فلم أر منهم على وجه الأرض أحداً، فمن ذلك الوقت اشتغلت بتقييد الحديث^(١). (كتاب المبشرات)

(١) راجع رؤيا الشيخ للإمام مالك ص ٧٧.

يؤكد رؤيا الشيخ فيما بعد قوله : أخبرني القاضي عبد الوهاب الأزدي الإسكندري
بمكة ، سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، قال : رأيت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام ،
فسألته ما رأيت؟ فذكر أشياء ، منها قال : رأيت كتباً مرفوعة ، فسألت : ما هذه الكتب
المرفوعة؟ فقبل لي : هذه كتب الحديث ، فقلت : وما هذه الكتب المرفوعة؟ فقبل لي : هذه
كتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها - فرأيت في الأمر شدة . (لح ٣ / ٦٩ - كتاب الميشرات)

أوقات الصلاة :

رأيت النبي ﷺ بين اليقظة والنوم ويده ميزان الشمس ، فرمى به وقال : بدعة
ملعوننة ، صلوا كما شرع لكم . (كتاب الميشرات)

أخذ العلوم غير الأحكام

من رسول الله ﷺ وغيره من الرسل عليهم السلام في الرؤيا

دعاء:

هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام، يدعو به بعد فراغ القارىء عليه من كتاب صحيح البخاري، سنة تسع وتسعين وخمسة مائة بمكة، بين باب الحزورة وباب أجياد: اللهم أسمعنا خيراً وأطلعنا خيراً، وارزقنا اللهم العافية وأدمها لنا، واجمع اللهم قلوبنا على التقوى، ووفقنا لما تحب وترضى، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. (ف ح ٤ / ٥٥٢ - كتاب المبشرات).

ترتيب خلق العالم:

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه^(١)، وأوقف وجودها على توجه كلمه، والصلاة على سر العالم ونكته، ومطلب العالم وبغيته^(٢)، السيد الصادق، المندرج إلى ربه الطارق، المخترق به السبع الطرائق، ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق، فيما أبدع من الخلائق، الذي شاهده عند إنشائي هذه الخطبة في عالم حقائق المثال، في حضرة الجلال، مكاشفة قلبية، في حضرة غيبية، ولما شهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً معصوماً المقاصد، محفوظ المشاهد، منصوراً مؤيداً، وجميع الرسل بين يديه مصطفون، وأمه التي هي خير أمة عليه ملتفون، والصدّيق على يمينه الأنفس، والفاروق على يساره الأقدس،

(١) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية ص ٣٦٢ طبعة أولى - ص ٤٠٩ طبعة ثانية.

(٢) ألا تكفي هذه الصلاة والرؤيا التي وردت في مقدمة الفتوحات المكية، في الرد على كل ما جاء به الإمام ابن تيمية ومقلديه عن الشيخ الأكبر ١١٩.

والحتم بين يديه قد جثا، يخبره بحديث الأئمة^(١)، وعليّ^(٢) يترجم عن الحتم بلسانه، وذو النورين مشتعل برداء حياته مقبل على شانه، فالتفت السيد الأعلى، والمورد العذب الأجل، والنور الأكشف الأجل، فرآني وراء الحتم، لا شراك بيني وبينه في الحكم، فقال له السيد: هذا عديلك، وابنك وخليلك، انصب له منبر الطرفاء بين يدي، ثم أشار إليّ، أن قم يا محمد عليه فائس على من أرسلني وعليّ، فإن فيك شعرة مني^(٣)، لا صبر لها عني، هي السلطانة في ذاتيتك، فلا ترجع إليّ إلا بكسليتك، ولا بد لها من الرجوع إلى اللقاء، فإنها ليست من عالم الشقاء، فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا ساعد، وكان ممن شكرك في الملأ الأعلى وحمد، فنصب الحتم المنبر، في ذلك المشهد الأخطر، وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر، هذا هو المقام المحمدي الأظهر، من رقي فيه فقد ورثه، وأرسله الحق حافظاً لحرمة الشريعة وبعثه، ووهبت في ذلك الوقت مواهب الحكم، حتى كآني أوتيت جوامع الكلم، فشكرت الله عز وجل وصعدت أعلاه، وحصلت في موضع وقوفه^(٤) ومستواه، ويسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض فوقت عليه. [حتى لا أباشر الموضع الذي باشره^(٥) بقدميه، تنزيهاً له وتثريفاً، وتثنيهاً لنا وتعريفاً، أن المقام الذي شاهده من ربه، لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه، ولولا ذلك لكشفنا ما كشف، وعرفنا ما عرف، ألا ترى من تقفو أثره، لتعلم خبره، لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه، ولا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه، فإنه شاهد مثلاً تريباً مستويلاً لا صفة له، فمشى عليه، وأنت على أثره لا تشاهد إلا أثر قدميه، وهنا سر خفي إن بحثت عليه، وصلت إليه، وهو من أجل أنه إمام، قد حصل له الأمام، لا يشاهد أثراً ولا يعرفه، فقد كشفت ما لا يكشفه، وهذا المقام قد ظهر، في إنكار موسى صلى الله على سيدنا وعليه وعلى الخضر] فلما وقفت ذلك الموقف الأسنى، بين يدي من كان من ربه في ليلة إسرائه قاب قوسين أو أدنى، قمت مقنعاً خجلاً، ثم أيدت بروح القدس فافتتحت مرتجلاً:

(١) يعني مريم عليها السلام.

(٢) مقام كمال العبادة لا ينالك ذوقاً، وقد حصل لنا منه شعرة، وهذا كثير لمن عرف، فما عند الخلق منه إلا ظله.

أنزل عليّ معالم الأسماء
بمحماسد السراء والضراء

جردته من دورة الخلقه
ما بين طينة خلقه والمساء (١)
وعسقت آخره على الإبداء
دهراً يتساجيكم بفار حراء
جبريل المخصوص بالإنباء
سر العبيد وخاتم النبأ
صدقاً نطقت فأنت ظل ردائي
فلقد وهبت حقائق الأشياء
لفؤادك المحفوظ في الظلماء
يأتيسك مملوكساً بغير شراء

يامنزل الأيسات والأنبياء
حتى أكون لحمد ذاتك جامعاً
ثم أشرت إليه ﷺ :

ويكون هذا السيد العَلَم الذي
وجعته الأصل الكريم وآدم
ونقلته حتى استدار زمانه
وأقمته عبداً ذليلاً خاضعاً
حتى أتاه مباشرة من عندكم
قال السلام عليك أنت محمد
يا سيدي حقاً أقول؟ فقال لي
فأحمد وزد في حمد ربك جاهداً
وانثر لنا من شأن ربك ما انجلى
من كل حق قائم بحقيقة

ثم شرعت في الكلام بلسان العلام ، فقلت وأشرت إليه ﷺ : حمدت من أنزل عليك الكتاب المكنون ، الذي لا يمسه إلا المطهرون ، المنزل بحسن شيمك ، وتزبيك عن الآفات وتقديسك ، فقال في سورة ن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجرأ غير ممنون ، وإنك لعل خلق عظيم ، فستبصر ويبصرون﴾ ثم غمس قلم الإرادة في مداد العلم ، وخط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون ، كل ما كان وما هو كائن وسيكون ، وما لا يكون ، مما لو شاء - وهو لا يشاء - أن يكون ، لكان كيف يكون ، من قدره المعلوم الموزون ، وعلمه الكريم المخزون ، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، ذلك الله الواحد الأحد فتعالى عما أشرك به المشركون ، فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى ، دون غيره من الأسماء ، إني أريد أن أخلق من أجلك

(١) يشير إلى قوله ﷺ : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وإلى قوله ﷺ في حديث جابر بن عبد الله : «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» .

يا محمد العالم، الذي هو ملكك^(١)، فأخلق جوهرة الماء، فخلقتها دون حجاب العزة الأحمى، وأنا على ما كنت عليه ولا شيء معي في عما، فخلق الماء سبحانه برّدة جامدة كالجوهرة في الاستدارة والبياض، وأودع فيها بالقوة ذوات الأجسام وذوات الأعراض، ثم خلق العرش واستوى عليه اسمه الرحمن، ونصب الكرسي وتدلّت إليه القدمان، فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة فذابت حياء، وتحللت أجزاءها فسالت ماء، وكان عرشه على هذا الماء، قبل وجود الأرض والسماء، وليس في الوجود إذ ذاك إلا حقائق المستوى عليه والمستوي والاستواء، فأرسل النفس فتموج الماء، ورجع القهقري يريد نبعه^(٢)، وترك زبده بالساحل الذي أنتجه، فهو محضة ذلك الماء، الحاروي على أكثر الأشياء، فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الأرض، مستديرة النشاء مدحية الطول والعرض، ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتحها، ففتق فيه السموات العلى، وجعلها محل الأنوار ومنازل الملا الأعلى، وقابل بنجومها المزينة لها النيرات، ما زين به الأرض من أزهار النبات، وتفرد تعالى لأدم وولديه^(٣) بذاته جلّت عن التشبيه ويديه، فأقام نشأة جسدية وسواها تسويتين، تسوية انقضاء أمده، وقبول أبده، وجعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود وأخفى عينها، ثم نبه عباده عليها بقوله تعالى ﴿بغير عمد ترونها﴾ فإذا انتقل الإنسان إلى برزخ الدار الحيوان، مارّت قبة السماء وانشقت فكانت شعلة نار سيات كالدهان، فمن فهم حقائق الإضافات، عرف ما ذكرنا له من الإشارات، فيعلم قطعاً أن قبة لا تقوم من غير عمد، كما لا يكون والد من غير أن يكون له ولد، فالعمد هو المعنى الماسك، فإن لم ترد أن يكون الإنسان فاجعله قدرة المالك، فتبين أنه لا بد من ماسك يمسكها، وهي مملكة فلا بد لها من مالك يملكها، ومن مسكت من أجله فهو ماسكها، ومن وجدت له بسببه فهو مالكها، ولما أبصرت حقائق

(١) إشارة إلى الحديث القدسي: «يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي، فلا تهتك ما خلقت من أجلي لما خلقت من أجلك» إشارة قوله تعالى: «يا ابن آدم» المقصود به رسول الله ﷺ.

(٢) نبع كل شيء وسطه وهو بفتحتين.

(٣) هكذا في الأصل ولعلها «والديه» يشير بها إلى التراب والماء الذي خلق منها آدم عليه السلام.

السعداء والأشقياء، عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود - وهي حالة الإنشاء - حسن النهاية بعين الموافقة والهداية، وسوء الغاية بعين المخالفة والغواية، سارعت السعيدة إلى الوجود وظهر من الشقية التثبط والإبابة، ولهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال ﴿لَوْلَاكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ يشير إلى تلك السرعة، وقال في الأشقياء ﴿فَنَسِطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ يشير إلى تلك الرجعة، فلولا هبوب تلك النفحات على الأجساد، ما ظهر في هذا العالم سالك غيري ولا رشاد، ولتلك السرعة والتثبط أخبرتنا صلى الله عليك، وأن رحمة الله سبقت غضبه هكذا نسب الراوي إليك، ثم أنشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه، وأظهر ملائكة التسخير على عدد خلقه، فجعل لكل حقيقة اسماً من أسمائه تعبدته وتعلمته، وجعل لكل سر حقيقة ملكاً يخدعه ويلزمه، فمن الحقائق من حجته رؤية نفسه عن اسمه، فخرج عن تكليفه وحكمه، فكان له من الجاحدين، ومنهم من ثبت الله أقدامه، واتخذ اسمه إمامه، وحقق بينه وبينه العلامة، وجعله أمامه، فكان له من الساجدين، ثم استخرج من الأب الأول أنوار الأقطاب، شموماً تسبح في أفلاك المقامات، واستخرج أنوار النجباء، نجوماً تسبح في أفلاك الكرامات، وثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان، فأنحفظ بهم الثقلان، فأزالوا ميد الأرض وحركتها، فسكنتها فازينت بحلي أزهارها وحلى نباتها وأخرجت بركتها، فتتمت أبصار الخلق بمنظرها البهي، ومشأهم بريحها العطري، وأحناكهم بمطعمها الشهي، ثم أرسل الأبدال السبعة إرسال حكيم عليهم، ملوكاً على السبعة الأقاليم، لكل بدل إقليم، ووئد للقطب الإمامين، وجعلها إمامين على الزمامين، فلما أنشأ العالم على غاية الإيقان، ولم يبق أبداع منه كما قال الإمام أبو حامد في الإمكان، وأبرز جسديك صلى الله عليك للعيان، أخبر عنك الراوي أنك قلت يوماً في مجلسك «إن الله كان ولا شيء معه بل هو على ما عليه كان» وهكذا هي صلى الله عليك حقائق الأكوان، فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق، إلا بكونها سابقة وهن لواحق، إذ من ليس مع شيء، فليس معه شيء، ولو خرجت الحقائق على غير ما كانت عليه في العلم، لانهزت عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم، فالحقائق الآن في الحكم، على ما كانت عليه في العلم، فلنقل كانت ولا شيء معها في وجودها، وهي الآن على ما كانت عليه

في علم معبودها، فقد شمل هذا الخبر الذي أطلق على الحق جميع الخلق، ولا تعترض بتعدد الأسباب والمسببات، فإنها ترد عليك بوجود الأسماء والصفات، وأن المعاني التي تدل عليها مختلفات، فلولا ما بين البداية والنهاية من سبب رابط، وكسب صحيح ضابط، ما عرف كل واحد منهما بالآخر، ولا قيل على حكم الأول. . . يثبت الآخر، وليس إلا الرب والعبد وكفى، وفي هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود وشفاء، ألا ترى أن الخاتمة عين السابقة؟ وهي كلمة واجبة صادقة، فما للإنسان يتجاهل ويعصى، ويمشي في دجنة ظلها، حيث لا ظل ولا ما، وأن أحق ما سُمِعَ من النبا، وأتى به هدهد الفهم من سبب، وجود الفلك المحيط، الموجود في العالم المركب والبسيط، المسمى بالمهباء، وأشبه شيء به الماء والهواء، وإن كانا من جملة صوره المفتوحة فيه، ولما كان هذا الفلك أصل الوجود، وتجلي له اسمه النور من حضرة الجود، كان الظهور، وقيلت صورتك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول فيض ذلك النور، فظهرت صورة مثلية، مَشَاهِدُهَا عينية، وَمَشَارِبُهَا غيبية، وجنتها عدنانية، ومعارفها قلمية، وعلومها يمينية، وأسرارها مداوية، وأرواحها لوحية، وطبقتها آدمية، فانت أب لنا في الروحانية، كما كان - وأشرت إلى آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع - أباً لنا في الجسمية، والعناصر له أم ووالد^(١)، كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد، فلا يكون أمر إلا عن أمرين، ولا نتيجة إلا عن مقدمتين، أليس وجودك عن الحق سبحانه وكونه قادراً موقوفاً؟ وأحكامك عليه من كونه عالماً موصوفاً، واختصاصك بأمر دون غيره مع جوازه عليك عليه من كونه مريداً معروفاً، فلا يصح وجود المدوم عن وحيد العين، فإنه من أين يعقل الأين؟ فلا بد أن تكون ذات الشيء أيضاً لأمر ما، لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى، وفي معرفة الصفة والموصوف، تبيين حقيقة الأين المعروف، وإلا فكيف تسأل صلى الله عليك بأين؟ وتقبل من المسؤول فاء الظرف، ثم تشهد له بالإيمان الصرف؟ وشهادتك حقيقة لا مجاز، ووجوب لا جواز، فلولا معرفتك صلى الله عليك بحقيقة ما، ما قبلت قولها - مع كونها خرساء - في السماء، ثم بعد أن أوجد العوالم اللطيفة والكثيفة، ومهد المملكة وهياً المرتبة الشريفة، أنزل في أول دورة العذراء الخليفة، ولذلك جعل سبحانه مدتنا

(١) هذا يؤكد إشارتنا رقم ١ ص ٢٥ .

في الدنيا سبعة آلاف سنة^(١)، وتحمل بنا في آخرها حال فناء بين نوم وِسنة، فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق، وتغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق. فترجع الدولة للأرواح، وخلفتها في ذلك الوقت طائر له ستائة جناح، وترى الأشباح في حكم التبع للأرواح، فيتحول الإنسان في أي صورة شاء، لحقيقة صحت له عند البعث من القبور في الإنشاء، وذلك موقوف على سوق الجنة، سوق اللطائف والمنة، فانظروا رحمكم الله، وأشرت إلى آدم، في الزمردة البيضاء، قد أودعها الرحمن في أول الآباء، وانظروا إلى النور للمين، وأشرت إلى الأب الثاني الذي سماه مسلمين، وانظروا إلى اللجين الأخلص، وأشرت إلى من أبرأ الأكمه والأبرص، بإذن الله كما جاء به النص، وانظروا إلى جمال حمرة ياقوتة النفس، وأشرت إلى من يبيع بثمان بخس، وانظروا إلى حمرة الأبريز، وأشرت إلى الخليفة العزيز، وانظروا إلى نور الياقوتة الصفراء في الظلام، وأشرت إلى مَنْ فضل بالكلام، فمن سعى إلى هذه الأنوار، حتى وصل إلى ما يكشفه لك طريقها من الأسرار، فقد عرف المرتبة التي لها وجد، وصح له المقام الإلهي وله سُجود^(٢)، فهو الرب المربوب، والمحجب المحبوب.

انظر إلى بدء الوجود وكن به	فطناً ترّ الجود القديم المحدثا
والشيء مثل الشيء إلا أنه	أبداه في عين العوالم محدثا
إن أقسم السرائي بأن وجوده	أزلاً فبر صادق لن يخنثا
أو أقسم السرائي بأن وجوده	عن فقدته أحسرى وكان مثلثا

ثم أظهرت أسراراً، وقصصت أخباراً، لا يسع الوقت إيرادها، ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها، فتركها موقوفة على رأس مهيعها، خوفاً من وضع الحكمة في غير موضعها -

(١) يراجع حديث وهب بن منبه وفيه يقول: «وعمر الدنيا سبعة آلاف» فهل السنون هي من سني الأرض؟ أم سني القمر أو كوكب آخر؟ لم يحده الشيخ.

(٢) يشير إلى سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وأن السجود لا يكون إلا لله، وأن سجود الملائكة كان لله تعالى، وأن آدم كان للملائكة كالقيلة لنا، وهو ما قيل للشيخ في رؤياه من (٤٣) من سجد لغير الله عن أمر الله فقد أدى قرية.

ثم رددت من ذلك المشهد النومي العلي، إلى العالم السفلي، فجعلت ذلك الحمد المقدس
خطبة الكتاب^(١). (ف ح ٢/١)

الحمد لله :

أرسل رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه إليّ أمراً بالكلام في المنام، بعد ما وقعت
شفاعتي على جماعتي، ونجا الكل من أسر الهلاك، وقرب المنبر الأسنى، وصعدت عليه عن
الإذن العسالي المحمدي الأسمى، بالاختصار على لفظة «الحمد لله» خاصة، ونزل التأييد
ورسول الله ﷺ عن يعين المنبر قاعد، فقال العبد بعد ما أنشد وحده وأثنى ويسملي: حقيقة
«الحمد» هي العبد المقدس المنزه، «الله» إشارة إلى الذات الأزلية، وهو مقام انفصال وجود
العبد من وجود الإله، ثم غيبه عن وجوده بوجوده الأزلي وأوصله به، فقال «الله» فاللام
الداخل على قوله «الله» الخافضة له، هي حقيقة المألوه في باب التواضع والذلة، وهي من
حروف المعاني لا من حرف الهجاء، ثم قلمها سبحانه على اسم نفسه تشرافاً له، وتبهماً
وتنزهاً لمعرفتها بنفسها، وتصديقاً لتقديم النبي ﷺ إياها في قوله: «من عرف نفسه عرف
ربه»، فقدم معرفة النفس على معرفة الرب، ثم عملت في الاسم «الله» لتحقيق الاتصال
وتكيتها من المقام، ولما كانت في مقام الوصلة، ربما توهم أن الحمد غير اللام، فخفض
العبد إتباعاً لحركة اللام فقرأ «الحمد لله» بخفض الدال، فكان لفظة «الحمد» بدلاً من
اللام، بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة، فالحمد هو وجود اللام، واللام هي الحمد،
فإذا كانا شيئاً واحداً، كان الحمد في مقام الوصلة مع الله، لأنه عين اللام، فكان معنى،
كما كانت اللام لفظاً ومعنى، ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية، ثم أحياناً يفنيها عن
نفسها فناء كلياً، ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأولية، ثم يبقى حقيقتها في الآخرة فيقول
«الحمد لله» برفع اللام، إتباعاً لحركة الدال، وهذا مما يؤيد أن الحمد اللام، وهو المعبر عنه
بالرداء والثوب^(٢) إذ كان هو محل الصفات واقتراق الجمع، فغاية معرفة العباد أن تصل إليه
إن وصلت، والحق وراء ذلك كله، أو قل ومع ذلك كله، فلما رفعها بالفناء عنها ابتداء،

(١) يعني الفتوحات المكية.

(٢) راجع كتابنا «الإنسان الكامل» الإنسان الكامل هو الرداء.

أراد أن يُعرّفها مع فنائها أنها ما برحت من مقامها، فجعلها عاملة، وجعل رفعها عارضاً في حق الحق، فأبقى الهاء مكسورة، تدل على وجود اللام في مقام خفض العبادة، ولهذا شددت اللام الوسطى بلفظة «لا» أي ذات الحق ليست ذات العبد، وإنما هي حقيقة المثل لتجلي الصورة^(١)، ثم الهاء تعود على اللام لما هي معمولها، فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق لم تعمل فيها اللام، بل هو العامل في كل شيء، فإذا كانت اللام هي نفس الحمد، والهاء معمول اللام، قالها هي اللام، وقد كانت اللام هي الحمد، فالهاء الحمد بلا مزيد، وقد قلنا: إن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد موضع الفصل - فخرج من مضمون هذا الكلام، أن الحمد هو قوله «الله» وأن قوله «الله» هو قوله «الحمد». فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة، إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم^(٢)، فأحدث المثل على الصورة، وصار الموحد مرآة، فلما تجلّت صورة المثل في مرآة الذات، قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها «احمدي من رأيت» فحمدت نفسها، فقالت «الحمد لله» فقال لها: «يرحك ربك يا آدم لهذا خلقتك» فسبقت رحمته غضبه، ولهذا قال عقيب قوله: «الحمد لله» ورب العالمين الرحمن الرحيم» فقدم الرحمة، ثم قال: «غير المغضوب عليهم» فأخر غضبه، فسبقت الرحمة الغضب في أول افتتاح الوجود، فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة، ثم رحم بعد ذلك، فجاءت رحمتان بينهما غضب، فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنها مثلان، فانضمت هذه إلى هذه، فانعدم الغضب بينهما، كما قال بعضهم في يسرين بينها عسر:

إذا ضاق عليك الأمر فكسر في ألم تشرح
فعر بين يسرين إذا دكرته فافرح

(فح ١/١١١)

أفضلية الملائكة على الإطلاق:

يقول الشيخ رضي الله عنه، إن النبي ﷺ قام عندما رأى جنازة يهودي، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليس معها الملك»؟ وقال مرة أخرى: إن الموت فزع، وقال مرة

(١) تشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن رسول الله ﷺ «خلق الله آدم على صورته».

(٢) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية «إن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر».

أخرى: أليست نفساً؟ ولكل قول وجه، أرجى الأقوال أليست نفساً؟ لمن عقل، فكان قيامه مع الملك، وفي هذا الحديث قيام المقضول للمفاضل عندنا، وعند من يرى أن الملائكة أفضل من البشر على الإطلاق، هكذا قال لي رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها، في هذه المسألة الطفولية التي بين الناس، واختلافهم في فضل الملائكة على البشر، فإني سألت رسول الله ﷺ في الواقعة، فقال لي: إن الملائكة أفضل، فقلت له: يارسول الله فإن سئلت ما الدليل على ذلك فما أقول؟ فأشار إليّ أن قد علمتم أي أفضل الناس، وقد صح عندكم وثبت - وهو صحيح - أي قلت عن الله تعالى أنه قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ خير منهم» وكم ذاكر الله تعالى ذكره في ملأ أنا فيهم، فذكره الله في ملأ خير من ذلك الذي أنا فيهم، فما سررت بشيء سروري بهذه المسألة، فإنه كان على قلبي منها كثير، فإن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف، فقالت بطريق القوة والفكر الفاسد: إن الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقاً، ولم تقيد صنفاً ولا مرتبة من المراتب، التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره، وهم مسؤولون مؤخذون بذلك عند الله، والعالم بالله المكمل، هو الذي يحمي نفسه أن يجعل الله عليه حجة بوجه من الوجوه، ومن أراد أن يسلم من ذلك فليقف عند الأمر والنهي، وليرتقب الموت، ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة، فالملأ الأعلى عند الله أشرف من آدم عليه السلام، ومع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم من علم الأسماء، وقد أوضحت دليل تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على أعلى البشر، أعطاني ذلك الدليل رسول الله ﷺ في رؤيئة أريتها، وقبل تلك الرؤيئة ما كنت أذهب إلى مذهب جملة واحدة، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فلو لم يكن من شرف الملائكة على سائر المخلوقات، إلا جمع الضمير في يصلون بينهم وبين الله لكفاهم، ما احتجج بعد ذلك إلى دليل آخر، فإن فضل آدم عليه السلام لم يعم، هكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة أريتها، وهكذا أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام شيخنا أبا مدين بأن فضل آدم لم يعم، فالإنسان أكمل نشأة والملك أكمل منزلة، كذا قال لي رسول الله ﷺ في الواقعة.

(فح ١ / ٥٢٧ - ح ٢ / ٦١، ٢٣٣، ٤٢٣ - ح ١ / ٦٤٠)

أقل الجمع :

لما وصلت العدد والمعدودات نمت، فرأيت رسول الله ﷺ في منامي وأنا بين يديه، وقد سألتني مسائل - وهو يسمع - ما أقل الجمع في العدد؟ فكنت أقول له: عند الفقهاء اثنان، وعند النحويين ثلاثة، فقال ﷺ: أخطأ هؤلاء وهؤلاء، فقلت له: يا رسول الله فكيف أقول؟ قال لي: إن العدد شفع ووتر، يقول الله تعالى ﴿والشفع والوتر﴾ والكل عدد فميز، ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة ورمى بها على حصير كنا عليه، فرمى درهمين بمعزل، ورمى ثلاثة بمعزل، وقال لي: ينبغي لمن سئل في هذه المسألة أن يقول للسائل: عن أي عدد تسأل: عن العدد المسمى شفعاً، أو عن العدد المسمى وترأ؟ ثم وضع يده على الاثني الدرهمين وقال: هذا أقل الجمع في عدد الشفع، ثم وضع يده على الثلاثة وقال: هذا أقل الجمع في عدد الوتر، هكذا فليجب من سئل في هذه المسألة، كذا هو عندنا، واستيقظت فقيدتها في هذا الباب كما رأيتهما حين استيقظت، وخرج عن ذكرى مسائل كثيرة، كانت بيني وبينه ﷺ، مما يتعلق بغير هذا الباب، وأنا في غاية السرور والفرح برؤيته ﷺ، ووجدت في خاطري عند انتباهي صحة النبي عن البتيرا^(١)، فإنه تكلم في طريقه، فما رأيت معلماً أحسن منه. (فاح ٢/٢١٥)

مشاهدة عظمة الله في كل شيء:

اعلم يا أخي أنه ليلة تقيدي لبقية هذا المنزل، من بركاته رأيت رسول الله ﷺ وقد استلقى على ظهره، وهو يقول: «ينبغي للعبد أن يرى عظمة الله في كل شيء»، حتى في المسح على الخفين ولباس القفازين^(٢) وكنت أرى في رجليه ﷺ نعلين أسودين جديدين، وفي يديه قفازين، وكأنه يشير إليّ مسروراً بما وضعت في هذا المنزل من العلم بما يستحقه جلال الله، ثم يقول: ما دام البدر طالماً فالنفوس في البساتين نائمة، وفي جواسقها^(٣) آمنة، فإذا كان الظلام ولم يطلع البدر خيف من اللصوص، فينبغي أن يدخل الإنسان المدينة حذراً من اللصوص، فكنت أفهم عنه من هذا الكلام، أنه يريد أن النفوس إذا كان شهود الحق

(١) البتيرا هي صلاة الوتر ركعة واحدة دون أن يسبقها شفع.

(٢) الجوسق: القصر.

غالباً عليها، محققة به وفيه عند من يدخل بساتين معرفة الله، والكلام في جلاله على ضروبه وكثرة فنونه، فشبّه الحق بالبدر، وشبه ما تحويه البساتين من ضروب الفواكه، بما تحوي عليه الحضرة الإلهية من معارف الأسماء الإلهية وصفات الجلال والتعظيم، وفهمت منه في المنام من قوله: «إذا غاب البدر» وذلك شهود الحق في الأشياء والحضور معه والنية الخالصة فيه، كان ظلام الجهل والغفلة عن الله والخطأ، وخيف من اللصوص يريد الشبه المضلة، الطارئة لأصحاب النظر الفكري وأصحاب الكشف الصوري، فذكر ذلك خوفاً على النفوس إذا اشتدت في الكلام على ما يستحقه جناب الحق، فليدخل المدينة، يريد فليتحصن من ذلك بالشرع الظاهر، وليلزم الجماعة وهم أهل البلد، فإن يد الله مع الجماعة، ثم رأيت ﷺ يتقلق قلقاً عظيماً بجميع أعضائه، لعظيم ما هو فيه من السرور بما يتضمنه هذا المنزل من المعرفة، وكأننا في الليل والبدر طالع حتى كأننا منه في النهار، أرى البدر يضيء في كبد السماء، وقائل يقول: لم ير رسول الله ﷺ في قلق عظيم لما يرد عليه من الله ويشهده، واستيقظت فقيدت الرؤيا في هذا المنزل، واستبشرت بما رأيت، لله الحمد على ذلك. (ف ح ٢ / ٦٦٨)

رحمة رسول الله ﷺ للعالمين:

رأيت في الكشف الصحيح والمشهد الصريح، ورسول الله ﷺ معي، وقد أمرتعالى بقتل الدجال لدعواه الألوهية، وهو يكي ويمتدح عنه فيما يعاقب به من أجله، وأنه ما بيده في ذلك من شيء، فبكاؤه ﷺ على ما سبق من العلم من شقاء الدجال وأبي جهل، مثل الألم في نفس الراحم الذي ما له اقتدار على تنفيذ رحمته للمناع. (ف ح ٣ / ٤٩٧)

تنبيه على مخالفة شرعية:

لقد رأيت رسول الله ﷺ في النوم ميتاً، في موضع عاينته بالمسجد الجامع بإثبيلية، فسألت عن ذلك الموضع فوجدته منصوباً، فكان ذلك موت الشرع فيه حيث لم يملك بوجه مشروع. (ف ح ٤ / ٣٠٢).

تنبيه وتحذير من فتنة القبر:

رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من

فتنة الدجال» ثم استقبال الكعبة وحسر كُمّيه عن ذراعيه، وفرش سجادة وصل عليها ركعتين، وقمت عن يمينه وأدركت الركعة الثانية. (كتاب المبشرات).

تفسير قرآن :

رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: قوله تعالى ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ إلى آخر الآية، ما هذه الشجرة؟ فقال: كنى عن نفسه سبحانه، لذلك نفى عنها الجهات، فإنه لا يتقيد بالجهات، والغرب والشرق كناية عن الفرع والأصل، فهو الله خالق المواد وأصلها، ولولا هو ما كانت مادة، في كلام طويل وتفصيل واضح، وكان قبل أن يقول لي هذا الكلام يقول لي: أنت تعرف ما هي الشجرة، وما كان لي علم بها، فلما قال: أنت تعرفها، فكنت أقول له: نعم أعرفها وأحب أن أسمعها من فيك صلى الله عليك، وكان يقول ما ذكرته واستيقظت. (كتاب المبشرات)

نصيحة وعتاب :

لقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسين في المنام بتلمسان، وكان قد بلغني عن رجل أنه يقع في الشيخ أبي مدين، وكان أبو مدين من أكابر العارفين، وكنت اعتقد فيه على بصيرة، فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقال لي رسول الله ﷺ: لم تكره فلاناً؟ فقلت: لبغضه في أبي مدين، فقال لي: أليس يحب الله ويحبني؟ فقلت: بلى يارسول الله إنه يحب الله ويحبك، فقال لي: لم بغضته لبغضه أبا مدين وما أحبته لحبه الله ورسوله؟ فقلت له: يارسول الله من الآن، إني والله زلت وغفلت، والآن فأنا تائب، وهو من أحب الناس إليّ، فلقد نهيت ونصحت صلى الله عليك - فلما استيقظت أخذت معي ثوباً له ثمن كبير، أو نفقة لا أدري، وركبت وجئت إلى منزله فأخبرته ما جرى، فبكى وقبل الهدية، وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله، فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين وأحبه، فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين، مع قوله بأن أبا مدين رجل صالح، فسألته، فقال: كنت معه ببجاية، فجاءته ضحايًا في عيد الأضحى، فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً، فهذا سبب كراهتي فيه ووقوعي، والآن قد نبت؛ فانظر ما أحسن تعليم النبي ﷺ، فلقد كان رفيقاً رقيقاً. (ف ح ٤ / ٤٩٨)

تحريض على حفظ القرآن :

رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد ماج الناس، فسمعت قراءة القرآن في عليين، فقلت: من هؤلاء الذين يقرأون القرآن في مثل هذا الوقت، ولا خوف عليهم؟ فقبل لي: هم حملة القرآن، فقلت: وأنا منهم؛ فأدلي لي مسلم، فرقيت فيه إلى غرفة في عليين، فيها كبار وصغار يقرأون على رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فقعدت بين يديه وافتتحت قراءة القرآن آمناً لا أعرف خوفاً، ولا هولاً ولا حساباً، ولا أدري ما هم الناس فيه من الكروب في الحشر. (كتاب المبشرات - ف ح ٤ / ٧٧)

ترغيب في قيام الليل :

رأيت كأني بمكة وكأني مع رسول الله ﷺ في دار واحدة، وبينى وبينه وصلة عظيمة، حتى كأني هو وكأنه أنا، وكنت أرى له ابناً صغيراً، وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه أحد ليراه، أخرج معه ذلك الصغير ليتبرك به الناس ويعرفوه، وكان لذلك الصغير عند الله قدراً عظيماً، فبينما نحن قعود، وإذا بقارع يقرع الباب، فخرج إليه رسول الله ﷺ والصغير معه، ثم رجع إليّ وقال لي: «إن الله أمرني أن أمشي إلى المدينة وأصلي المغرب بشرقيها، ثم أخرج، وأنا لا أفقده وعيني لا تزال عليه، وكأني ذاته، فلا أنا هو ولا أنا غير، فبينما هو بين مكة والمدينة، إذ رأى خيراً عظيماً ينزل، فقال: يا جبريل، ما هذا الخير العظيم الذي لم أر مثله؟ فقال: نزل من الفردوس الأعلى على المتجهدين، وأنى يكون لك أن تكون منهم؟ ثم أخذ جبريل يثني على المتجهدين من الله تعالى بثناء ما سمعت مثله، وكان عليه الصلاة والسلام واللّه من أعلاهم وأفضلهم، فعلمت أن ذلك في حقي، وقوله وأنى يكون لك أن تكون منهم، خطاب يرجع إليّ، واستيقظت. (كتاب المبشرات)

كتاب فصوص الحكم :

رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة رأيتها في العشر الأخير من محرم سنة سبع وعشرين وستائة بمحروسة دمشق، وببده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذ

وأخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا^(١) (مقدمة فصوص الحكم)
فضل آدم لم يعم:

أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها أن فضل آدم لم يعم. (ف ح ٣ / ٣٥٢)

اجتماع الشيخ بعيسى عليه السلام:

كنت كثير الاجتماع بعيسى عليه السلام في الوقائع، وعلى يده تبت، ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ودعاني بالحبيب، وأمرني بالزهد والتجريد.
(ف ح ٢ / ٤٩)

رؤية الشيخ لجميع الأنبياء وجميع المؤمنين:

أشهدني الحق أعيان رسله كلهم البشريين، من آدم إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين، في مشهد أقيمت فيه في قرطبة سنة ست وثلاثين وخمسة، ما كلمني أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام، فإنه أخبرني بسبب جمعيتهم، ورأيت عليه السلام رجلاً ضخماً من الرجال، حسن الصورة، لطيف المحاور، عارفاً بالأمور، كاشفاً لها، وسألته عن مسألة فعرفني بها، فوقعت في الوجود كما عرفني بها^(٢). (ف ح ٣ / ٢٠٨)

(١) أثبت هذه الرؤيا كما جاءت في كتاب فصوص الحكم، وهذا الكتاب لم يذكره الشيخ في كتبه الثابت نسبتها إليه، وجاءت إشارة إلى هذا الكتاب في الديوان المنسوب إلى الشيخ رضي الله عنه، والديوان لم يأت ذكره في أي من كتب الشيخ الثابتة، فإذا صححت هذه الرؤيا، فهذا يعني أن كتاب فصوص الحكم الذي بين أيدي الناس، ليس هو الكتاب الذي كتبه الشيخ، فإن فيه الكثير مما يخالف آراء الشيخ ومذهبه، وما يناقض ما جاء في الكتب الثابتة مثل الفتوحات المكية، وكان أكثر اعتراض العلما على الشيخ مبنياً على ما جاء في هذا الكتاب الموضوع، وهو يتعارض مع ما جاء في الرؤيا من قوله صلى الله عليه وسلم: أخرج به إلى الناس ينتفعون به، ويتعارض مع ما ذكره الشيخ عن كتاب الفصوص في الديوان من أنه مبني على الرمز والغز، ويعجز عن فهمه الفطن اللبيب، وأما أن تكون الرؤيا مزودة ومدسوسة على الشيخ، حتى يتقبل الناس ما جاء في هذا الكتاب المدسوس على الشيخ، بما فيه من غث وسمين.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٢٨ طبعة أولى - ص ١٢٦ طبعة ثانية.

مبشرات أخرى

الأدب في الطواف:

رأيت - في واقعة - الناس بالحجر الأسود طائفين، وشرر النار يتطاير من أفواههم،
فأولته كلام الطائفين في الطواف يا لا ينبغي . (فح ١ / ٧٠٢)

الطبيعة:

بينما أنا أقيّد مسألة من الكلام في الطبيعة، إذ غفوت فرأيت أمي وعليها ثياب بيض
حسنة، فحسرت عنها ذيلها إلى أن بدا لي فرجها، فنظرت إليه، ثم قلت: لا يحل لي أن
أنظر إلى فرج أمي، فسترته وهي تضحك، فوجدت نفسي قد كشفت في هذه المسألة وجهاً
ينبغي أن يستر، فسترته بالفاظ حسنة بعد كشفه، قبل أن أرى هذه الواقعة، فكانت أمي
الطبيعة، والفرج ذلك الوجه الذي ينبغي ستره، والكشف إظهاره في هذا الفصل،
والتغطية بذلك الثوب الأبيض الحسن، ستره بالفاظ وعبارات حسنة، ثم أتت أيضاً كما أنا
في كلامي على الطبيعة في هذا الفصل أخذتني سنة، فرأيت كأنني على فرس عظيم، وقد
جئت إلى ضحضاح من الماء، أرضه حجارة صغار، فأردت عبوره، فرأيت أمامي رجلاً على
فرس شهباء يعبر، وإذا فيه مثل الساقية عميقة مردومة بتلك الحجارة، لا يشعر بها حتى
يغرق فيها، وإذا بذلك الفارس قد غرق فيها فرسه، وقد نشب إلى أن وصل الماء إلى كفل
فرسه، ثم خلس إلى الجانب الآخر، فنظرت من أين أعبر، فوجدت مبنياً عليه مجازاً، ذا
أدراج من الجهتين للرجالة، لا يمكن للفارس أن يصعد عليه، فيصعد فيه بأدراج متقاربة
جداً، وأعلى عرض شبر، وينزل من الجانب الآخر بأدراج، فركضت جنب فرسي، والناس
يتعجبون ويقولون: ما يقدر فرس على عبوره؛ وأنا لا أكلمهم، ففهم الفرس عني ما أريده

منه، فصعد برفق، فلما وصل إلى أعلاه وأراد الانحدار، توقف، ونضت عليه وعلى نفسي من السقوط، فنزلت من عليه وعبرت، وأخذت بعنانه وما زال من يدي، فعبّر الفرس وتخلصنا إلى الجانب الآخر، والناس يتعجبون، فسمعت بعض الناس يقولون: لو كان الإيوان بالثريا لئله رجال من فارس، فقلت: ولو كان العلم بالثريا لئله العرب، والإيوان تقليد، فكم بين عالم وبين من يقلد عالماً، فقالوا: صدق، فالعربي له العلم والإيوان، والمعجم مشهود لهم بالإيوان خاصة في دين الله، ورددت إلى نفسي، فوجدتني في مسألة في الطبيعة تطابق هذه الرؤيا، فتعجبت من هاتين الواقعتين في هذا الفصل. (ف ح ٢ / ٤٣٠)

الدنيا أم رقوب^(١):

اعلموا أن الله تعالى أطلعني في ليلة تقيدي باب مقام المراقبة - على أمر لم يكن عندي - في واقعة وقعت لي برزخية، قيل لي فيها: «لم تسمع أن الدنيا أم رقوب» قلت: «نعم» قيل لي: «فاجعل لها فصلاً في هذا الباب» فاستخرت الله على ذلك - ثم كتب الشيخ فصلاً في مدح الدنيا من حيث أنها أم. (ف ح ٢ / ٢٠٩)

مبشرة بنخاتم الأولياء الخاص:

رأيت رؤيا لنفسي وأخذتها بشرى من الله، فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ، حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام، فقال ﷺ: «مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً فأكمله إلا لبنة واحدة، فكننت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشبّه النبوة بالحائط، والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط، وهو تشبيه في غاية الحسن، فإن مسمى الحائط هنا المشار إليه، لم يصبح ظهوره إلا باللبن، فكان رسول الله ﷺ نخاتم النبيين، فكننت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسة، أرى فيها يرى النائم، الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب، لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء، وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فالتفتت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي، هو إلى الركن الشامي

(١) أم رقوب: أم أمينة وحارسة لأولادها.

أقرب، فوجدت موضع لبنتين، لبنة فضة ولبنة ذهب، ينقص من الحائط في الصفيين، في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبتين، فكنت أنا عين تينك اللبتين، وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف أنظر، وأعلم أني واقف، وأعلم أني عين تينك اللبتين، لا أشك في ذلك، وأنها عين ذاتي، واستيقظت، فشكرت الله تعالى وقلت متأولاً: إني في الاتباع في صنفي، كرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنبياء عليهم السلام، وعسى أن أكون من ختم الله الولاية بي، وما ذلك على الله بعزيز، وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط، وأنه كان تلك اللبنة، فقصصت رؤيائي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما سميت له الرائي من هو، فإله أسأل أن يتمها عليّ بكرمه، فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وأن ذلك من فضل الله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (ف ح ١/٣١٨)

تأويل الرؤيا - خاتم الأولياء^(١) لا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تلك اللبتين فيكمل الحائط، والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين، أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، ولا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول^(٢). (فصوص الحكم / حكمة شيشية)

العلم بالله :

قيل لي في واقعة : ما يُعلم من الله وما يُجهل ؟ فقلت :

العلم بالله ديني إذ أدين به والجهل بالعين إيماني وتوحيدي

(١) راجع خاتم الأولياء - كتابنا ترجمة حياة الشيخ الأكبر ص ٢٤٣ - ٢٤٨.

(٢) يريد قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ دون واسطة.

فقيل لي: صدقت، هذا قوله تعالى: ﴿وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ فما عندك في تجليته؟ فقلت:

في كل مجلي أراه حين أشهده ما بين صورة تنزيهه ومحمديد
فقيل لي: «سبحان من تنزهه عن التنزيه بالتشبيه، وعن التشبيه بالتنزيه». .
وكان بساقي دمل كنت أتألم منه من شدة وجعه، فغلب عليّ في تلك الحال شهوده
سبحانه، فقلت:

رأيت في دملي فقلت داء معضل
لا راحة ترجى ولا ضرر يقل ما أعمل
فقيل لي: «سلم»^(١) فقلت: «نعم المعلم» فسلمت وما تكلمت.
رأيت هذي السواقعة لكل علم جامعة
فما رأيت مثلها من العلوم الناقصة
وخطبت في سري فيها بأمور لا يمكنني إذاعتها، ولا تلتبس عليّ بضاعتها، غير أن
التجلي للبشر لا يكون إلا بالصور، والعمل الإلهي في البصر عند تعلق النظر، وقد
عرفت فالزم. (فح ١/ ٧٥١)

الصدق هو الإعجاز:

يقول الشيخ في القول المعجز: هو قول الحق والصدق، وكذا رأيت في الواقعة مثل
القرآن، فهو الحجية من الكلام، وسألت في الواقعة عن الإعجاز، فقيل لي: لا تخبر إلا عن
صدق وأمر واقع محقق، من غير زيادة حرف أو تزوير في نفسك، فإذا كان كلامك بهذه
الصفة كان معجزاً - فاصدق في نطقك تكن المعجز، فأسهب بعد ذلك أو أوجز، فإن الغاية
في الإعجاز، المبالغة في الإسهاب والإيجاز. (فح ٢/ ١٢٨، ٥٠٥ - ح ٤/ ٣٦٩)

الصدق صفة جامعة للشرف، عليه ذلت المعجزات كلها، ولقد سألت عن صورة
الإعجاز في القرآن، فقيل لي: كونه حق صدق، والمعارض صاحب تزوير، فالزم الصدق
أيها السالك، ترى العجب العجيب في الدارين. (كتاب التراجم/ ترجمة نور الصدق)

(١) سلم الأمر لله.

أهل المقامات الأربعة :

اعلموا وفقكم الله، أني لما شرعت في الكلام على الباب السادس والسبعين، أريت مبشرة، عرفت فيها أن الناس لا بد أن ينزل بهم أمر إلهي عارض، يحتاجون فيه إلى حمل مشقة وجهد نفسي وحسي، وقيل لي: لا تغفل في كل باب أن تدرج فيه الحروف الصغار، وتبين أن بإشباعها تكون الحروف الثلاثة، التي هي حروف العلة، وهي حروف المد واللين، وهي الحروف المركبة من علة ومعلول، ويكون كلامك فيها وإشارتك إلى الأربعة الأصناف، وهم العارفون الذين لهم العوارف الإلهية الوجودية الجودية في معرفتهم، وأهل المواقف عند الحدود الإلهية لتلقي الأدب بين كل مقامين، عند الانتقال في حال لا يتصفون فيه بالمقام الأول ولا بالثاني، وهم أهل البرازخ، وكذلك أهل الوصال والأنس، تعين ما لهم من الدرجات في كل مقام، كما تبين ما لأهل المواقف سواء، حتى لا يختلط على السالك، وكذلك أيضاً المنكرة أحوالهم، وهم الملامية الذين يعرفون ولا يُعرفون، تميزهم من أهل عوارف المعارف، وتظهر ما لهم من الكمال، وهم العلماء بالله، فهؤلاء الأربعة لا بد من تمشية أحوالهم في كل مقام، وهم العارفون، والملامية، وأهل الأنس والوصال، وأصحاب المواقف والقول وهم الأدباء، فإنك مأمور بالنصح لعباد الله عن أمر الله، والدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلما فرغ وأرد البرزخ في الواقعة، قمنا من مرفدنا وسألنا الله تعالى العصمة في القول والعمل والحال، وكنت أرى معي في هذه الواقعة صاحبنا تاج الدين عباس بن عمر السراج، وهو الذي كان ينهني عن الحق تعالى على الكلام في الحروف الصغار، التي تتولد عنها حروف العلة الثلاثة. (ف ح ٢ / ١٤٤)

مقام النبوة والرسالة مغلق :

مقام النبوة والرسالة سهل المرتقى، صعب النزول عنه، وهكذا رأيت في الواقعة ليلة أردت أن أقيد هذا الباب - ثم فصل الشيخ شرحه^(١) - فما تكلمنا إلا بما شاهدناه في الواقعة، ورأينا فيها باب اسم الرسول والنبي مغلقاً على يعني، والمعراج بأدراجه منه إلى الطريق

(١) راجع الفتوحات المكية ج ٢ باب ١٥٥ ص ٢٥٣.

الشارع الذي يمشي الناس عليه، وأنا عند الباب واقف، وليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقام لأحد، إلا ما في داخل ذلك المغلق الموثق الغلق، ومع غلقه ما ينحجب عني ما وراءه، إلا أنه لا قدم لأحد فيه إلا الكشف، ولقد طلع إلي شخص، فلما وصل بسهولة ورأه، توعر عليه التزول وحرار، ولم يقدر على الثبات فيه، فتركتي وسلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع، وراح وتركتي راجعاً، واستيقظت على هذه الحالة، فقيدت ما أودعته في هذا الباب . (ف ح ٢/ ٢٥٣)

التفاضل في العالم :

ولقد رأيت في حين تقييدي للتوحيد الثالث والعشرين - الذي يعطي التفاضل واقعة عجيبة، أعطيت رقاً منشوراً، عرضه - فيما يعطي البصر - ما يزيد على العشرين ذراعاً، وأما طوله فلا أحققه، وهو على هذا الشكل المصور في الهامش^(١)، وهو جلد واحد، جلد كبش، تنظره فتراه أبيض عند القراءة، وتنظر إليه في غير قراءة فتراه أخضر، فإذا قرأته تراه جلدأ، وإذا لم تقرأه تراه شقة، لا أدري حريراً أو كتاناً، وهو صدق أهلي، فيقال لي: هذا صدق إلهي لأهلك، ولا أسأل عن الزوج، ولا أعلم أنها خرجت عن عصمة نكاحي، وأنا فأرح بهذا الأمر مسرور غاية السرور، ثم يؤتى بسرقة حرير خضراء تنبعث من الكتاب، كأنها منه تكونت، فيها ألف دينار ذهباً عيناً، كل دينار ثقيل، لا أدري ما وزنه، فيقال: قسمه على أهلها، خمسة دنائير لكل شخص، فأول ما أخذ أنا منها خمسة دنائير، عليها نور ساطع، أعظم من ضياء أضواء كوكب في السماء له شعاع، وأرى نفس ذلك الكتاب هو عين أهلي، ما كتابها غيرها، وأنا بكل جسمي راقد عليها متكياً، فكنت أنظر إلى رقم ذلك الكتاب، فأجده بخط زين الدين بن شداد، والصدق من أوله إلى آخره مسجع الألفاظ، تسجيماً واحداً على روي الرأ المفتوحة والهاء، فضبطت منه بعد البسملة: الحمد لله الذي جعل قرآنه وفرقانه وتوراته وإنجيله وزيورته، رقوم هذا الكتاب المكنون وسطورته، وأودعه كل آية في الكتب وسورة، وأظهره في الوجود في أحسن صورة، وجعل أعلامه في العالم

(١) في المخطوط الأصلي للفتوحات المكية.

العلوي والسفلي مشهورة، وآياته غير متناهية ولا محصورة، وكلماته بكل لسان في كل زمان وغير زمان مذكورة؛ هكذا على هذا الروي إلى آخره - إن كان له آخر - بخط مثل الدر، فلما رددت إلى حسي، وجلتني أكتب هذا الفصل من فصول التوحيد، وإذا به توحيد الاختيار، فعلمت أن ذلك عين هذا الفصل، وأن لأهلي من هذا الفصل أوفر حظ وأعظم نصيب، وتمجبت من اسم أهلي في الواقعة واسمها مريم. (ف ح ٢/٤١٦)

إقامة الدين :

لما قيدت هذا الوصل - وذكره الشيخ - غفوت غفوة فرأيت في المبشرة يتلى عليّ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾. (ف ح ٣/٣٦٨)

السجود :

رأيت عيناً من لبن حليب، ما رأيت لبناً مثله في البياض والطيب في جرمه، دخلت فيه حتى بلغ ثديي وهو يتدفق، فتمجبت لذلك، وسمعت كلاماً غريباً إلهياً يقول: من سجد لغير الله عن أمر الله، قرية إلى الله طاعة لله، فقد سعد ونجا^(١)، ومن سجد لغير الله عن غير أمر الله، قرية إلى الله، فقد شقي^(٢). (ف ح ٣/٣٦٧)

سر حذف واو العطف :

لقد رأيت في هذا الوصل مشهداً هالتي في الواقعة، وتليت عليّ سورة الواقعة بلسان امرأة من صالحات المؤمنات، عرضاً عليّ، فكان من صورة ما تلتها ﴿ثلة من الأولين ثلة من الآخرين﴾ بحذف واو العطف، ولم يكن عندي من ذلك سر قبل هذا، فرددت عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو فلم تفعل، فرجعت إلى نفسي وعلمت ما نهيتي الحق به في ذلك الحذف

(١) قال تعالى للملائكة ﴿إني خالق بشرأ من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ وسجود يعقوب وأولاده ليوسف عليهم السلام.

(٢) قال المشركون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

من الاقتران بين العالم، فإذا جاء بالواو راعى ما يقع فيه الاشتراك في الصورة الظاهرة والمفهوم الأول، وإذا أزال الواو راعى ما يقع به التمييز والانفراد الذي به حقيقة ذلك الشيء، لأنه لا حقيقة له إلا بما يتميز به، فعلمت ما أراد بحذف الواو من نطقها بذلك، وهو الله . (ف ح ٣ / ٣٨٦)

القيومية :

في ليلة تقيدي هذا الوجه في باب حضرة القيومية، أريت في النوم ورقة زنجارية اللون، جاءت إلي من الحق، مكتوبة ظهراً وبطناً بخط خفي، لا يظهر لكل أحد، فقرأته في النوم لضوء القمر، فكان فيه نظماً ونثراً، واستيقظت قبل أن أتم قراءته، فما رأيت أعجب منه ولا أغمض في معانيه، لا يكاد يفهم، فكان مما عقلت من نظمه ما أذكره، وكان في حق غيري، كذا قررت في النوم، وذكر لي الشخص الذي كان في حقه معرفته، وكأني في أرض الحجاز في بركة ينبع بين مكة والمدينة :

إذا دل أمر الله في كل حالة	على العزة العظمى لما يرفع الجحد
وجاء كتاب الله بنجر أنه	من الله تحقيراً فللكم القصد
وفه عين الأمر من قبل إذ أنسى	إني بما يجريه فيه ومن بعد
لسبحان من حيي الفؤاد بذكره	فكان له الشكر المنزه والحمد
إذا كان عبدي هكذا كنت حينه ^(١)	وإن لم يكن فالعبد عبداً يا عبدي ^(٢)

وأما الشر فأنسيته لما استيقظت، إلا أني أعرف أنه كان توقيع من الحق لي بأمر أنتفع بها، هذا جل الأمر، وهي في خاطري مصورة من أسباب الدنيا يتسع فيها رزق الله، ويشكر الله تعالى من كان ذلك على يده ويشته، والله على ما نقول وكيل . (ف ح ٤ / ٢٩٢)

الاعتماد على الله تعالى :

عند تقيدي وجه الاعتماد على الله لا على الأسباب، وعدم الركون إليها بالقلب

- (١) يشير إلى ما جاء في الحديث «إذا أحببتك كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به» .
- (٢) إشارة إلى قوله ﷺ «تعس عبد الدينار تعس عبد الحمصة» . الحديث، فكل مخلوق مَلَكُوك فأنت عبد له، والكل عبيد الله .

واطمئنان النفس، نمت ثم رجعت إلى نفسي وأنا أنشد هذين البيتين، لم أكن أعرفهما قبل ذلك:

لا تعتمد إلا على الله فكسل أسر يبد الله
وهله الأسباب حجابيه فلا تكن إلا مع الله

(فح ٤ / ٤٥٨)

أصل كل شيء آدمه:

لقد أراني الحق تعالى فيما يراه النائم، وأنا طائف بالكعبة، مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم، فأنشدونا بيتين، ثبت عليّ البيت الواحد ومضى عني الآخر، فكان الذي ثبت عليّ من ذلك.

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طراً أجمعينا

وخرج عني البيت الآخر، فتعجبت من ذلك، فقال لي واحد منهم، وتسمى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم، ثم قال لي: أنا من أجدادك، قلت له: كم لك منذمت؟ فقال لي: بضع وأربعون ألف سنة، فقلت له: فما لآدم هذا القدر من السنين، فقال لي: عن أي آدم تقول، عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً عن رسول الله ﷺ وأن الله خلق مائة ألف آدم، فقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبي إليه من أولئك، والتاريخ في ذلك مجهول^(١) مع حدوث العالم بلا شك، فإن العالم لا تصح له رتبة القدم. (فح ٣ / ٥٤٩)

وقوع شدة بالناس:

ولقد رأيت هذه الليلة في واقعتي ما شيب سالفتي، وقد نظمت ما رأيته، وفي هذا الباب كتبه، وفي النوم قلته:

لا يبد من خوف ومن شدة لا يبد من جور ومن عسف
في حلب من حكم جائر في حكمه يمشي إلى خلف
ينزل من قلعتها راجلاً من غير نسك لا ولا عطف

(١) راجع كتابنا الخيال - اجتماع الشيخ بإدريس عليه السلام ص ١٠٠.

يحكم بالقهر وبالعنف	كانسه الحجاج في حكمه
يفسق الإلف من الإلف	يجود في الخلق بأحكامه
رحمته وقدره ذا يكفي	قد نزع الرحمن من قلبه
لا بل هو الحجاج فاستكف	في صورة الحجاج أبصرته
ما خاب من بالله يستكفي	بالواحد الرحمن من شره

لكن عسى الله أن يجعل سلطوته على أهل العناد من أهل الإلحاد، وكانت عليه غفارة حمراء وهو يتمايل تمايل سكرى، فأرجو لكونه فاضلاً أن يكون عادلاً، فإنه نزل راجلاً، وبيده عصاه، يستعين بها على من خالف أمر الله تعالى وعصاه، جعله الله تأويلاً صادقاً، ولسان حق ناطقاً، فتعودنا حين انتبهنا من شر ما رأينا، كما أمرنا ﷺ ونقلنا، ونحولنا كما علم.

(ف ح ٤ / ٣٥٤)

إلهيات :

قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في النوم في الإلهيات :

غزال من الفردوس بات معانقي	فقبلي ودأ قسم مرادي
له زينة الأسماء أسياه خالقي	عليه من الأنواب ثوب حداد
من أجل الذي قد بات فيه مهياً	ضحوكتاً للقياه صحيح وداد
نراه مع الأنفاس يتلو كتابه	بمبرة محزون حليف سهاد
يقوم بأمر الله إذ قال قم به	بطاعة مهدي ومسنة هادي

(الديوان / ٢٣٤)

وقال في الإلهيات أيضاً في النوم :

الأمير أعظم أن يحظى به أحد	لما له في وجود العلم مستند
جاء الحديث فما تدرى حقيقته	ولا يعيّنهما فكر ولا سند
والكشف ليس له فيها مداخلة	لأنه بوجود الصور ينفسد
أمر الإله كما قد جاء واحدة	والمبسد من سره بالحق متحد
فما ترى جسداً إلا ويمسقبه	إذا مضى عينه من حينه جسد

(الديوان / ٢٣٤)

موعظة :

وقال رضي الله عنه في زلزلة رأها في النوم :

رأيت زلزلة عظمى منبهة
في برزخ من برازخ الكرى ظهرت
بدا لشاهد عيني صورته
قالت خواطرنا من فوق أرقعة
لو كان يصفوننا في حال رؤيتنا
لكنها مرضت نفسي لرؤيتها
شالقتها ومرادي أن أذكرها
تحرك الجسم مني في تحركها
وكان فيما بدا مني لما قصدت
على أمور عظام كدت أخفيها
آثارها وهو حال قد بدا فيها
تراء ياليت شعري هل يوافقها
تحريك أفساكننا منا يكافئها
إياها خاطرنا كنا نصابها
وقد سألت إلهي أن يعافها
يا لها عندنا من في إلى فيها
بسجدة لأمر لا تنافيها
من المواقظ والذكرى تلافها
(ديوان / ٢٣٧)

حسن الرجاء بالله :

رأيت ليلة الجمعة سابع وعشري صفر، سنة إحدى وثلاثين وستائة في النوم، كأني واقف على قبر دائر، وورقة في جدار كان للقبر، فيها مكتوب - على لسان صاحب القبر - بكتابة إلهية بيتان، من قصيدة كنت أحفظها لبعضهم وهما :

حاسبونا فدققوا قيدونا فأوثقوا
نظروا في صميمنا ثم متوا فأهتقوا

والناس وقوف على القبر يكون بكاء فرح بالله، لما من به على صاحب ذلك القبر،

فكنت أقول: لو قال هذا الشاعر مثل ما وقع لي الآن:

حاسبونا ما دققوا قيدونا ما أوثقوا
نظروا في ذنوبنا ثم متوا فأطلقوا
إن ظني وخاطري في إلهي محقق
أن من مات محسناً ليس بالنار يحرق

فاستيقظت فما فرحت بشيء فرحي بهذه البشرية. (الديوان / ٢٧٧)

حشر الأجسام على غير مثال سبق :

يقول الشيخ رضي الله عنه: أكثر هذه القصيدة وقع مني في النوم، وأتمتها

في اليقظة:

قد صح عندي خبر	وجل عندي من خبر
ليس لنا إعادة	ليسا انقضى وما خبر
من صور معلومة	محسوسة من البشر
لأنها على مزا	ج كله مزاج شر
وإنسا إصادتي	في مثلها من الصور
على مزاج صالح	ما فيه شيء من ضرر
من صور مشهودة	ليهن نحيبا ونسر
في فرش مرفوعة	منضودة وفي سرر
ملكاً إماماً سيداً	مديراً لمن نظر
وهي اللوات عينها	المودعات في الحفر
لم تلحق الذات إذا	نظرت فيها من غير
وإنسا مزاجها	من يعتسبه لم يحمر
له في هذا السذي	أقوله معنى وسر
يُفَرِّق منه ذو حجي	إذا به الحق ظهر
فالحمد لله الذي	أشهدني هذا الخبر
في نومنا وعندنا	محمد إسفنديسر
وامرأة مؤمنة	الوجه منها كالقمر
ياحسبها من غادة	فتاتية لمن نظر
فديتها معشوقة	بالسمع مني والبصر
في صورة الحق أنت	مع الدلال والخفر
يستمرخ الشخمر الذي	أراد أن يُعطى الوطر

منها فلم يحفل به
 ما يفعل المسكين إذ
 قالت له انزل إلى
 إلى هنا كان النبي
 ولا على النيل قدر
 لم يتجه منها الحذر
 من قد نهاتنا وأمر
 أريته حتى السحر

(الديوان / ٣٠٩)

تجليات إلهية :
 وقال أيضاً :

رأيت جارية في النوم عاطلة^(١)
 ترنو إلى بعين كلها حور
 لما نظرت إليها وهي تنظرن
 وقلت لنفس يافس انظري عجباً
 انظر إلى لطفه وحسن صورته
 ولستمعته وجوداً لم يقم عدم
 فإنها جنة المسوى لسكنها
 وتلك جنة عدن والكشيب بها
 هذي الماني التي الأكار تطلبها
 فأين غابتهم فيما ذكرت لكم
 حسناء ليس لها أخت من البشر
 فصتُ وجداً بها من ذلك الخسور
 فنسبت حباً لها من لذة النظر
 هذا الخيال فكيف الحس يابصري
 بالنساء لا يبل من حضرة الفكر
 به ولا ندم من صورة البشر
 وجنة الخلد لا من جنة النظر
 مع السدي يتسوي عليه من صور
 وهي التي نال أهل الكشف بالنظر
 هذي الروائح من مسك لم عطر

(الديوان / ٣١٠)

وقال الشيخ قدس الله سره العزيز قصيدة، جُلُّها في المنام، لحقيقة إلهية تجلت له في
 نومه، وكانت له بنت ماتت فأنزها بيده في لحدها، فسئل في النوم عن ذلك فقال:

لحدت بنتي بسدي لأنها ذو جسدي
 أنا على حكم السنوي فليس شيء يسدي

(١) صَعَلت المرأة بكسر الطاء إذا لم يكن لها حُلِيّ.

مقيّد في وقتنا	ما بين أسرٍ وغد
جسمي لجين خالص	حقيقي من عسجد
كالقوس نشي ولدا	عين قوامي خيدي
يقول ربي إنه	خلقي في كبد
فكيف أرجو راحة	ما دمت في ذا السبد
لولاه ما كنت أنا	ذا والد وولد
ولم يكن لي كفواً	كخالقي من أحد
فالنمت نمت واحد	في عين ذات المعدد
وإنسي لخالقي	في خلقنا كالمعدد
فحلّ إلهي بيننا	في الكون لا المعتقد
بنشأة ثابتة	يصح منها مندي
في أنبي مثلكمو	وأنت لي مسندي
بالفرض لا أبي أنا	مثل وهذا رشدي
نصبت عني المثل في	شوري ^(١) وذا معتقدي
وجنتي عالية	مع الحسان الخرد ^(٢)
وإنما تسال به	كإلنا في المقصد
طبيعة الكون له	أهل وعين الأحد
بعل لها فاجتماعا	على وجودي وقد
ما قلت ذا عن نظري	قد قام بي في خلدي
وإنما قرره	عندي رسول الصمد
فكان يملي وأنا	أكتب عنه بيدي

(١) يعني قوله تعالى في سورة الشورى ﴿ليس كمثله شيء﴾ فالكاف كاف الصفة هنا.
(٢) الخرد: جمع خرود وهي البكر لم تمس، الخفيرة الطويلة السكوت، الخافضة الصوت المشتركة.

وهكذا الأمر ولا
غير إمام سابق
والفسير لا يعرفه
وكل فرع راجع
يعرفه من أحد
بالخير أو مقتصد
في الحال بل في الأبد
لأصله لم يسزد

(الديوان/ ٣٤٠)

وقال أيضاً في مبشرة رآها، قال أول بيت من هذه القصيدة في النوم، ولما استيقظ
وجد لسانه ينطق بالأبيات كلها:

بنفسي الذي يلقي المحقُّ وما لقي
لو ان الذي عندي يكون بخلقه
لقد نظرت عيني إليه وإنه
ألا ليت شعري هل أرى اليوم من فتى
رحيم رؤوف عاطف متعطف
بلفظ تراه في الحقيقة معجزاً
يناضل عن أصل الوجود بنفسه
حذاراً عليه أن يجوز مقامه
لقد جهل الأقسام قولي ومقصدي
عساه يرى في جَوْه من فريسة
لقد رام أمراً ليس في الكون عينه
ولما رأى أن لا وصول لما ابتدئ
أبى لفظ لا أحصي^(١) يجر ذيسوله
لقد صار ذا علم لما كان جاهلاً

ولم يبق منه في الشهود وما بقي
من العلم بي لم يبق في الملك من بقي
ليلقى الذي قد قيل لي إنه لقي
صحيح الدعاوى بالصواب مُنْطَلِقِ
ولسوع بذكراه حل الخلق مشفق
لزور الذي يأتي به الخصم مزهق
يساري رباح الجود جوداً ويتقي
سواه بتأيبه وغيره مشفق
ولم يدر ما قلناه غير محقق
فليس يرى التقييد إلا بمطلق
بنقص وتقريب كسير المحقق
وأن الذي قد رام غير محقق
بقوة قهار بمعجز مصلق
به وهو نفي العلم فانظر وحقق

(الديوان/ ٤٢٠)

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

شرح الصلاة الإبراهيمية في الواقعة :

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾
فسأل المؤمنون رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه، فقال لهم
رسول الله ﷺ: قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم» أي مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، فهذا يدل على اختلاف
الصلاة الإلهية، لاختلاف أحوال المصل عليهم ومقاماتهم عند الله، ويظهر من هذا الحديث
فضل إبراهيم على رسول الله ﷺ إذ طلب أن يصلى عليه مثل الصلاة على إبراهيم، فاعلم
أن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله ﷺ، ولم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن، وجاء
الإعلام في تعليم رسول الله ﷺ إيانا الصلاة عليه، بزيادة الصلاة على الآل، فما طلب ﷺ
الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث أعيانها، فإن العناية برسول الله ﷺ
أتم، إذ قد خص بأمر لم يخص بها نبي قبله، لا إبراهيم ولا غيره، وذلك من صلاته تعالى
عليه، فكيف يطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث عينه؟ وإنما المراد
من ذلك ما أبينه إن شاء الله، وذلك أن الصلاة على الشخص قد تصل عليه من حيث
عينه، ومن حيث ما يضاف إليه غيره، فكانت الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره، هي
الصلاة من حيث المجموع، إذ للمجموع حكم ليس للواحد إذا انفرد، واعلم أن آل الرجل
في لغة العرب، هم خاصته الأقربون إليه، وخاصة الأنبياء وآلهم، هم الصالحون العلماء
بالله المؤمنون، وقد علمنا أن إبراهيم كان من آله أنبياء ورسول الله، ومرتبة النبوة والرسالة قد
ارتفعت في الشاهد في الدنيا، فلا يكون بعد رسول الله ﷺ في أمته، نبي يشرع الله له
خلاف شرع محمد ﷺ ولا رسول، وما منع المرتبة ولا حجبها من حيث لا تشريع، ولا سيما
وقد قال ﷺ فيمن حفظ القرآن، إن النبوة أدرجت بين جنبيه، أو كما قال ﷺ، وقال في
المبشرات: إنها جزء من أجزاء النبوة، فوصف بعض أمته بأنهم قد حصل لهم المقام، وإن
لم يكونوا على شرع يخالف شرعه، وقد علمنا بما قال لنا ﷺ، أن عيسى عليه السلام ينزل
فينا حكماً مقسطاً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولا نشك قطعاً أنه رسول الله
ونبيه، وهو ينزل، فله عليه السلام مرتبة النبوة بلا شك عند الله، وما له مرتبة التشريع عند

نزوله، فعلمنا بقوله ﷺ: «إنه لا نبي بعدي ولا رسول، وإن النبوة قد انقطعت والرسالة»
 إنما يريد بها التشريع، فلما كانت النبوة أشرف مرتبة وأكملها، ينتهي إليها من اصطفاة الله
 من عباده، علمنا أن التشريع في النبوة أمر عارض، يكون عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً
 من غير تشريع، وهو نبي بلا شك، فمخفيت مرتبة النبوة في الخلق بانقطاع التشريع، ومعلوم
 أن آل إبراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده، مثل إسحق ويعقوب ويوسف ومن
 انتسل منهم، من الأنبياء والرسل بالشرائع الظاهرة، الدالة على أن لهم مرتبة النبوة عند
 الله، فأراد رسول الله ﷺ أن يلحق أمته، وهم آل العلماء الصالحون، بمرتبة النبوة عند الله
 وإن لم يشرعوا، ولكن أبقي لهم من شرعه ضرباً من التشريع، فقال: «قولوا اللهم صل
 على محمد وعلى آل محمد» أي صل عليه من حيث ما له آل، كما صليت على إبراهيم وعلى
 آل إبراهيم، أي من حيث أنك أعطيت آل إبراهيم النبوة تشريفاً لإبراهيم، فظهرت نبوتهم
 بالتشريع، وقد قضيت أن لا شرع بعدي، فصل علي وعلى آلي بأن تجعل لهم مرتبة النبوة
 عندك وإن لم يشرعوا، فكان من كمال رسول الله ﷺ، أن ألحق آل بالأنبياء في المرتبة، وزاد

على إبراهيم بأن شرعه لا ينسخ، وبعض شرع إبراهيم ومن بعده، نسخت الشرائع بعضها
 بعضاً، وما علمنا رسول الله ﷺ الصلاة عليه على هذه الصورة، إلا بوحى من الله وبما أراه
 الله، وأن الدعوة في ذلك مجابة، فقطعنا أن في هذه الأمة من لحقت درجته درجة الأنبياء في
 النبوة عند الله، لا في التشريع، ولهذا بين رسول الله ﷺ وأكد بقوله: «فلا رسول بعدي ولا
 نبي» فأكد بالرسالة من أجل التشريع، فأكرم الله رسوله ﷺ بأن جعل آل شهداء على أمم
 الأنبياء، كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم، ثم أنه خص هذه الأمة أعني علماءها، بأن
 شرع لهم الاجتهاد في الأحكام، وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم، وتعبد بهم به وتعبد من
 قلدهم به، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم، ولم يكن مثل هذا لأمة نبي ما لم يكن
 نبياً بوحى منزل، فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم، كما قال لنبية ﷺ
 «لتحكمن بين الناس يا أراك الله» فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده، فهذه
 نفعات من نفعات التشريع ما هو عين التشريع، فلأل محمد ﷺ وهم المؤمنون من أمته
 العلماء، مرتبة النبوة عند الله، تظهر في الآخرة وما لها حكم في الدنيا، إلا هذا القدر من

الاجتهاد المشروع لهم، فلم يجتهدوا في الدين والأحكام إلا بأمر مشروع من عند الله، فإن اتفق أن يكون أحد من أهل البيت بهذه المثابة، من العلم والاجتهاد، ولهم هذه المرتبة كالحسن والحسين وجمعتهم وغيرهم من أهل البيت، فقد جمعوا بين الأهل والآل، فلا تتخيل أن آل محمد ﷺ هم أهل بيته خاصة، ليس هذا عند العرب، وقد قال تعالى ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ يريد خاصته، فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا للكبير القدر في الدنيا والآخرة، فلهذا قيل لنا: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم» أي من حيث ما ذكرناه، لا من حيث أعيانها خاصة دون المجموع، فهي صلاة من حيث المجموع، وذكرناه لأنه تقدم بالزمان على رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة، ومن كان بهذه المثابة عند الله، كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانها؟ فلم يبق إلا ما ذكرناه، وهذه المسألة هي عن واقعة إلهية من وقائعنا، فلك الحمد والمنة، وهذه مسألة عظيمة الخطر جليلة القدر، لم نرَ أحداً ممن تقدمنا تعرض لها، ولا قال فيها مثل ما وقع لنا في هذه الواقعة، إلا إن كان وما وصل إلينا، فإن لله في عباده أخفاء لا يعرفهم سواه، فصلاة الحق على عباده باختلاف أحوالهم، فإله يجعلنا من أجلهم عنده قدراً، ولا يحول بيننا وبين عبوديتنا، وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي: اللهم صل على محمد بأن تجعل آله من أمته، كما صليت على آل إبراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلًا في المرتبة عندك، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، بما أعطيتهم من التشريع والوحي، فأعطاهم الحديث فمنهم محدثون^(١)، وشرع لهم الاجتهاد وقرره حكماً شرعياً، فأنشبت الأنبياء في ذلك. (ف ح ١ / ٥٤٤)

مبشرة تحرض على الرغبة في دعاء الصالحين رضي الله عنهم:

دخلت بإشبيلية على الشيخ الورع الصالح، أبي عمران موسى بن عمران المرتلي، فأخبرته بأمر سر به واستبشر، فقال لي: بشرك بالجنة كما بشرتني، فلم تمض أيام حتى رأيت بعض أصحابنا في المنام، ممن كان قد مات، فقلت له: كيف حالك؟ فذكر خيراً في كلام

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم.

طويل وقصة طويلة، ثم قال لي: وقد بشرني الله بأنك صاحبني في الجنة، فقلت له: هذا في المنام فهات الدليل على قولك، فقال: نعم، إذا كان في غد عند صلاة الظهر، يطلبك السلطان ليحبسك، فانظر لنفسك، فلما أصبح وما ثم أمر يوجب عندي شيئاً من ذلك، فلما صليت وإذا بالطلب من السلطان، فقلت: صدقت الرؤيا، فاخضيت خمسة عشر يوماً حتى ارتفع ذلك الطلب. (كتاب المبشرات)

تفسير للقرآن في مبشرة: قصة هاروت وماروت:

ترجمتي على مسألة هاروت وماروت، علمتها في النوم في رؤيا رأيتها، فوقفت عندها، وجاءت الترجمة عن الكلام مطابقة له - وهذه هي الترجمة:

قال تعالى ﴿واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾.

﴿واتبعوا ما تنزلوا الشياطين﴾ من السحر والشعوذة ﴿على ملك سليمان﴾ على عهد سليمان أي في زمن ملكه ﴿وما كفر سليمان﴾ أي لم يكن علمه سحراً ولا شعوذة، بل علمه حق من عند الله، ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بما دونوه من السحر ﴿يعلمون الناس السحر﴾ وخلطوه به ﴿ما أنزل على الملكين﴾ الأمرين معاً ممزوجاً ﴿ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة﴾ فإذا أتى السائل إلى الملكين ليعلماه، يقولان له ﴿إنما نحن فتنة﴾ أي إنما أنزلنا للتعليم اختباراً، فإن الشياطين يعلمون الناس السحر ممزوجاً بما أنزل علينا ﴿فلا تكفر﴾ أي لا تأخذ من الشياطين، فإنك لا تفرق بين الحق من ذلك والباطل، ثم قال ﴿فيتعلمون﴾ يعني الناس ﴿منها﴾ أي من العلمين علم السحر والعلم الذي أنزل على الملكين ﴿ما يفرقون به بين المرء﴾ الرجل ﴿وزوجه﴾ أي امرأته، وإنما قبله منهم المتعلم لأمرين، الواحد لا امتزاجه بالحق الذي أنزل على الملكين، فإن الشياطين تصور في صور عليائهم وتقول لهم: هذا هو الذي أنزل على الملكين، فيصدقونهم فيلقون إليهم ما

يضرهم ولا ينفعهم من علم السحر، وأما من اقتصر على الملكين ولم يتعدهما، فما علم إلا حقاً منزلاً من عند الله، وما نزل من عند الله لا يكون كفوفاً وضلالاً، وهو قوله: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾، ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ وكل لفظة كفر في هذه القصة قد تكون ضد الإيمان، وقد يكون بمعنى ستر الحق، فإن الكفر الستر في اللغة، وكلا الوجهين في الترجمة عن ذلك صالح، ثم قال: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ يناقض قوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ بعد هذا فيما يظهر، فقوله ﴿ولقد علموا﴾ يعود الضمير على من سأل الملكين، فقالا له لا تكفر ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ فإن من كفر لا خلاق له في الآخرة، فكأنهم قالوا: نحن نتعلم منهم ذلك ولا نعمل به، فإن العلم بالشيء يورث التوقي عما فيه من الضرر لمن جهله، فلما علموه قامت لهم الأغراض وطلب الرئاسة، وتحصيل ما يشتهون بهذا العلم، فعملوا به فكفروا، فهو قوله ﴿ولبئس ما شروا به﴾ أي باعوا به ﴿أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ أن ذلك يقودهم إلى العمل، لما في طيه مما في علمه من تقدمهم على أبناء جنسهم، وقد بان المقصود من الآية على غاية من الاختصار، ونزهنا الملائكة، فإن الله قد أثنى عليهم، وما بلغنا قط عن الله تعالى أنه جرح أحداً من الملائكة ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ قد يعود الضمير في آمنوا على الذين سألوا الملكين وما سمعوا منهم، ولا اتقوا الله حين قالوا لمن سألهم ﴿لا تكفروا﴾ باتباع الشياطين، لأنهم خلطوا الحق بالباطل، فقال الله فيهم ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ أي صدقوا الملكين ﴿واتقوا﴾ واتخلوا ما قالاه لهم وقاية ﴿لمثوبة﴾ لحصلت لهم من ذلك مثوبة من الله ﴿من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ وقد يجتمل أن يعود الضمير على اليهود في الإيمان بمحمد ﷺ

(إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن)

رؤية الشيخ الحق في المنام

أمر الحق الشيخ بالنصيحة :

الله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه ﷺ، بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، خطاباً عاماً، ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرة، بمكة ودمشق، فقال لي: «انصح عبدي» في مبشرة أريتها، فتعین عليّ الأمر أكثر مما تعين عليّ غيري، فإني رأيت وأنا بحرم مكة في المنام، كأن القيامة قد قامت، وكأني واقف بين يدي ربي مطرقاً، خائفاً من عتابه إياي من أجل تفريطي، فكان يقول لي جل جلاله: «يا عبدي لا تخف، فإني لا أطلب منك عملاً إلا أن تنصح عبدي، فانصح عبدي» - وكنت أرشد الناس إلى الطريق القويم، فلما رأيت الداخل إلى طريق الله عزيزاً، تكاسلت وعزمت تلك الليلة أن اشتغل بنفسي، وأترك الخلق وما هم عليه، فرأيت هذه الرؤية، فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح، والآفات القاطعة لكل صنف عنه، من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فكل قام عليّ وسعى في هلاكه، فنصر الله عليهم وعصم فضلاً منه ورحمة.

(فح ١ / ٣٣٤، ٦٥٨ - كتاب المبشرات)

ولذلك يقول رضي الله عنه في ديوانه:

فلمن يرد يمتناز في أهله	فليمش بالجمال على إثري
فإنه الحق السلي قال لي	انصح عبدي وامثل أمري
بمكة في حالة تقضي	في وقتها القبر على العسر
وفي دمشق قال لي مثله	في مرة أخسرى على سري
فقلت يارب أعني على	ما قلت لي فقال بالنصر

فلم يزل في نصرتي قائماً	في كل حال دائم البشير
وقال لي نعم ما بدأتكم به	من الفتوحات على قدر
على لسان المصطفى أحمد	ولم ينسب عني في العذر
فإن فيهما سبباً مقلناً	يضيئ من إسرائه صدري
فقال لي لا تلتفت إنسي	مزيل ما تخشى من الضر
أيدك الله فكمن آمناً	ولا يكن قلبك في دعر
فصمت بالعلم لهم مفصلاً	مبيناً في السر والجر
أورده من غير كيد له	كأنما أخذ من بحر

رأيت رب العزة في المنام - قبل أن يظهر عني شيء من الكلام - وهو يقول: «يا عبدي انصح عباده فتكلمت حينئذ، وألفت في حقائق النصح أموراً كلية يعم نفعها، ويأخذ كل قابل قسطه منها، ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها، وقلت: إنما المقصود انتفاع الناس، سواء عرفوا المتكلم أو لم يعرفوا، فلما انتشر ذلك، نُسب الكلام للغزالي رحمه الله، وصار يُلقن من بعض الناس بسببها، فلما بلغني ذلك، قلت: الآن تعين إظهار اسمي عليها، لاكون وقاية لرجل مسلم يُظلم بسببي، فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك، فاستقبلني الناس بسهام أغراضهم، وظنوا في الظنون، وأنا صابر عليهم، داع لهم، ناظراً إلى مراد الحق سبحانه من ذلك كله، فرأيت الحق سبحانه بعد ذلك في المنام، فقلت: إلهي وسيدي، امرتني أن أنصح عبادك فامتثلت، ونصحت ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم، فسمعتنه سبحانه يقول ﴿وكذب به قومك وهو الحق، قل لست عليكم بوكيل، لكل نبي مستقر وسوف تعلمون﴾ فاسترسلت على الأصل الذي أمرت به، وعلمت أن الله تعالى ينفع بذلك من يشاء، ويصرف عن الانتفاع من يشاء، هذا في حكم العموم، وأما الخصوص، فإن الله أسمعهم النصح، وأعانهم على الترفي به وتمام الفتح.

(كتاب النجاة عن حجب الاشتباه)

ويقول رضي الله عنه في كتابه مواقع النجوم، الذي ألفه بالمرية سنة خمسة وتسعين وخمسةائة: إنه يفني عن الأستاذ، بل الأستاذ محتاج إليه، فإن الأستاذين منهم العالي

والأعلى ، وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه ، ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها ، فمن حصل لديه ، فليعتمد بتوفيق الله عليه ، فإنه عظيم المنفعة ، وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها ، والله الموفق ويده الهداية ، وليس لنا من الأمر شيء .

مبشرة في كرم الحق وحسن الظن به :

لقد أشهدني الحق في سري في واقعة ، وقال لي : بلغ عبادي ما عابته من كرمي بالمؤمن ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها ، والسيئة لا يقاوم فعلها إلا بيان بها أنها سيئة ، فما لعبادي يقتنون من رحمتي ، ورحمتي وسعت كل شيء ، وأنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي خيراً . (فح ١/٧٠٨)

اتخاذ الحق وكيلًا :

لقد رأيت الحق سبحانه وتعالى في النوم ، فقال لي : «وكلني في أمورك» فوكلته ، فما رأيت إلا عصمة محضة ، لله الحمد على ذلك ، وخاطبني الحق في سري «من اتخذني وكيلًا فقد ولاني ، ومن ولاني فله مطالبي ، وعلى إقامة الحساب فيما ولاني فيه» . (فح ٢/٢٦٤ ، ٣٧١)

تسمية الحق للشيخ بممسوك الدار :

في واقعة ، رأيت الحق فيها يخاطبني بمعنى ما في هذه الآيات ، وسأني باسم ، ما سمعت به قط إلا منه تعالى في تلك الواقعة ، وهو «نرديار» فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ ، فقال : ممسوك الدار . (فح ٢/٣٢١)

مسكتك في داري لإظهار صورتي	فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا
فما أبصرت عينك مثلي كاملاً	ولا أبصرت عيني كمثلك إنساناً
فلم يبق في الإمكان أكمل منكمو	نصبت على هذا من الشرع برهاناً
فأي كمال كان لم يك غيركم	على كل وجه كان ذلك ما كانا
ظهرت إلى خلقي بصورة آدم	وقسرت هذا في الشرائع إيماناً
وسميت له لما تجلى بصورتي	إلى ناظري حقاً وإن كان إنساناً
فقل فيه ما عهواه إن شئت إنه	ليقبله عيناً وإن كان أكواناً

لكان وجود النقص في إذا كانا
وأكمل منها ما يكون فقد باننا
فزن ذاتكم إنني وضعتك ميزانا
ولا أحداً أوجدته منك ربانا
وعاينتُ فيك الكون رمزاً وتباننا
وأعلنت قولي إذ تجليت إحساننا
فإن كنت لي عيناً فلا تبده إلا أنا
وأربحنا من كان يخفيه كتبانا
سيلقى غداً روحاً لديّ وربحانا
وأظهركم بالحال سرّاً وإعلاننا
ومهدته حباً خيلك ميدانا
للعواك فرساناً تجول وربحانا
من أسبائه الحسنى خبيراً ومحساننا
وأرسلتها عيناً مميّناً وطوقانا
ملابس أعياد ضروباً وألواننا
أنا أنت بل كن في الخليفة رحمانا

(فح ١ / ٦٤٠)

فلو كان في الإمكان أكمل منكمو
لأنك مخصوص بصورة حضرتي
فيائل وجودي فالتقابل حاصل
تجد علم ما قد قلت فيك مسطراً
ظهرت لنا مجلي فعاينت صورتي
وساررتكم لما رأيت سراركم
وما أنت ذاتي لا ولا أنا ذاتكم
فأحسنا من كان يعملن سره
فمن كان ذا كتم لسري وغبيرة
إذا كنت لي عيناً أكون لكم يداً^(١)
وصيرت قلبي للتجلي منصة
وأسلاته من كل شهيم غشمشم^(٢)
وجشك بالأسما يقدّم جمعها
وأنزلتها تبغي الفنا بفنائكم
وهبتك يا عبدي من أساء ذاتكم
فإن كنت لي بي كنت أنت^(٣) ولا تقل

(١) يشير الشيخ رضي الله عنه إلى مقام الحب، وهو على ضربين، الأول قوله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه» فهي محبة الفرائض ويكون العبد فيها عيناً للحق، والثاني قوله تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، فإذا أحبته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها» - الحديث - فهي محبة النوافل.

(٢) الغشمشم: ذو الجرأة والمضاء.

مجلي الحق في الاسم الظاهر والاسم الباطن :

وفي ليلة تقييدي لهذا الفصل، وهي الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومستمائة، الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفى عشرين من شباط، رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهية وباطنها، شهرداً محققاً، ما رأيتها قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا، فحصل لي - من مشاهدة ذلك - من العلم واللذة والابتهاج، ما لا يعرفه إلا من ذاقه، فما كان أحسنها من واقعة، ليس لوقعتها كاذبة، خافضة رافعة، وصورتها مثلاً في الهامش كما هو، فمن صورّه لا يبدله، والشكل نور أبيض في بساط أحمر، له نور أيضاً في طبقات أربع صورته، وأيضاً روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع، فمجموع الهوية ثمانية، في طرفين مختلفين من بساط واحد، فأطراف البساط ما هي البساط ولا غير البساط، فما رأيت ولا علمت ولا تخيلت، ولا خطر على قلبي صورة ما رأيت من هذه الهوية، ثم إنها لها حركة خفية في ذاتها، أراها وأعلمها من غير نقلة، ولا تغير حال ولا صفة.

(ف ح ٢/ ٤٤٩)

ولذلك قال قدس الله سره في رؤيا رأى فيها الحق تعالى، وقد أعطاه كتابه بيمينه، ورآه من السوجه الذي يُعرّف الحق، ومن الوجه الذي لا يعلم، فرآه من الاسم الظاهر والباطن معاً، في صورتين مختلفتين، وأراد أن يسأله في مسألة وهي هذا المعنى الذي تضمنته هذه الأبيات :

حقيقتي أن أكون عبداً	وحققه أن يكون ريساً
إن كان لي في الشهود مثلاً	كنت له في المشال قلباً
ما زال إذ زدت منه بُعداً	بالوجد يوليبي منه قرباً
أو كنت ذا لوعة معني	يكون لي الصادق المحباً

(الديوان / ٣٨٧)

الروائع عند الحق :

كنت عند موسى بن محمد القباب بالمنازة بحرم مكة بباب الخزورة، وكان يؤذن بها، وكان له طعام يتأذى برائحته كل من شمه، وسمعت في الخبر النبوي : «أن الملائكة تتأذى

عما يتأذى منه بنو آدم» ونهى أن تقرب المساجد برائحة الثوم والبصل والكراث، فبت وأنا عازم أن أقول لذلك الرجل أن يزيل ذلك الطعام من المسجد لأجل الملائكة، فرأيت الحق تعالى في النوم، فقال لي عز وجل: لا تقل له عن الطعام، فإن رائحته عندنا ما هي مثل ما هي عندكم، فلما أصبح جاء على عادته إلينا، فأخبرته بما جرى، فبكى وسجد لله شكراً، ثم قال لي: ياسيدي ومع هذا فالأدب مع الشرع أولى، فأزاله من المسجد رحمه الله.

وذلك مثل ما جاء في الحديث: إن خلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. (فح ١/ ٦٠٣)

تلاوة الحق بعض الآيات للبشرى:

لما أدركتنا الفترة وتحكمت فينا، رأيت الحق في الواقعة، فتل علينا هذه الآيات ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت، فأنزلنا به الماء﴾ الآية، ثم قال: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ فعلمت أني المراد بهذه الآية، وقلت: ينه بيا تلاء علينا على التوفيق الأول، الذي هدانا الله به على يد عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام ﴿بين يدي رحمته﴾ وهي العناية بنا ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً﴾ وهو ترادف التوفيق ﴿سقناه لبلد ميت﴾ وهو أنا ﴿فأنحينا به الأرض بعد موتها﴾ وهو ما ظهر علينا من أنوار القبول والعمل الصالح والتعشق به، ثم مثل فقال ﴿كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ يشير بذلك إلى خبر ورد عن النبي ﷺ في البعث، أعني حشر الأجسام، من أن الله يجعل السماء تمطر مثل مني الرجال - الحديث - ثم قال ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ وليس سوى الموافقة والسمع والطاعة، لظهارة المحل ﴿والذي خبث﴾ وهو الذي غلبت عليه نفسه والطبع، وهو معتنى به في نفس الأمر ﴿لا يخرج إلا نكداً﴾ مثل قوله: إن لله عبداً يقادون إلى الجنة بالسلاسل، وقوله ﴿ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً﴾ فقلنا: طوعاً بإلهنا. (فح ٤/ ١٧٢)

بشارة الحق للشيخ بالإرث النبوي من قوله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾:

هذه الآية تليت علينا تلاوة تنزل إلهي، من أول السورة إلى قوله ﴿زنيماً﴾ عرفنا الحق

في هذه التلاوة المنزلة من عند الله ، في المبشرة التي أبغى الله علينا من الوحي النبوي ، وراثه نبوية الله الحمد ، ورثته فيها من قوله ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ وفي قوله ﴿ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون﴾ وقوله ﴿فأعرض عن نولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فشكرت الله على ما حققني به من حقائق الورث النبوي ، وأرجو أن أكون ممن لا ينطق عن هوى نفسه ، جعلنا الله منهم ، فإن ذلك هو العصمة الإلهية . (فح ٤/ ١٧٨)

وصية من الحق للشيخ الأكبر:

وصية أوصيت بها في مبشرة ، أريتها وسمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة ، في البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام ، من بلة على قدر الكف ، كلاماً لا يُكَيَّف ، ولا يشبه كلام مخلوق ، عين الكلام هو عين الفهم من السامع ، فما فهمت منه «كن سماء وحي ، وأرض ينبوع ، وجبل تسكين ، فإذا تحركت ، فلتكن حركة إحياء وسكينة ، بتحريك عن وحي ساوي» ثم وقع في نفسي نظم فكنت أنشد:

جعلت في السدي جعلتسا وقلت لي أنت قد عملتسا
وأنت تدري بأن كوني ما فيه غير السدي جعلتسا
لكل فعل تراه مني أنت إلهي الذي فعلتسا^(١)

(فح ٤/ ٤٨٥)

نصيحة من الحق للشيخ رضي الله عنه:

أريت في المنام كأن الله يناديني ويقول لي : «يا عبدي إذا أردت أن تكون عندي مقرباً مكرماً منعماً فأكثر من قولي «رب أرنى أنظر إليك» كرر ذلك علي مرات . (كتاب المبشرات)

نهي من الحق للشيخ رضي الله عنه:

رأيت الحق في النوم ليلة الإثنين ، الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى

(١) ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾ الآية ﴿الله خالق كل شيء﴾ الآية . وهنا يقصد الشيخ قدس الله سره ، التحدث بنعمة الله عليه ، وتوفيقة إلى الطاعة والموافقة ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وقوله صل الله عليه وسلم : والخير كله بيدك .

وثلاثين وستائة، وهو ينهائي عن مجالسة ثلاثة، المطاطين والسقاطين وأنسييت الثالثة، فكنت أقول له: «بارب وما المطاطون؟» فقال: «الذين يمدون العالم إلى غير نهاية في الابتداء، وأنا ابتدأت العالم بالخلق» قلت: «وما السقاطون؟» فقال تعالى: «الذين يأتون بسقط الكلام ليضحكوا به الناس، وهي من سقط الله، فإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سقط الله، ما يظن أنه يبلغ ما بلغت، فيهوي بها في النار سبعين خريفاً».

فقلت في ذلك في النوم، وقد أنسييت الثالثة:

نهائي الحسق في الغطط عن المطاط والسقط
وأني لا أجالس من يكون بمثل ذا النمط
وأفهمني بأن أحظى به في السعالم الوسط

قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي خياراً، ووقع لي في النوم في الغطط «أنه صوت النائمة» ولذلك جثت به، فإن الغطيط الصوت، كما قيل: يغط غطيط البكر شد خنقه، وفي الحديث في نوم النبي ﷺ أن له غطيطاً. (الديوان / ٣٢١)

يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً:

في معرض شرح أن كل نفس مطلوبة من الحق في نفسها، لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، وأن تقلب الإنسان في العبادة من وجه بذاته، ومن وجه بربه، ليس لغيره فيه مسأغ ولا دخول، أراي ذلك في واقعة، فاستيقظت من منامي وأنا أحرك شفتي بهذه الأبيات، التي ما سمعتها قبل هذا، لا مني ولا من غيري، وهذه هي:

قال لي الحسق في مناسمي ولم يكن ذاك من كلامي
وقتاً أناديك في عبادي وقتاً أناجيك في مقامي
وأنت في الحالتين عندي في كتف الصون واللمام
لمن صلاة إلى زكاة ومن زكاة إلى صيام
ومن حرام إلى حلال ومن حلال إلى حرام
وأنت في ذا وذاك مني كممثل مقصورة الخيام

(فح / ١ / ٦٢٨)

عناية الله بعباده :

في ليلة تقييدي هذا الوجه، أراي الحق في واقعتي رجلاً ربيع القامة فيه شقرة، فقمعد بين يدي وهو ساكت، فقال لي الحق: هذا عبد من عبادنا، أفده ليكون هذا في ميزانك، فقلت له: من هو؟ فقال لي: هذا أبو العباس بن جودي من ساكني البشرات - وأنا إذ ذاك في دمشق - فقلت له: يارب وكيف يستفيد مني وأين أنا منه؟ فقال لي: قل فإنه يستفيد منك، فكما أرتك إياه أرتك إياك، فهو الآن يراك كما تراه، فخاطبه بسمع منك، ويقول هو مثل ما تقول أنت، يقول أريت رجلاً بالشام، يقال له محمد بن العربي، وسباني، أفادني أمراً لم يكن عندي، فهو أستاذي، فقلت له: يا أبا العباس ما الأمر؟ قال: كنت أجهد في الطلب وأنصب وأبذل جهدي، فلما كشف لي، علمت أني مطلوب، فاسترحت من ذلك الكد، فقلت له: يا أخي من كان خيراً منك وأوصل بالحق، وأتم في الشهود وأكشف للأمر، قيل له ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فأين الراحة في دار التكليف؟ ما فهمت ما قيل لك، قولك علمت أني مطلوب، ولم تدر بماذا؟ نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجد، ما هذه الدار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه، فانصب في أمر يأتيك في كل نفس، فأين الفراغ؟ فشكرني على ما ذكرته به، فانظر عناية الله بنا وبه. (فح ٤٣١/٣)

إعجاز القرآن :

راجع الصدق هو الإعجاز ص ٤٠ - وهنا يقول الشيخ رضي الله عنه:

إني إن شاء ملآن ليس يشرب ما	فيه من اللبن المزوج بالصل
غير الذي يفتنون العلم خصصنا	محمد خير مبعوث من الرسل
أنتى بإعجاز قول لا خفاء به	أعجازه انعطفت منه على الأول
حوى على كل لفظ معجز ولذا	حوى على كل علم جاء من مثل
أنتى به الناطق المعصوم معجزة	إلى السلي كان في الدنيا من الليل
فما يعارضه جن ولا بشر	بسورة مثله في خابر الدول
ولو يعارضه ما كان معجزة	فليس إعجازه يجري إلى أجل
رأيت ربي في نومي فقلت له	ما صورة الصرف في القرآن حين تلي

فقال لي اصدق فإن الصديق معجزة
لكن كلامك إن فعله معجزة
هذا دليل بأن القول قولكمو
أنسى به رُوحه من فوق أرقعة
أنسى على سبعة من أحرف نزلت
إذا تكررت فيه قصة ذكرت
والكسل حق ولكن ليس يعرفه
هذا هو الحق لا تضرب له مثلاً
لا يجيبنك ما تلووه من سور
فكلمه قوله إن كنت ذا نظر
إن الوجود إذا أبهرت عجب
أنا محمله أنا مفصلة^(١)
قد أودع الله فيه كل مرتبة
فيحزن القلب أحياناً ويفرحه
من الصفات التي جاءت مرتبة
يسلو به واحد لله منزله

ولا تزود أموراً إن أردت تلي
فقلت يارب فغراً ليس ذلك لي
لا قوله وهو عندي أوضح السبل
سبع إلى قلبه والقلب في شغل
يمر الذكر بتلووه على عجل
تكون أقوى على الإعجاز بالبدل
إلا السني بدليل العقل فيه بُلي
فإنه من صفات الحق في الأزل
بأحرف وبأصوات على مهل
فيه على حد إنصاف بلا مثل
فكلمه كلمات الله^(٢) من قبلي
بنا تلاوته فبنا على وجمل
تحوي على حزن تحوي على جزل
بما يقرره في كافر وولي
على الحقائق في حالف ومنتعمل
وأخسر نازل منه إلى السفلى

قيل لي - في بعض الوقائع - أتعرف ما هو إعجاز القرآن؟ قلت: لا، قال: كونه
إخباراً عن حق؛ التزم الحق يكن كلامك معجزاً، فإن المعارض للقرآن أول ما يكذب فيه،
أنه يجعله من الله وليس من الله، فيقول على الله ما لا يعلم، فلا يشعر ولا يشيت، فإن الباطل
زهوق لا ثبات له، ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها، بأمور

(١) قال تعالى ﴿قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مدداً﴾ وقال تعالى ﴿إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

(٢) الضمير يعود على القرآن.

تناسبها في الألفاظ مما لم يقع ولا كانت، فهي باطل، والباطل عدم، والعدم لا يقاوم الوجود، والقرآن إخبار عن أمر وجودي، حق في نفس الأمر، فلا بد أن يعجز المعارض عن الإتيان بمثله، فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله، فقد امتاز عن أهل زمانه وعن كل من لم يسلك مسلكه، فأعجز من أراد التسور على مقامه من غير حق. (الديوان/ ٤٦٨)

طريق السعادة:

ناداني الحق في سري: عبدي، وابن أمي وعبدي، وعزتي وجلالي، ومجدي وعظيم سلطاني، وعلو جدي، لا نال معرفتي أحد، ولا ينال ما عندي من جزيل وعدي، إلا حتى يتصف في هذه الدار الدنيا، بما اتصف به أهل الشقاء في الدار الآخرة، من الخشوع ذلة وافتقاراً، والبكاء دمعاً مدراراً، والزفرات المتصاعدة، وتنضيح الجلود، وتضييق الكبود، وتغصص العيش النكيد، بهذا حليت أوليائي وأبيائي، لما سبق لهم عندي من السعادة، بعد جهد ومكابدة وجوع، وشد الأحجار على البطن، قاساه الرسول السيد المطيع، حتى فتح له مع أصحابه في لبن وتمر، دون لحم ولا خبز بُر، قال لأصحابه: إنكم لتسألن عن نعيم هذا اليوم، فنخص عليهم عيشهم على قلته، وأخذهم له على فاقة، فأحوال الدارين معكوسة، وصفاتها منكوسة، حفت الجنة بالكاره، وهي ما يقاسيها المؤمن في الدنيا والكافر في العقبى، وحفت النار بالشهوات، وهي ما يلتذ بها الكافر في الدنيا والمؤمن في العقبى.

(روح القدس في محاسبة النفس)

لزوم الأدب في مسألة الجبر والاختيار:

من كان مشهده أن لا قدرة له كأمثالنا، أو يقول: إن القدرة الحادثة ما لها أثر إيجاد في المقدر، هذه المسألة كانت عندي من أصعب المسائل، وما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه على القطع - الذي لا أشك فيه علماً - سوى ليلة تقيدي هذا الباب الأحد والعشرين ومائة، في هذه المجلدة، وهي ليلة السبت السادس من رجب الفرد، سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، فإنه لم يكن يتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين، ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم، وبين الخلق الذي يقول به قوم، فأوقفني الحق بكشف بصري،

على خلقه المخلوق الأول، الذي لم يتقدمه مخلوق، إذ لم يكن إلا الله، وقال لي: هل هنا أمر يورث التلبس والحيرة؟ قلت: لا، قال لي: هكذا جميع ما تراه من المحدثات، ما لأحد فيه أثر، ولا شيء من الخلق، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب، فتتكون عن أمري، خلقت النفخ في عيسى، وخلقت التكوين في الطائر، قلت له: فتفسك إذا خاطبت في قولك افعل ولا تفعل، قال لي: إذا طالعك بأمر فالزم الأدب، فإن الحضرة لا تحتمل المحاققة، قلت به: وهذا عين ما كنا فيه، ومن يحاقد ومن يتأدب، وأنت خالق الأدب والمحاققة؟ فإن خلقت المحاققة فلا بد من حكمها، وإن خلقت الأدب فلا بد من حكمه، قال: هو ذلك، فاستمع إذا قرىء القرآن وأنصت، قلت: ذلك لك، اخلق السمع حتى أسمع، واخلق الإنصات حتى أنصت، وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت، فقال لي: ما أخلق إلا ما علمت، وما علمت إلا ما هو المعلوم عليه، فله الحجة البالغة، وقد أعلمتك هذا فيما سلف، فالزمه مشاهدة فليس سواء، ترح خاطرك، ولا تأمن حتى ينقطع التكليف، ولا ينقطع حتى تجوز على الصراط، فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية، ليست عن أمر ولا نهي، يقتضيه وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة. (فح ١/ ٦١٧ - ح ٢/ ٢٠٤)

رؤية الشيخ الأكبر قدس الله سره العزيز لبعض الملائكة في المنام

الخير المحض والشر المحض:

قال لنا بعض سفراء الحق، في منازل في الظلمة والنور: إن الخير في الوجود، والشر في العدم، في كلام طويل، علمنا أن الحق تعالى له إطلاق الوجود من غير تقييد، وهو الخير المحض الذي لا شر فيه، فيقابلة إطلاق العدم، الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه، فهذا هو معنى قولهم: إن العدم هو الشر المحض. وقد بت في جماعة من الصالحين، منهم أبو العباس الحسيني، الإمام بزقاق القناديل بمصر، وأخوه محمد الخياط، وعبد الله المرزوي، ومحمد الهاشمي الشكري، ومحمد بن أبي الفضل، فأريت نفسي والجماعة في بيت شهيد الظلمة، وليس لنا فيه نور سوى ما ينبعث من ذواتنا، فكانت الأنوار تنفث علينا من أجسامنا، فتضيء بها، فدخل علينا شخص من أحسن الناس وجهاً ومنطقاً، فقال: أنا رسول الحق إليكم؛ فكنت أقول له: فما جئت به في رسالتك؟ فقال: اعلم أن الخير في الوجود والشر في العدم، أوجد الإنسان بجموده، وجعله واجداً يتأني وجوده، تخلق بأسمائه وصفاته، وفني عنها بمشاهدة ذاته، فرأى نفسه بنفسه، وعاد العدد إلى أسه، فكان هو ولا أنت. فأخبرت الجماعة بالواقعة، وسروا وشكروا الله، ثم وضعت رأسي في عبي، فنظمت في نفسي أبياتاً في المعرفة، ونام أصحابي، فاستيقظ عبد الله وناداني: يا أبا عبد الله، فلم أجه كأني نائم، فقال لي: ما أنت بنائم، أنت تعمل شعراً في معرفة الله وتوحيده، فرفعت رأسي وقلت له: من أين لك هذا؟ فقال لي: رأيتك تعقد شبكة رقيقة، فأولت الخيوط المتشورة تعقدتها شبكة، معاني متفرقة تجمعها، وكلاماً متشوراً تنظمه، فقلت: هذا يعمل شعراً، قلت له: صدقت، فمن أين عرفت أنه في معرفة الله وتوحيده؟ قال قلت: الشبكة

لا يصاد فيها إلا فوروح، حي عزيز المأخذ، فلم أجد شعراً فيه روح وحياة وعزة، إلا فيما يتعلق بالله تعالى، فكان تأويل رؤياه أعجب إلينا من الرؤيا، رضي الله عنهم اجمعين.
(فح ١ / ٤٧ - كتاب المسامرات ح ٢ - فح ٢ / ٥١)

إخبار من ملك بنزول مكر إلهي :

رأيت في الواقعة وأنا ببغداد، سنة ثمان وستائة، ليلة الحادي عشر من رمضان، قد فتحت أبواب السماء، وفتحت خزائن المكر، ونزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام، وسمعت ملكاً يقول: ماذا أنزل الليلة من مكر الله ١٩ فاستيقظت فزعاً مرعوباً مما رأيت.
(فح ٢ / ٥٣٠)

ولنا في ذلك في قوله تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله﴾.

من أسن المكسر من الله	فأمنه المكسر من الله
هذا الذي يأمن من مكروه	هل جاءه وحسي من الله
كيف له بالأمن من مكروه	جراة منه على الله
هذاك جبريل على قريه	لا يأمن المكسر من الله
قلد بجنب الله واسترعه	وارجع إلى الله من الله
فالصادق المصدوق عبد أتى	بكله شوقاً إلى الله

(كتاب المسامرات ح ٢)

تجلي آيات القرآن في قوالب حسية :

واقعة وقعت لنا في ليلة كتابتي فصل الجمعة بعرفة، كنت أرى فيما يراه النائم، شخصاً من الملائكة قد ناولني قطعة من أرض، متراصة الأجزاء، ما لها غبار، في عرض شبر وطول شبر، وعمق لا نهاية له، فعندما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ إلى قوله ﴿واشكروا لي ولا تكفروا﴾ فكنت أتعجب، ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات، ولا أنكر أنها قطعة أرض، وقيل لي: هكذا أنزل القرآن، أو أنزلت على محمد ﷺ، فكنت أرى رسول الله ﷺ

يقول لي: هكذا أنزلت عليّ فخذها ذوقاً، وهكذا هو الأمر، فهل تقدر على إنكار ما نحمد
من ذلك؟ قلت: لا، فكننت أحرار في ذلك الأمر، حتى قلت لغلبة الحال عليّ في ذلك:

ما تَمَّ إلا حيرة حَمَّتْ كلي ويعضي وهي من جلتي
والله ما تَمَّ حديث سوى هذا الذي قد شهدت مقلي
فما أرى غيري وما هو أنا وذاك مجلاه وذو كِلْتِي^(١)

فقلت: هذا كشف مطابق للجمعة التي جاء بها جبريل عليه السلام، إلى رسول
الله ﷺ في صورة مرآة مجلوة، وفيها نكتة، وقال له: يا رسول الله، هذه الجمعة، وهذه
النكتة الساعة التي فيها - والحديث مشهور - فانظر ما أعجب الأمور الإلهية وتجليها في
القبول الحسية، وهذا دليل على ارتباط الأمر بيننا وبين الحق.

فالكل حق والكل خلق وكل ما تشهدون حق
يحوي على الأمر من قريب وما له في اللسان نطق
وكسله مثل ما تراه وكله في الوجود صدق

انتهى إمداد الواقعة الجامعة. (فح ١ / ٧١٤)

بشرى من ملك بالتقريب الإلهي:

بيننا أنا أكتب هذا الكلام في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، ومقامه عليه السلام
قوله تعالى فيه ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ لأنه وفى بما رأى من ذبح ابنه، أخذتني سِنَّة، فإذا قاتل
من الأرواح - أرواح الملائكة الأعلى - يقول لي عن الله تعالى: ادخل مقام إبراهيم، وهو أنه كان
أواهاً حليماً، ثم تلا عليّ ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ فعلمت أن الله تعالى لا بد أن يعطيني
من الاقتدار ما يكون معه الحلم، إذ لا حليم من غير قدرة على من يحلم عنه، وعلمت أن
الله لا بد أن يتليني بكلام في عرضي من أشخاص، فأعاملهم مع القدرة عليهم بالحلم
عنهم، ويكون أذى كثير، فنرجو أن يكون لنا نصيب من الخلة - كما حصل من درجة الكمال
والختام والرفعة السارية في الأشياء في هذه الأمة - الحظ الوافر بالبشرى في ذلك، وفي هذه

(١) كلتي: بكسر الكاف أي حالتي.

الواقعة أيضاً قيل لي: قل لأصحابك استغنموا وجودي من قبل رحلتي، فنظمت ذلك وضمته هذا اللفظ، فقلت بعد ما استيقظت:

من عند نفسي	قد جاءني خطاب
لأهل ملي	بأن أقول قولاً
من قبل رحلتي	استغنموا وجودي
من كان قبلي	لكي أرى بعيني
من كان عني	وفي وجودي أيضاً
لسد خلقي	فإنني فقير
والحال خلقي	عجبي مقامي
والمعلم خلقي	فمينه وجودي
لما تولت	دهوت عين نفسي
وما استقلت	عن ذكر ما أتاهما
مع الأهله	فمنذما تجلسي
من خلف كلتي	إلى شهود عيني
من أجل قبلي	ومد لي يميناً
إذ كان جلتي	فما رأيت غيري

ورأيت في هذه الواقعة أنواعاً كثيرة، من مبشرات إلهية بالتقريب الإلهي، وما يدل على العناية والاعتناء، فأرجو من الله أن يحقق ذلك في الشاهد، فإن الأدب يعطي أن أقول - في مثل هذا - ما قال رسول الله ﷺ: «إن يكن من عند الله يمضه» مع علمه بأنه من عند الله، فما قلت مثل هذا قط في واقعة، إلا وخرجت مثل فلق الصبح، فإنني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله ﷺ، فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها، وانتفعت بالاتباع فيه، وما قلت هذا كله إلا امتثالاً لأمر الله في قوله: «وأما بنعمة ربك فحدث».

(فح ١/٧٢٢)

(١) كلتي بكسر الكاف، والكلمة هنا الستر الرقيق.

من المبشرات التي رآها الشيخ رضي الله عنه لغيره

مبشرة في حق القاضي أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة :

اجتمع ابن رشد مرة بالشيخ رضي الله عنه، ثم أراد الاجتماع به مرة ثانية، فيقول رضي الله عنه : فأقيم لي رحمة الله في الواقعة، في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رفيع، أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني، وقد شغل بنفسه عني، فقلت : إنه غير مراد لما نحن عليه، فما اجتمعت به حتى درج، وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراکش، ونقل إلى قرطبة وبها قبره . (فح ١/١٥٤)

مبشرة في حق أبي محمد بن حزم، المحدث :

رأيت النبي ﷺ في المنام وقد غشيته النور، وقد عانق أبا محمد بن حزم المحدث، فغاب الواحد في الآخر، حتى كأنها جسد واحد، فلم نر إلا واحداً وهو رسول الله ﷺ . (فح ٢/٥١٩ - كتاب المبشرات)

مبشرة في حق السلطان النور بن الرشيد، تدل على فتح انطاكية :

رأينا ونحن بسيواس، في شهر رمضان، والسلطان الغالب - في ذلك الزمان - النور ابن الرشيد يحاصر انطاكية، فرأيت كأنه نصب عليها المجانيق وربما بالأحجار، فقتل زعيم القوم، فأولت الحجارة آراءه السيدة وعزائمه التي يرميهم بها، وأنه فاتحها إن شاء الله تعالى، فكان كما رأيت بحمد الله، وفتحها يوم عيد القطر، وكان بين الرؤيا والفتح عشرون يوماً، وذلك سنة اثني عشرة وستائة، فكتبت إليه من ملطية - قبل فتحه إياها - بأبيات أذكر فيها رؤياي، وأذكر فيها ما قاله رسول الله ﷺ حين رأى في النوم جبريل عليه السلام، وقد جاءه بعائشة أم المؤمنين قبل أن يتزوج بها في سرقة حرير، فقال له هذه

زوجتك، فلما استيقظ رسول الله ﷺ وذكرها قال: «إن كان من عند الله سيمضيه» فقلنا نحن كذلك أدباً واقتداءً، فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها، كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة، وكانت الآيات لزوميات اتفاقاً وهي:

فأبشر فإن الروم فيك لفي خسر	فصددت بلاد الكفر تبغي فتوحها
وفتح بلاد الكفر والقتل والأسر	رأيت لكم رؤيا تدل على النصر
فأولتها الآراء تُعضد بالنصر	قتلتم بأحجار المجانيق كبشهم
علا أمره فوق السباكين في النسر	فدونك فانهض أيها الملك الذي
تدل على التأييد والقهر والقسر	وخذها من الله الكريم بشارة
وإن لم يكن ما فيه في الملك عن عسر	فإن كان عن حق سيمضي وجودها
برؤياه في أمر الحميراء بالسر	بدا جاء لفظ الشرع إذ جاء وحيه
بمالك من غير على العسر واليسر	إذا جاء نصر الله والفتح فلتجد

(مسامرات ح ٢)

مبشرة رآها الشيخ لقاضي دمشق:

لقد رأيت لقاضي دمشق - عندما ولي القضاء بدمشق - وهو شمس الدين أحمد بن مهذب الدين خليل الجوني، وفقه الله وسنده بملائكته وعصمه في أحكامه، وقائل بقول له في النوم: «إن الله قد خلغ عليك ثوباً نقياً سابقاً، فلا تدنسه ولا تقلصه» واستيقظت وذكرتها له، فالله يجعله ممن حفظ الوصية الإلهية. (ف ح ٣/٥٠٨)

مبشرة رآها لشمس الدين إسماعيل بن سودكين:

رأيت في المنام شمس الدين إسماعيل بن سودكين النوري وقد استقبلني، وهو ينشدني بيتين ما سمعتها قبل ذلك منه ولا من غيره، وهما:

أنا في العالم الذي لا أراكم	كمسيح النصراني بين اليهود
لإذا ما رأيتمكم نصب عيني	أنا والله في جنان الخلود

ينظر إلى الأول قول النبي:

ما مقاسي بأرض بخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
وكانت الرؤيا في ليلة صبيحة يوم الاثنين، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة عشرين
ومستأنة بظاهر دمشق. (الديوان/ ٩١)

مبشرة في حق صاحب له ميت :
قلت في النوم مرتجلاً، وقد رأيت شخصاً قد ثبت له حق على ميت من أصحابه،
فحاز به كتاباً كان في وعاء مما خلفه الميت، فقال له شخص في النوم: «لما حازه هذا دون
الوارث؟» فأجابته:

ضم الكتاب إلى الوعاء فحازه ما كل من ضم الكتاب يحوز
لولا ثبوت الحق لم يميز الذي قد كان لكن بالشبوت يحوز
(الديوان/ ١٣٢)

مبشرة في حق بعض إخوانه - يوسف بن أبي إسحق :

لا تدعي في طريق أنت سالكة وإنما أمره مكارم الخلق
وليس عندك منها ما تكون به من أهلها ولهذا أنت في قلق
أنت الذي قال فيه الحق يعلمكم جريت سبباً مع الأهواء في طلق
لا تتبع غرضاً إن كنت تطلبنا وكسن مع أهل طريق الله في نسق
ولسو نظرت بعيني لا بعينكمو لما رأيتك في خوف ولا ملق
ما ذا صفات رجالي إنهم صبروا على المكاره في نور وفي غسق
يايوسف بن أبي إسحق كن رجلاً ولا تكن عندنا من أخسر الفسوق
فأنت فو لوم طبع لست ذا كرم لو كنت ذا كرم ما كنت ذا فرق
إن الكسريم شجاع في سجينه له من النعت طول الباع في العنق
أعبله بالذي في النور^(١) من سور معلومة مثل رب الناس والفلق

(الديوان/ ٢٣٢)

(١) النور يعني به القرآن.

مبشرة رأى فيها العز بن عبد السلام:

رأيت في الواقعة عز الدين بن عبد السلام الفقيه الشافعي، وهو على مصطبة
كالمدرس، يعلم الناس المذهب، فقعدت إلى جانبه، فرأيت إنساناً قد أتى يسأله عن كرم
الله تعالى، فكان ينشده بيتاً في عموم كرم الله تعالى بعباده، فكنت أقول له: «إن لي في هذا
المعنى بيتاً من قصيدة فكلما جهدت أن أتذكره، لم أتذكره في ذلك الوقت، فكنت أقول
له: «إن الله تعالى قد أجرى على لساني في هذا الوقت في هذا المعنى ما أقوله» فقال لي:
«قل» وهو يتسم، فينطقني الله تعالى بأبيات لم تطرق سمعي قبل ذلك، وهي:

الله أكرم أن يحظى بتسميته الطالمون ويشقى الجرم العصي
وإن شقي فكلام يصيب بها المؤمنون فمن دان ومن قاصي
وكلهم عالم بالله مستند إليه مفلسهم ورب أوقاص

فكان يتسم، فبينما نحن كذلك، إذ مر القاضي شمس الدين الشيرازي رضي الله
تعالى عنه، فلما أبصرني نزل عن بغلته، وجاء فقعد إلى جانب العز بن عبد السلام، ثم أقبل
عليّ وقال لي: أريد أن تقبلني في فمي، فضمني وقبلته في فمه، فقال العز بن عبد السلام:
ما هذا؟ فقلت له: أنا في رؤيا، والتقبيل قبول يطلبه مني، فإنه شخص قد حسن الظن بي،
وقد خطر له قصر أمله، وقبيح عمله، واقتراب أجله، ثم قمت فعضدته حتى ركب
وانصرف، ثم قال لي العز بالإيحاء والتلويح لا بالتصريح، كيف حالك مع أهلك؟ فكنت
أشده بيتين ما طرقت سمعي قبل ذلك، بل كان الله ينطقني في ذلك الوقت بهما، وهما:

إذا رأى أهل بيتي الكيس متلثاً تبسمت وودت مني تمازحني
وإن رآته خلياً من دراهمه تكسرت واثنت عني تقابحني

فكان يقول لي في إشارته: كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقت - وهنا
انتهت المبشرة والله الواقفي - (الديوان/ ٢٥٦)

مبشرة وآها الشيخ لإبراهيم بن همام الإشبيلي:

اتفق لرجل من الصالحين أن رأى فقهاء البلد الذي كان فيه (وهي مكة) قد اجتمعوا
ودفنوا النبي ﷺ وقد مات بينهم، فاستيقظ الرجل فسأل، فوجدهم في مسألة من الحج،

قد أبيت لهم الأحاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها، فأبوا قبولها وحكموا في المسألة بالرأي، وقالوا مذاهب قد استقرت، يريد هذا المنازع أن يردها بهذه الأحاديث، وتعصبوا عليه - فرأيت رسول الله ﷺ وأنا بمكة، وكان إبراهيم بن همام الإشبيلي قد اعتنى بضبط الحديث والعمل به، وعليه قام هؤلاء الفقهاء الذين دفنوا النبي ﷺ كما ذكرنا، فرأيت النبي ﷺ يقبل إبراهيم بن همام ويضمه إليه، ضم مودة ويعرفه بأنه يحبه. (كتاب المبشرات)

مبشرة رأى فيها الشيخ الإمام مالك :

رأيت مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة في المنام، وعليه ثوب أبيض، يجير منه في الأرض اثنا عشر ذراعاً، وهو على باب يقال له باب الفتح، فقلت له: يامالك ما أقرأ؟ فقال: تحب أن تقرأ كتب الرأي، فكنت أرى شخصاً كان يشتغل بكتب الرأي، وهو ينظر في مزيلة معرضاً عن مالك، مقبلاً على المزيلة، فقلت يامالك أخاف أن تفقد كتب الرأي إلى ما قادت هذا الشخص، فتبسم مالك رضي الله عنه وقال: صدقت، عليك يا بني بتقيد الحديث والعمل به^(١). (كتاب المبشرات)

مراتب الأئمة الأربعة :

ومن شرف علم الحديث، ما حدثنا به العالم أبو العباس أحمد بن داود بن ثابت بن منصور الحريري الخلفاوي رحمه الله، بمدينة تونس، بدار الشيخ الصالح العارف عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي، قال أبو العباس: كان لي اعتقاد كبير في الإمام أبي حنيفة لحسن رأيه وجودة ذهنه، وكنت أميل إليه من دون الأئمة، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فلم يكلمني، وهبت أن أسأله، وكان أبو بكر خلفه، فقلت: يا أبا بكر كيف مراتب الأئمة عندكم؟ فقال: اللاحق بنا أحمد بن حنبل، ثم الشافعي، ثم مالك، ثم أبو حنيفة، قال أبو العباس: فتعجبت، وعلمت أن النجاة في متابعة الحديث.

ولقد أخبرت بهذه الحكاية القاضي عبد الوهاب الأزدي الاسكندراني بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسة، فقال: هو الصحيح، وأنا أخبرك بما يقوي ما رآه أبو العباس، فقلت له: أخبرني - ونحن نجاه الركن الثاني عند باب الحزورة - فقال: كان عندنا رجل

(١) راجع الاشتغال بتقيد الحديث والأخذ به وترك الرأي اص ٢٠

صالح فيه خير وله سمع حسن، فهايت، فرآه بعض الصالحين من أصحابنا في المنام، فقال له الرائي: يا فلان كيف تكون الأرض إذا جاءك الملكان؟ فقال: إنها تصير كالماء، كلما اخترقت فيها لم تمتنع عليك، كما تخرق الماء، قال الرائي: سواء، فقلت له: ما رأيت؟ قال: رأيت كتاباً مرفوعة وكتاباً في الأرض موضوعة، فسألت عنها، فقيل لي: أما المرفوعة فكتب الحديث، وأما الموضوعة فكتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها. (كتاب المبشرات)

مبشرة سأل فيها الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه عن حدود المسجد الحرام:

رأيت - وأنا بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسة - في النوم أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فسألته: أين حد المسجد الحرام الذي تكون الصلاة فيه بيائة ألف، هل هو الحرم كله، أو هل هو المسجد المعروف وحده؟ فقال: لا أقول هو الحرم كله، ولا أقول هو المسجد وحده، ولكني أقول: كل موضع في الحرم توقع الصلاة فيه فهو مسجد، وهو في الحرم، فهو المسجد الحرام والصلاة فيه بيائة ألف، هكذا هو عندنا - ثم استيقظت. (كتاب المبشرات)

ما رؤي للشيخ من المبشرات

مبشرة رآها أبو يحيى بيكر بن أبي عبد الله :

قمعدنا يوم السبت - على سبيل العادة - في المسجد الحرام، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى بيكر بن أبي عبد الله الهاشمي التويمي الطرابلسي رحمه الله، فجاء على عادته، فلما فرغنا من القراءة، قال لي: رأيت البارحة في النوم، كأي قاعد، وأنت أمامي مستلق على ظهرك تذكر الصاد، فأنشدتك مرتجلاً:

الصاد حرف شريف والصاد في الصاد أصدق

فقلت لي في النوم، ما دليلك؟ فقلت:

لأنها شكل دور وما من الدور أسبق

ثم استيقظت - وحكى لي في هذه الرؤيا، أني فرحت بجوابه، فلما أكمل ذكره، فرحت بهذه المبشرة التي رآها في حقي وبهيشة الاضطجاع، وذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام، وهي حالة المستريح الفارغ من شغله، والمتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة. (ف ح ١ / ٧١)

مبشرة رآها يحيى بن الأخفس:

كان عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل والأدب والدين، يقال له يحيى بن الأخفس من أهل مراكش، كان أبوه يدرس العربية بها، فكتب إلي يوماً من منزله بدمشق وأنا بها، يقول لي في كتابه: يا ولي رأيت رسول الله ﷺ البارحة بجامع دمشق، وقد نزل بمقصورة الخطابية إلى جانب خزائن المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه، والناس يهرعون إليه

ويدخلون عليه يبأيعونه، فبقيت واقفاً حتى خف الناس، فدخلت عليه وأخذت يده، فقال لي: هل تعرف محمداً؟ قلت له: يا رسول الله من محمد؟ فقال له: ابن العربي، قال قلت له: نعم أعرفه، فقال له رسول الله ﷺ: إنا قد أمرناه بأمر، فقل له يقول لك رسول الله: انهض لما أمرت به، واصحبه أنت فإنك تتضع بصحبته، وقل له يقول لك رسول الله: امتدح الأنصار ولتعين منهم سعد بن عبادَةَ ولا بد، ثم استدعى بحسان بن ثابت، فقال له رسول الله ﷺ: يا حسان حفظه بيتاً يوصله إلى محمد بن العربي يبني عليه، وينسج على منواله في العروض والروعي، فقال حسان خذ إليك، وأنشدني بيتاً هو:

شغف السهاد بمقلتي ومزاري فعلى الدموع معولي ومشاري

وما زال يردده عليّ حتى حفظته، ثم قال رسول الله ﷺ: إذا مدح الأنصار فاكتبه بخط يمين، واحمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسمونها قبر الست⁽¹⁾، فستجد عندها شخصاً اسمه حامد، فادفع إليه المديح، فلما أخبرني بذلك هذا الراي - وفقه الله - عملت القصيدة من وقتي، من غير فكرة ولا روية ولا تشيط، ودفعت القصيدة إليه، فكتب إليّ أنه لما جاء قبر الست، وصل إليه بعد العشاء الآخرة، قال: فرأيت رجلاً عند القبر، فقال لي ابتداء: أنت يحيى الذي جاء من عند فلان، وسأني، فقلت له: نعم، قال فأين القصيد الذي مدح به الأنصار عن أمر رسول الله ﷺ، فقلت: هو ذا عندي، فناولته إياه، فقرب من الشمعة ليقرأ القصيدة، فلم أره بخير ذلك الخط، فقلت له: تأمري أنشدك إياها، قال: نعم، فأنشدته إياها، وهذا نص القصيدة:

قال ابن ثابت الذي فنخرت به ففسر الكلام ونشأة الأشعار

شغف السهاد بمقلتي ومزاري فعلى الدموع معولي ومشاري

وكانت أمي تنسب إلى الأنصار فقلت:

فلذا جعلت رويته السراء التي هي من حروف الرد والتكرار

فأقول مبتدئاً لطاعة أحمد في مدح قوم سادة أيسرار

(1) لا زال هذا المكان معروفاً للآن، وهو مزار يقال له مزار «السيدة زينب» بضاحية من ضواحي دمشق.

إني امرؤ من جملة الأنصار
 بسبيلهم قام الهدى وبهم علت
 قاموا بنصر الهاشمي محمد
 صحبوا النبي بنية وعزائم
 باعوا نفوسهم لنصرة دينه
 عنهم كنى المختار بالنفس الذي
 سعد سليل عبادة فخرت به
 لله آساد لكل كريمة
 عزوا بدين الله في إعزازهم
 فيهم علا يوم القيامة مشهدي
 لو أنني صفت الكلام قلائداً
 كرش النبي^(١) وعيبة لرسوله
 رهبان ليلاً يقرؤون كلامه

فإذا مدحتهمسو مدحت نجاري^(٢)
 أنواره في رأس كل منار
 المصطفى المختار من مختار
 فازوا بين حميدة الأثار
 ولذلك ما صحبوه بالإبشار
 يأتيه من يمن مع الأقدار
 يوم السقيفة جملة الأنصار
 نزلت بدين الله والأخيار
 دين الهدى بالعسكر الجرار
 وبهم ترى يوم الورد فخاري
 في منحهم ما كنت بالكشار
 لحقت بهم أعداؤه يتسار
 آساد غاب في الوضى بنهار

(فدح / ١ / ٢٦٧)

مبشرة رآها رجل صالح اسمه عبد الواحد بمكة :

يقول الشيخ قدس الله سره العزيز، مخبراً عن بعض أحواله في حضرة الخيال
 المنفصل : ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها، ودمزم يسألني التضرع من
 مائه، رغبة في الاتصال بالمومن، سؤال نطق مسموع بالأذن، فحفظنا من الحجاب بيها -
 لعظيم مكاتها من الحق - عما نحن عليه في أحوالنا من القرب الإلهي، الذي يليق بذلك
 الموطن في معرفتنا، فأنشدتها مخاطباً ومعرفاً بما هو الأمر عليه، مترجماً عن المؤمن الكامل -

يا كعبة الله وسازمزمه كم تسألني الوصل صه ثم مه
 إن كان وصلي بكها واقعاً فرحمة لا رغبة فيكمه

(١) النجر والنجار: الأصل.

(٢) خذولته 𐤁𐤃𐤌.

ذات ستارات التقى المعلمة	ما كعبة الله سوى ذاتنا
أرض ولا كلم من كلمه	ما ومع الحق صماء ولا
فإنه قبلتنا المحكمة	ولاح للقلب فقال اصطبر
مننا فيسا يسقي ما أعظمه	منكم إلينا وإلى قلبكم
وحبنا فرض عليكم ومه	فرض على كعبتنا حبكم
سواك يا عبدي بأن تلزمه	ما عظم البيت على غيره
بها وأيسات السورى مظلمة	قد نور الكعبة تطوائكم
لولاكمو كان لهم مشامة	ما أصبر البيت على شركهم
بالصبر تحقيقاً وبالمرحة	لكنكم في تواصيتمو
أشده حباً وما أعلمه	ما أحشق القلب بذاتي وما

وكان بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي بها، مراسلة وتوسلات ومعاتبه دائمة، وما عملت تلك الرسائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث، وذلك أني كنت أفضل عليها نشأتي، وأجمل مكانتها في مجلي الحقائق دون مكانتي، وأذكرها من حيث ما هي نشأة جمادية، في أول درجة من المولدات، وأعرض عما خصها الله به من علو الدرجات، وذلك لأرقي همتها، ولا تحجب بطواف الرسل والأكابر بذاتها، وتقييل حجرتها، فإني على بيته من ترقى العالم علوه وسفله مع الأنفاس، لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة، فإن الأصل الذي يرجع إليه جميع الموجودات، وهو الله، وصف نفسه أنه «كل يوم هو في شأن» فمن المحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانين، فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤون الإلهية، وكان ذلك مني في حقها لغلبة حال غلب عليّ، فلا شك أن الحق أراد أن ينهني على ما أنا فيه من سكر الحال، فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة، فيها رش مطر، فتوضأت وخرجت إلى الطواف بانزعاج شديد، وليس في الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظن، فلما نزلت، قبلت الحجر وشرعت في الطواف، فلما كنت في مقابلة الميزاب من وراء الحجر، نظرت إلى الكعبة، فرأيتها - فيما تخيل لي - قد شممت أذيالها، واستعدت مرتفعة عن قواعدها، وفي نفسها إذا وصلت بالطواف إلى الركن

الشامي، أن تدفني بنفسها، وترمي بي عن الطواف بها، وهي تتوعدني بكلام أسمعها بأذني، فجزعت جزءاً شديداً، وأظهر الله لي منها حرجاً وغيظاً، بحيث لم أقدر على أن أبرح من موضعي ذلك، وتستررت بالحجر، ليقع الضرب منها عليه، جعلته كالجن الحائل بيني وبينها، وأسمعها والله وهي تقول لي: تقدّم حتى ترى ما أصنع بك، كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم، وتفضل العارفين عليّ، وعزة من له العزة، لا تركتك تطوف بي، فرجعت مع نفسي، وعلمت أن الله يريد تأديبي، فشكرت الله على ذلك، وزال جزعي الذي كنت أجده، وهي والله - فيأ يخيّل لي - قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال، كما يتشمر الإنسان إذا أراد أن يشب من مكانه، يجمع عليه ثيابه، هكذا خيلت لي، قد جمعت ستورها عليها لتشب عليّ، وهي في صورة جارية، لم أر صورة أحسن منها، ولا يتخيّل أحسن منها، فارتجلت أبياتاً في الحال أخاطبها بها، واستترتها عن ذلك الحرج الذي عانيت منها، فما زلت أثنى عليها في تلك الأبيات، وهي تسع وتنزل بقواعدها على مكانها، وتظهر السرور بما أسمعها، إلى أن عادت إلى حالها كما كانت، وأمتني وأشارت إليّ بالطواف، فرميت بنفسي على المستجار، وما في مفصل إلا وهو يضطرب من قوة الحال، إلى أن سرتني عني، وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر، فخرجت الشهادة عند تلفظي بها - وأنا أنظر إليها بعيني - في صورة سلك، وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق، حتى نظرت إلى قعر طول الحجر، فرأيتة نحو ذراع^(١)، ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة، واستقرت في قعر الحجر، وانطبق الحجر عليها، وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر إليه، فقال لي: هذه أمانة عندي، أرفعها لك إلى يوم القيامة، أشهد لك بها عند الله؛ هذا قول الحجر لي وأنا أسمع، فشكرت الله ثم شكرتها على ذلك، ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها، وخاطبتها بالرسائل السبعة^(٢)، فزادت بي فرحاً وابتهاجاً، حتى جاءتني منها بشرى على لسان رجل صالح من أهل الكشف، ما عنده خبر بما كان

(١) سألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين، حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه،

فقال لي: رأيت في طول الذراع.

(٢) هذه الرسائل بمجموعة في كتاب سباه الشيخ وتاج الرسائل ومتهاج الوسائل.

بيني وبينها مما ذكرته، فقال لي: رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي: يا عبد الواحد، سبحان الله، ما في هذا الحرم من يطوف بي إلا فلان، وسمتك لي باسمك، ما أدري أين مضى الناس؟ ثم أقمت لي في النوم وأنت طائف بها وحدك، لم أر معك في الطواف أحداً، فقالت لي: انظر إليه، هل ترى بي طائفاً آخر؟ لا والله، ولا أراه أنا - فشكرت الله على هذه البشرية من مثل ذلك الرجل، وتذكرت قول رسول الله ﷺ في الرؤيا الصالحة، يراها الرجل المسلم أو ترى له - وأما الأبيات التي استتزلت بها الكعبة فهي هذه:

بالمستجبار استجبار قلبي	لما أتساءه سهماً الأعادي
يارحمة الله للمعباد	أودعك الله في الجهاد
يابيت ربي يانور قلبي	ياقرة السمين يافؤادي
ياسر قلب الوجود حقاً	ياحرمتي ياصفى ودادي
ياقبلة أقبلت إليها	من كل ربيع ومن كل وادي
ومن بقساء فمن ساء	ومن فناء فمن مهاد
ياكعبة الله ياحياتي	يامنهج السعد يارشادي
أودعك الله كل أمن	من فزع الهول في المعاد
فيك المقام الكريم يزهر	فيك السمادات للمعباد
فيك اليمين التي كستها	خطيئتي جدة السواد
ملتزم فيك من يلازم	هواه يسمد يوم التباد
ماتت نفوس شوقاً إليها	من ألم الشوق والبهاد
من حزن ما نالها عليهم	قد لبست حلة الخسداد ^(١)
له نور على فراهها	من نوره للفؤاد بادي
وما يراه سوى حزين	قد كحل العين بالسهاد

(١) يشير إلى سواد أستار الكعبة.

يطوف سبماً في إثر سبع
بعمرة ما لها انقطاع
سمعتنه قال مستغيثاً
قد انقضى ليلنا حثيثاً

من أول الليل للمنادي
رهين وجيد حلف اجتهاد
من جانب الحجر آه فؤادي
وما انقضى في الهوى مرادي

(فح ١ / ٧٠٠)

خاتمة

الحمد لله تعالى، أحده على توفيقه، وأن أعانني على إصدار هذه السلسلة الأولى التي يختصها كتابي هذا، وأرجو الله تعالى أن يكون فيها نفع للمسلمين والباحثين، والتائهين في بحار علوم الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه، فقد قصدت من هذا الجمع، توحيد كل موضوع على حدة، بجمعه من مصادر مختلفة، ومن كتب صح عند المحققين أنها للشيخ رضي الله عنه، وبهذا الجمع أمل أن أكون قد أعطيت صورة واضحة لما عرضته من مواضيع وأبحاث، قدمها الشيخ مفرقة في كتب كتبها لأهلها، لا تلتبس عليهم، إلا أنها تلتبس على الغريب الذي ليس من جنسهم، فأرجو الله تعالى لمن أمكنه استيعاب ما في هذه السلسلة، أن يطلع كتب الشيخ بنفسه، فقد تكون هذه المجموعة مدخلاً لقراءة كتب الشيخ، وفهم الكثير من غوامضها ومشتبهاتها، وقد كان ترتيب إصدار هذه السلسلة لغاية، أرجو أن تكون قد تحققت وهي:

أولاً: إصدار كتاب «الفقه عند الشيخ» يوضح علو كعب الشيخ في الفقه الإسلامي باعتباره متأخراً، وثبت أنه إمام مجتهد من أئمة أهل السنة والجماعة، فإذا صح هذا، فلا يعقل ما ينسب إليه من كفر وإلحاد وزندقة، فإن ما دونه في العقيدة والأصول والأحكام، لا يمكن لمعاقل إلا أن يقول: إنها لا تصدر إلا من مؤمن كامل الإيمان.

ثانياً: أعقبت الفقه بإصدار كتيب بعنوان «الإنسان الكامل والقطب الثوث» يوضح فقه الشيخ في آية قرآنية واحدة وحديث صحيح واحد، ليس في هذا الفهم أي مأخذ شرعي، ولولم تقبله بعض الأمزجة والأفهام الفاسدة.

ثالثاً: أعقبت هذا بكتاب «شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية» ناقشت فيه كل التهم التي نسبها الإمام ابن تيمية إلى الشيخ الأكبر، بمقارنة النصوص الواردة عن كل من الرجلين، ويتضح للقارئ المنتصف المحقق، عدم صحة كل ما نسبته الإمام ابن تيمية إلى الشيخ، ثم جمعت

شرح الشيخ لبعض كلمات الصوفية وبعض كلامه، الذي يتوهمه القارىء أو السامع ببيد الرأى أنها كفر، وكيف ألبسها الشيخ ثوب الشريعة بالنصوص، وأنه كلام في دقائق التوحيد من مقام الإحسان.

رابعاً: فوجب التعريف بالشيخ، فأصدرت ترجمة حياته من كلامه، وفيها جمعت كل ما أمكنني مما قاله الشيخ، عن نفسه وسلوكه وتحصيله وفتوحه وعلومه، وشرطه ونصه على من يخاطبه بها.

خامساً: كان لابد من توضيح ما جاء في بعض هذه الترجمة، فكان كتاب الحب والمحبة الإلهية، مترجماً عن أدواق الشيخ في المحبة الإلهية ومقام المحبوبة، الذي جاء به القرآن والسنة الصحيحة.

سادساً: ختمت هذه السلسلة بكتابي هذا «الخيال عالم البرزخ والمثال» و«الرقيا والمبشرات» يعلم منه القارىء، ما هي الحضرة التي يتكلم منها الشيخ في كتبه؟ ومع من يتكلم من البشر؟ وهل هذا الذي جاء به هو محض أوهام و«خيالات فاسدة»، كما يتصوره قاصر العقل وهديم الذوق، أم هي خصوصيات إلهية يختص بها الله من يشاء من عباده، أثبتها الشرح وجاء بها الرسول ﷺ، ولكن خفل عنها كثير من الناس؟

والله تعالى أسأل أن يوفقني لإصدار السلسلة التالية، من تفسير القرآن وشرح الحديث عند الشيخ الأكبر، إنه الموفق لا رب سواه.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

عمود محمود الغراب

دمشق في غرة شعبان ١٤٠٤هـ

رسالة الشيخ أبو الحسن علي الندوي - رئيس رابطة علماء العالم الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Phone: 42747
 Al-Hind Islamic Centre
 P. O. Box 93 Lucknow 226007
 (INDIA)

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

ص. ب. ٩٣ لكهنؤ

(الهند)

١/٦٨٢ / ٨٣.

فضيلة الأستاذ محمد محمود خراب حفظه الله تعالى .
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد وصفتني بالكتب
 التي أرسلتها إلي . من بينها بعلوم الشيخ الأكبر ، ولقاءه في
 فاشية البشعار بوصول كتاب . الفقه عند الشيخ الأكبر
 والرسالة الكاملة .

ولأذالك اذكر اننا كنا نقول في دمشق عام ١٩٥٦م عندما
 حضرت استاذنا ثانيا للقاء والمخاطبة في طلبة الشريعة . وقد كنت
 خالفت بواسطتك فضيلة الشيخ البشير جازي . وأطرحه على
 علي نقاشه . .

وأريد مواصلة هذا البرنامج العلمي الجليل بعلوم الشيخ الأكبر .
 وسيبانا به نؤمنه من طلبة العامة والذوات الخاصة . ولكم
 شكرنا فاسي . وجزار من العكبريم .

و تقبلوا تحياتنا الطيبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 الخليفة
 أبو الحسن علي الحسيني الندوي

رسالة المرحوم الرئيس ضياء الحق - رئيس الجمهورية الباكستانية



THE ISLAMIC REPUBLIC OF PAKISTAN

General M. Zia-ul-Haq

ISLAMABAD
57/2/CMLA
17 Rajab 1406 A H
09 April 1985

Mr Mahmood Mahmood Al-Ghorab
C/o Ambassador of Pakistan
Damascus
Syria

Dear brother Ayed Mahmood Al. Ghorab,

التقدم فائق ورحمة الله وبركاته

Please accept my appreciation and gratitude for the set of your following valuable publications forwarded to me, on your behalf, by our Ambassador in Damascus :-

- a. Al-Shaikh al-Akbar Mubiyy 'l-Din Ibn al-Arabi:
Tarjamatu Hayatishi min Kalamishi;
- b. Al-Hubb wa'l Mahabbah 'l-Habbiyyah min
Kalam 'l-Shaikh al-Akbar; and
- c. Al-Khiyal : 'Alam 'l-Burzakh wa'l Mithal min
Kalam 'l-Shaikh al-Akbar.

I am sure that scholars and researchers would benefit a great deal from these books which throw abundant light on the life and thought of Shaikh Mubiyy 'l-Din Ibn al-Arabi, who has had a tremendous impact on the subsequent development of the Sufi and philosophical thought in Islam. Your writings represent a further advance in the scientific studies on this important subject.

May Allah reward you amply for your academic efforts, and shower His blessings on your life and knowledge.

With profound regards,

Yours sincerely,

General
(M. Zia-ul-Haq)

رسالة الشيخ عبد المعز عبد الستار
رئيس توجيه العلوم الشرعية - دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم
أخي العزيز الأستاذ محمود غراب حفظه الله
بسم الله عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى أهلك وأحبائك
وحياكم الله بياحياءه وأوليائه وأحياءه، وأعاد
عليكم وعلى الأمة الإسلامية هذا الشهر باليمن والبركة والأمن والإيمان والشمل الجميع والأمر الرشيد
والفتح القريب وهو الرحمن المستعان.
تلقت بيد الشكر كتابك والخيال عالم المثال وقد قرأت مقدمتك وأوائل هذا الكتاب، ولا أكتفك
أنني وقفت منها على ساحل بحر عميق وبحث جديد، لا عهد لي بمثله، أو بتمت العهد بأسلوبه، ولذلك
قررت أن أعود إليه بعد رمضان إن شاء الله، فلم علي أكون أكثر قدرة وأوسع وقتاً، لاستيعاب هذه
النظرات، التي تند عن التصور العادي والفهم السريع، وتحتاج إلى أناة وصبر، فإنها كما ذكرت من السهل
العسير، والقريب البعيد.
وقد أحدثت مقدمتك لنا بك عهداً، ونرجو أن يجمعنا الله بكم دائماً على الحق والهدى، وأن يميزك
عنا خيراً والسلام عليكم.
من أخيك
عبد المعز عبد الستار
١٤٠٤ / ٦ / ٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز الأستاذ محمود غراب . . حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى ألك وأحبائك، وحياكم الله بياحياءه وأوليائه وأحياءه، وأعاد
عليكم وعلى الأمة الإسلامية هذا الشهر باليمن والبركة والأمن والإيمان والشمل الجميع والأمر الرشيد
والفتح القريب وهو الرحمن المستعان.

تلقت بيد الشكر كتابك والخيال عالم المثال وقد قرأت مقدمتك وأوائل هذا الكتاب، ولا أكتفك
أنني وقفت منها على ساحل بحر عميق وبحث جديد، لا عهد لي بمثله، أو بتمت العهد بأسلوبه، ولذلك
قررت أن أعود إليه بعد رمضان إن شاء الله، فلم علي أكون أكثر قدرة وأوسع وقتاً، لاستيعاب هذه
النظرات، التي تند عن التصور العادي والفهم السريع، وتحتاج إلى أناة وصبر، فإنها كما ذكرت من السهل
العسير، والقريب البعيد.

وقد أحدثت مقدمتك لنا بك عهداً، ونرجو أن يجمعنا الله بكم دائماً على الحق والهدى، وأن يميزك
عنا خيراً والسلام عليكم.

من أخيك

عبد المعز عبد الستار

١٤٠٤ / ٦ / ٢٥ هـ

مراجيع الكتاب

- ١ - الفتوحات المكية طبعة الميمنية
- ٢ - الإسرا إلى مقام الأسرى
- ٣ - ترجمان الأشواق
- ٤ - الديوان
- ٥ - التنزلات الموصلية
- ٦ - فصوص الحكم
- ٧ - المبشرات
- ٨ - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار
- ٩ - إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن
- ١٠ - روح القدس في محاسبة النفس
- ١١ - النجاة عن حجب الاشتباه

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الواقعة
٣	ذكر الرؤيا في القرآن
٥	ما ورد عن الرؤيا في الحديث الشريف
٧	رؤية رسول الله ﷺ في المنام
٧	الرؤيا
١٣	تعبير الرؤيا
	مبشرات رآها الشيخ الأكبر
	أخذ أحكام من رسول الله ﷺ في الرؤيا
١٨	رفع اليدين في الصلاة
١٨	الصلاة على الجنائز - الأكفان - الغسل من الجنابة - الجماع
١٩	الطواف والصلاة في جميع الأوقات في الحرم المكي
١٩	الطلاق الثلاث بلفظ واحد
٢٠	عدة المطلقة والقره
٢٠	الاشتغال بتقديد الحديث والأخذ به، وترك الرأي
٢١	أوقات الصلاة
	أخذ العلوم غير الأحكام من رسول الله ﷺ وغيره من الرسل
٢٢	دعاء - ترتيب خلق العالم
٢٩	الحمد لله

٣٠	أفضلية الملائكة
٣٢	أقل الجمع
٣٢	مشاهدة عظمة الله في كل شيء
٣٣	رحمة رسول الله ﷺ للعالمين - تنبيه على مخالفة شرعية
٣٣	تنبيه وتحذير من فتنة القبر
٣٤	تفسير قرآن - نصيحة وعتاب
٣٥	تحريض على حفظ القرآن
٣٥	ترغيب في قيام الليل - فصوص الحكم
٣٦	فضل آدم لم يعم
٣٦	اجتماع الشيخ بعيسى عليه السلام
٣٦	رؤية الشيخ لجميع الأنبياء وجميع المؤمنين

مبشرات أخرى

٣٧	الأدب في الطواف - الطبيعة
٣٨	الدنيا أم رقوب - مبشرة بخاتم الأولياء الخاص
٣٩	العلم بالله
٤٠	الصدق هو الإعجاز
٤١	أهل المقامات الأربعة - مقام النبوة والرسالة مغلق
٤٢	التفاضل في العالم
٤٣	إقامة الدين - السجود - سر حذف واو العطف
٤٤	القيومية - الاعتقاد على الله تعالى
٤٥	أصل كل شيء آدمه - وقوع شدة بالناس
٤٦	إهيات
٤٧	موعظة - حسن الرجاء بالله
٤٨	حشر الأجسام على غير مثال سبق

الموضوع	الصفحة
تجليات إلهية	٤٩
شرح الصلاة الإبراهيمية في الواقعة	٥٢
مبشرة محرض على الرغبة في دعاء الصالحين	٥٤
تفسير القرآن في الرؤيا وقصة هاروت وماروت	٥٥
رؤية الشيخ للحق في المنام	
أمر الحق الشيخ بالنصيحة	٥٧
كرم الحق وحسن الظن به - اتخاذ الحق وكيلاً - عمسوك الدار	٥٩
تجلي الحق في الاسم الظاهر والاسم الباطن - الروائع عند الحق	٦١
تلاوة الحق بعض الآيات للبشرى - الإرث النبوي -	٦٢
وصية من الحق - نصيحة من الحق - نهي من الحق -	٦٣
يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً	٦٤
عناية الله بعباده - إعجاز القرآن	٦٥
طريق السعادة - التزام الأدب في مسألة الجبر والاختيار	٦٧
رؤية الشيخ لبعض الملائكة في المنام	
الخير المحض والشر المحض	٦٩
نزول مكر إلهي - تجلي آيات القرآن في قوالب حسية	٧٠
بشرى من ملك بالتقريب الإلهي	٧١
من المبشرات التي رآها الشيخ لغيره	
ابن رشد - ابن حزم - السلطان النور بن الرشيد	٧٣
قاضي دمشق - إسماعيل بن سودكين	٧٤
صاحب له ميت - يوصف بن إسحق	٧٥
العز بن عبد السلام - إبراهيم بن همام الإشبيلي -	٧٦
الإمام مالك - مراتب الأئمة الأربعة	٧٧

الموضوع

الصفحة

مبشرة سأل فيها أبا بكر الصديق رضي الله عنه ٧٨

ما روي للشيخ من المبشرات

مبشرة رآها أبو يحيى بيكر بن عبد الله ٧٩

مبشرة رآها يحيى بن الأختف ٧٩

مبشرة رآها رجل صالح اسمه عبد الواحد - بمكة ٨١

خاتمة ٨٦

المراجع ٨٨

أشرف على التصحيح والتدقيق، كل من السادة:
محمد ماجد الحناوي - سعيد الناشي - أحمد العاقل

للمؤلف

- | | |
|-------|--|
| صدر | ١ - الفقه عند الشيخ الأكبر |
| صدر | ٢ - الإنسان الكامل |
| صدر | ٣ - القطب الغوث الفرد |
| صدر | ٤ - الرد على ابن تيمية |
| صدر | ٥ - شرح كلمات الصوفية |
| صدر | ٦ - ترجمة حياة الشيخ الأكبر |
| صدر | ٧ - الحب والمحبة الإلهية |
| صدر | ٨ - الخيال عالم البرزخ والمثال |
| صدر | ٩ - الرؤيا والمبشرات |
| صدر | ١٠ - شرح فصوص الحكيم |
| صدر | ١١ - شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس |
| صدر | ١٢ - الطريق إلى الله تعالى - الشيخ والمريد |
| صدر | ١٣ - رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن - تفسير القرآن |
| مخطوط | ١٤ - علماء وأمراء |
| مخطوط | ١٥ - الرسائل والمقالات |
| مخطوط | ١٦ - الحديث في شرح الحديث |

تطلب كتب المؤلف التي صدرت من :

- دار الإيمان - دمشق - شارع مسلم البارودي - سوريا
- المؤلف - دمشق - ص . ب : ٣٣٣ - سوريا

الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي

- ولد عام ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بشرق الأندلس وتوفي عام ٦٣٨ هـ بمدينة دمشق.
- خرج حاجباً من الأندلس عام ٥٨٩ هـ ثم استقر به المقام في دمشق بعد رحلة مذكورة في ترجمته.
- غرق أهل العلم في شرح وتفسير إشاراتهِ فغابوا عن علو مقام الشيخ الفقهى وأنه إمام صاحب مذهب مستقل من مذاهب أهل السنة والجماعة.
- اختلف فيه أهل الظاهر بين قادح ومادح واعتبره فلاسفة الغرب والشرق من أكبر فلاسفة الإسلام ولقبه الأولياء وأهل العرفان سلطان العارفين وشيخ المحققين.
- له من المؤلفات ما ينيف عن ستمائة مؤلف بين رسالة وكتاب فقد جلها ولم يبق بخط يده إلا اليسير منها الفتوحات المكية.

To: www.al-mostafa.com